

وضاح صائب

وَ قَتْلُ الْإِسْلَامِ
وَ تَقْدِيسُ الْجَنَّةِ



وضاح صائب

قتل الإسلام
وتقدیس الجنة



قتل الإسلام وتقديس الجنة

وضاح صائب

البريد الإلكتروني للمؤلف

waddahsaeb@hotmail.com



ص.ب: 113/5752

E-mail: arabdiffusion@hotmail.com

www.alintishar.com

بيروت - لبنان

هاتف: 9611-659148 فاكس: 9611-659150

لوحة الفلاف للفنان: محمد شمس الدين

ISBN 978-614-404-132-1

الطبعة الأولى 2011

الفهرس

الإهداء	9
براءة محمد من الأتباع	11
مقدمة تختزل النص	13
الإضاءة الأولى: قتل الإسلام	15
الإضاءة الثانية: ما هو الإسلام؟ ..	
أي إسلام أراده الله؟	29
الإضاءة الثالثة: من هم صحابة النبي؟ ..	
(التعريم الغبي حول أصحاب النبي)	77
الإضاءة الرابعة: جنائية الرواية ..	
أبو هريرة نموذجاً	125
الإضاءة الخامسة: جنائية كتبة الأحاديث ..	
الصحابح ليس صحاحاً.. البخاري نموذجاً ..	173
الإضاءة السادسة: لا ناسخ ولا منسوخ ..	233
الإضاءة السابعة: الوصيّة للوارث نموذجاً ..	265

الإضاءة الثامنة: جنائية الأئمة والفقهاء	
فقه التحرير في لمس المصحف الشريف	277
الإضاءة التاسعة: ملامسة النساء... هل تنقض الموضوع؟	
الفقه الغثاء في ملامسة النساء	297
الإضاءة العاشرة: لمس الذكر..	
علاقة الإله بلمس الباه	321
الإضاءة الحادية عشرة: الجانب الآخر	
جنائية المسلمين على أهل البيت	333
صناعة الغباء	379
الضحك على الذقون	381
خاتمة لا تغلق النص	385
المراجع	389

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿الْمَدْرَسَةُ ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَبَّ لَهُ بِهِ هُدَىٰ لِلنَّاسِ﴾

الله اعلم

أَيُّهَا الْغَرْبُ قدْ خَصَّتْ بِعَقْلٍ

فاسالنہ، فکل عقل نبی

أبو العلاء المعرّي

«أُم عَلَى قُلُوبِ أَقْفَالِهَا»

قرآن کریم

براءة محمد من الأتباع

«أي منقلب ينقلبون»

«على رأس كل مائة سنة هجرية، يلتقي رسول الله ونبيه محمد بن عبد الله محمداً نبي المسلمين، في غار حراء، ففيتجادلان طويلاً، ثم يلتفت محمد الرسول إلى محمد نبي المسلمين، ويقول قبل أن ينصرف: يبدو أننا لن نتفق أبداً.. أبداً...»

اقتباس بتصرّف عن جرّان

مقدمة تختزل النص

«لا تكفي الملاحظة الصرف.

ولا يكفي أيضاً نشر الواقع من أجل تلبية متطلبات الفكر والروح.
إن العيون ليست وحدتها التي ترى.

والآذان ليست وحدتها التي تسمع.

يريد الفكر والروح أن يريا ويسمعا بدورهما.

لكن هذا يعني أنهما يريدان المشاركة في الإحساس والتفكير.
والمشاركة في حادث والتفكير فيه يعنيان ملأه بالمعنى وجعله
قابلأ للإدراك.....

مادام تأويل الأحداث هو الذي يعطيها معنى»⁽¹⁾.

(1) دينتر تسلنخ - النهايات، ترجمة ميشيل كيلو.

الإضاءة الأولى

قتل الإسلام

لا تتجلى عظمة الإسلام في توسيع الفتوحات، وتمدد الدولة من حدود الصين إلى الأندلس، فهذا التوسيع الإمبراطوري، مرّت به كل القوى العظمى؛ عبر التاريخ، مستندة إلى معطيات ترتبط بالزمان والمكان، وضعف الآخرين، فكان للجميع إمبراطورياتهم المتداولة، يوناناً وروماناً وفرساً وعرباً ومغولاً وتتاراً، الواحدة على أنقاض الأخرى، في إطار لعبة الأمم بعيداً عن الأساس العقائدي . . .

عظمة الإسلام وعقريته تتجلّيان في البدايات، الأساس، واللبنات الأولى التي كونت المجتمع الإسلامي الأول في حدود الجزيرة العربية، أما ما بعد هذه الحدود، فكان بداية النهاية للإسلام كدين ذي خصوصية وتميز، وببداية القيامة للدولة ككيان إمبراطوري يشابه سابقيه ولاحقيه . . .

عقريّة البدايات بعض كلمات يوحى بها الله في غارٍ منعزل لرجل ليس ذا شأن أو حولي أو عزوة، في مجتمع تسوسه أرستقراطية تجارية مهيّبة، وتقسّى معاييره على أفراده، ويُضع خطوطاً لا تكسر بين شرائحة وتكويناته، وتحكمه معتقدات إشراكية غير قابلة للمساس، منحته مكانته بين الآخرين بحكم حيازته للكعبة، بيت أصنام العرب ومقصدهم على مدى العام . . .

ومن تشكيل الخلية الأولى، إلى توسيعها، إلى التصرّيف العلني

بالدعوة، إلى تحمل الرفض والتنكيل، إلى الهجرة وتأسيس دولية المدينة، إلى الحرث بـالممتالية مع الجوار وتطويع قريش والجزيرة، إلى صياغة الشريعة الكاملة، اكتملت دورة العبرية والعظمة التي بدأت وانتهت قائمة على نص إلهي ورجل بشر حمل النص وأطلق الثورة ..

وكان لآخرين أدوارهم المتفاوتة في هذه الثورة، وكانوا ككل مكونات المجتمعات الأخرى، بصالحهم وطالحهم، بشراً عاديين، تحكمهم خلفياتهم القبلية، وإن شذب الدين الجديد ما طاف على السطح منها ..

وبموت الرجل، لم يتيسر لما طاف على السطح، أن يُخلص لما جاء به، لأكثر من خمسة عشر عاماً وبين عامي 610 و650 م كانت البداية والنهاية .. .

في العقد السادس من القرن السابع، تمّ وأد الإسلام، والتأسيس للدولة التي توزعت قيادتها بين آل أمية وآل العباس ثم آلت لغير العرب ..

كان تولّي عثمان بن عفان، صهر النبي ورفيقه، بداية النهاية لدين محمد السماوي، عملاً بوصيّة أبي سفيان بن حرب له: (قد صارت إليك بعد تيمٍ وعدي - قبيلتي أبي بكر وعمر - فتقفونها تزقق الكرة، واجعل أوتادها بني أمية، فإنّما هو الملك، وما أدرى ما جنة ولا نار) (رواه الحسن البصري، وأوردها المسعودي بصياغة أخرى «يا بني أمية تلقفونها تلتف الكرة، فوالذي يحلف به أبو سفيان ما زلت أرجوها لكم، ولتصيرنَ إلى صبيانكم وراثة») ..

وقد أثبت عثمان التزامه بهذه الفلسفة وعمله بها، إبان الفتنة الكبرى، وهو دفع حياته ثمناً لهذا الالتزام، فإذا آلت الخلافة إليه، من بين الستة الذين اختارهم عمر، استناداً إلى التزامه للمحكم عبد الرحمن بن عوف بالعمل وفق كتاب الله وسنة نبيه وسنة الشيفيين اللذين سبقاه، أبي بكر وعمر، إلا أنه انقلب على التزامه هذا المصلحة التزامه بتلك الفلسفة، ففي حين قال أبو بكر في خطبة خلافته «أيها الناس، وليت عليكم ولست بخيركم، فإن أساءت فقوموني»، وقال عمر في خطبة خلافته «إن رأيتم في اعوجاجاً فقوموني»، وهو مفهوم واضح صريح لديهم أن خلافة أو إمارة كلّ منهما جاءت من الناس، وليس من الله، وأنّ لهؤلاء الناس «الأمة أو الشعب» أن يقوموا الخليفة إن حاد عن جادة الصواب، أو انحرف عن سداد الحكم، نجد أن الأمر اختلف تماماً عند عثمان عندما أراد معارضوه أن يعزلوه، فقال لهم «كيف أخلع قميصاً ألبسنيه الله؟ . . .» وهو قول يصدر عن اعتقاد بأن الخلافة جاءته من عند الله، وأنه ليس لغير الله أن يعزله منها^(١)، مؤسساً لأنحراف خطير في مفهوم الخلافة / الملك سيطبع مستقبل الأمة الإسلامية لأربعة عشر قرناً

وتحولت ثورة محمد من دين لهداية البشر وحماية المستضعفين إلى باب للملك والسلطان وتکديس الثروات . . .

ولم تفلح محاولات ابن عم النبي، علي ابن أبي طالب ومن حوله، ولا الثورات التي قاد إحداها ابنه الإمام الحسين سبط رسول

(١) محمد سعيد العشماوي - الإسلام والسياسة.

الله، ثم تبعه آخرون، في وقف الانهيار، فأرستقراتية قريش كانت بالمرصاد للثأر من محمد، واستعادة ما سلبها، مطوعة كلّ الوسائل الممكنة، في ميكافيلية فائقة، حيث «كان منحى العمل عند معاوية يتمثل في فن استغلال العالم، أمّا عند علي فكان يتمثل في فن تحرير العالم» كما يشير أدونيس . . .

مستنداً إلى ما أُسست له مرحلة عثمان، انطلق معاوية في الثار لانكسار أبيه أبي سفيان بن حرب، وأمه هند بنت عتبة، كاهنة اللات وأكلة كبد الحمزة عم النبي، وللطبقة التي انتمى إليها ذووه، وبدأ كاتب بعض رسائل النبي (لا كاتب الوحي)، كما تحاول بعض الكتابات إيهامنا) مشروعه الكبير المستند إلى وصية أبيه لعثمان، فسنّ سنة سار عليها خلفاؤه من ذرية أميّة، ثمَّ جلادوهم العباسيون، في هدم الدين وتعزيز الدولة والسلطان المتوارث . . .

هذا السلطان الذي لم يكتفي بإقامته على أنقاض الدين، بل استخدم الدين لتسويقه وتمكينه، فهو ردّ مقوله أبيه بأنه الملك، ومقوله عثمان بالقميص الذي أليسه الله، قائلاً: «إِنَّ خَلَاقَنَا أَمْرٌ سَابِقٌ فِي قِضَاءِ اللَّهِ وَقُدْرَتِهِ»، مكرّساً مبدأ الجبرية المخالف لرسالة محمد، ومطبياً هذا المعنى حين كان يردد: «الْأَرْضُ لِلَّهِ، وَأَنَا خَلِيقُهُ اللَّهِ، فَمَا أَخْدَتُ فَلِي، وَمَا تَرَكْتُهُ لِلنَّاسِ فِي الْفَضْلِ مُنْتَيٌ» . . .

وقد لخص ابنه، (خليفة رسول الله) يزيد بن معاوية، حفيد أبي سفيان، الأمر برؤته، حين قال، (على لسان ابن الزبوري) لدى قتله الحسين سبط رسول الله:

ليت أشياعي ببدر شهدوا جَزَعُ الْخَرْجِ مِنْ وَقْعِ الْأَسْلِ

لعبد هاشم بالملك فلا خبر جاء ولا وحي نزل

في شمائل فتحة بأتبع محمد، وإنكار لرسالة إلهية أو صلت الملك إليه، وترديد وقع لمقولة جده (وما أدرى ما جنّه ولا نار)، التي تأكّدت كثيراً لبني أمية في حكمهم للأمة بعد انتقامهم من محمد، ووادهم دينه، فها هو عبد الملك بن مروان (الخليفة رسول الله الآخر) الذي كان من أشهر فقهاء المدينة، ما إن أفضى إليه أمر الخلافة وكان المصحف في حجره، حتى أطبه وقال «هذا آخر عهدي بك»، ثم خطب في المسلمين من على منبر النبي «والله لا يأمرني أحد بتقوى الله بعد مقامي هذا إلا ضربت عنقه»⁽¹⁾.....

ثم ها هو الوليد بن يزيد، (الخليفة رسول الله الآخر)، من بعدهما، يخرق القرآن بالنيل ويخاطبه:

أتوعد كل جبار عنيد
فها أنا ذاك جبار عنيد
إذا لقيت ربك يوم حشر

وهو كان لشخص رؤيته ورؤيه أسلافه لدين محمد، بقوله:

تلذّكري الحساب ولست أدرى
أحنا ما تقول من الحساب
ونقل الله يمنعني طعامي

ليختصر هذه الرواية بالقول:

سجد الساجدون لله حقاً
وجعلنا سجودنا للقنانى

(1) المرجع السابق.

ولعل قراءة سيرة عمر بن عبد العزيز، الأموي الاستثناء، تمنحنا المثال الأسطع على وأد آل أمية لدين محمد ولسته الصحيحة، فإذاً أعاد عمر العمل بالستة الصحيحة لمحمد، والتزم كتاب الله، ورداً المظالم، وأقام العدل، ومنع نهب آل البيت الأموي لبيت مال المسلمين، في ثورة على سنة أسلافه وفجورهم، بادرت الأسرة إلى تسميمه وإزاحته عن الطريق بعد أربعة عشر شهراً من توليه الخلافة التي شكلت نكوصاً عن الرؤية الأموية للدين والحكم، أي الرؤية التي تأسست على تثبيت أوتاد الدولة ودق المسامير في نعش الدين الذي جاء به محمد . . .

وخلال فترة قياسية بمعادلات التاريخ، تم تشويه صورة الإسلام الصحيح، وعمَّ الكذب على لسان النبي، وساد قتل الأتباع بعضهم البعض، وأُسْسِت مدارس لتحريف الشرع الإلهي، وفتحت دكاين لوضع شرع جديد يخدم السلطان وببرره، ويكرس عودة الإقطاع للسيطرة على المجتمع، وشرع جديد آخر، يعارض هذا السلطان وبكرره، مؤسسين كليهما لأكثر من فقيه بديل قاتل للفقه الإسلامي الذي جاء به محمد . . .

وفي جريمة تتعذر جريمة أهل الكتاب في تحريف كتابيهما، كما أشار القرآن، قام قاتلو الإسلام بإطفاء كلام الله وتشويه رسالة محمد، مستندين إلى مدرسة تأسست أركانها على ابتکار مفهوم عدالة الصحابة كلّهم، ومفهوم الناسخ والمنسوخ، ونسب أحاديث كاذبة إلى النبي، وتدوينها في كتب حلت محل القرآن، وابتداع مذاهب متعارضة ضمن

الدين الواحد، تقوم كلّها على الشرك بالله، من خلال تقديم الإيمان بالأحاديث المختلفة ويفقه الأئمة والأولياء على شرع الله... .

وانطلت اللعبة على الجميع على امتداد أربعة عشر قرناً، وتتكلّف الجهل بإقناع الأمة بتقدیس قتلة دینها، والدعاء لهم برضى الله، والاكتفاء بالحسنة على عز زائل واجترار فقه مشوّه، وتکفير العقل... .
ولم تتكلّف السنون الألف والأربعينية في إصلاح الخلل، وإن تخلّلتها بعض حركات الإصلاح المتبااعدة، والمتنافرة، وبدا أن الزمان يلعب لمصلحة أعداء الدين الصحيح.

ووصل المسلمين إلى قرنهم الهجري الخامس عشر بأسوأ حالٍ مما كانوا عليه في أيّ مرحلة من مراحل تاريخهم... .

جوقات متاثرة.....

بعضها تجترّ فقة السلف، الذي لم يكن كله فقيهاً موقعاً، وتستحضر أحاديث كاذبة تُسبّب إلى النبي، بانتقائية جاهلة، فتُطلق فتاواها المضللة للشعوب، وتحلل وتحرم، وتشوه مفهوم الجهاد والعلاقة مع الآخر، معتمدة حمامات الدم في بلاد الإسلام، رغم أنّ بعض فقهائها هم من بارك الصلح مع العدو، الذي سبق أن دعانا للجهاد ضده والتضحيّة تحت اسم الإسلام، كما تزود أتباعها بفتياً مخجلة وأحكام يندى لها الجبين، كوجوب إرضاع المرأة العاملة لزملائها في العمل تيسيراً للاختلاط، وابتکار أشكال جديدة للزواج ما أنزل الله بها من سلطان، كزواج المسيار، والوناسة، والإنجاب، والفريند، والمصياف، وتخرج عليهم بقراءة غبية لوقائع تاريخهم، فتحاول

إقناعهم أن صحابة النبي كانوا يتبركون بشرب بوله والتمسح بنخامه ومخاطه، ثم هي بعد ذلك تكفر من خالفها رؤاها القاصرة... .

وبعضاها تمتلك تنظيف سير الأولين، وإضفاء هالة من قداسة كاذبة عليهم، مخالفة كل كتب السير والتاريخ التي تركها السابقون، في مسعى غير موفق لتبرير ما لا يعقل تبريره... .

هاتان الجوقتان حولتا الفكر الإسلامي من أن يكون صياغة للواقع وترشيداته، إلى أن يكون تبريراً لهذا الواقع، يمنحه غطاءً ايديولوجيًّا ومشروعية دينية زائفه، كما يشير أبو زيد... . وخلطتا الأعراف والممارسات الاجتماعية السابقة بالنهي أو التحريم، في إطار «شرع من كان قبلنا»، أو «الاستحسان»، أو «المصالح المرسلة»، ومفهومي «المندوب» و«المكرور»، وبدأ «سد الذرائع» السقيم، وهي اجتهادات لم يقرها القرآن الكريم... .

﴿شَرَعْنَا لَهُم مِّنَ الَّذِينَ مَا لَمْ يَأْذِنْ يَدُ اللَّهِ﴾⁽¹⁾.

﴿وَلَيَأْتِهِمْ لِيَصْدُونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ﴾⁽²⁾.

﴿قَدْ ضَلَّوْا مِنْ قَبْلٍ وَاضْلَلُوا كَثِيرًا وَضَلَّلُوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾⁽³⁾.

على أنّ الجريمة الأكبر لهاتين الجوقتين كانت تكفير الآخر، المخالف لأي اجتهاد تعودوا اجتراره، متوجهين أنّ القرآن خاطب العقول قبل أي شيء آخر، وهو لم يطلب التسلیم بما جاء به لمجرد أنه

(1) سورة الشورى، الآية: 21.

(2) سورة الزخرف، الآية: 37.

(3) سورة المائدة، الآية: 77.

جاء بحكايتها، بل أدعى ويرهن، وحکى مذاهب المخالفين، ورداً عليها بالحججة، وخطاب العقل، واستهپن الفکر، وعرض الأکوان وما فيها من الإحکام والإتقان على أنظار العقول، وطالبها بالإمعان فيها لتصل بذلك إلى اليقين بصحة ما دعا إليه، وهم الجوقةان اللتان عناهما الإمام الشیخ محمد عبدہ بقوله:

«ولقد تجرأ بعض المتأخرین على تکفیر من يتأول بعض الظنيات، أو يخالف شيئاً مما سبق الاجتہاد فيه، أو ينکر بعض المسائل الخلافية، فجروق الناس على هذا الأمر العظيم، حتى صاروا يکفرون من يخالفهم في بعض العادات، وإن كانت من البدع المحظورات، ثم هم على عقائد الكافرین، وأخلاق المنافقین، ويعملون أعمال المشرکین، ويصفون أنفسهم بالمؤمنین الصادقین» . . .

وبعضها دفعت به ردود الفعل إلى أقصى الطرف الآخر، فانبرى للتشكيك والتکذیب، وعمل على إسقاط الأسس والمرتكزات، واستنباط الدلائل لتصوير الإسلام بدعة محمدية لا علاقة للخلق بها، وهي دلائل تستند لا إلى القرآن، ولكن إلى ترهات الجوقةان السابقتين وكتبهما وتفاسيرها المضللة

أما البعض الآخر، على قلته وصعوبة مهمته، بحكم تعزّزه للتهديد بالتكفير شمولاً له مع الفتنة السابقة، وهو منها براء، فيسعى لقراءة واعية، مدققة، متوازنة، تفرز الغث من السمين، وتوسس لإعادة صياغة وعي أتباع محمد بدينه وتاريخهم، عملاً بقول الحق «**﴿قُتِلَ أُولَئِكُمْ يَأْهَدُونَ مَا وَجَدُوا وَلَيَهُمْ أَيَّادٌ فِي﴾**^(۱) . . .

(۱) سورة الزخرف، الآية: 24.

وبين هؤلاء وهؤلاء، يضيع المسلم الفرد، وينشأ الإحساس بالفراغ الذي يؤدي إلى فشل ذريع في معالجة مشكلات المجتمع المتتجدة والمتتصاعدة زمنياً، فتضطر مجتمعات المسلمين التي تجد نفسها متراجعة حيث يتقدم الآخرون، وتعود العصبيات المذهبية ممارسة أبغض إفرازاتها، بعد أن هدأت لقرون....

ويثور السؤال في العالم غير الإسلامي، منذ عدة قرون، لماذا يرتبط التخلف بالإسلام حيث وُجد؟، وهو سؤال يتيه عن صياغته الصحيحة، لماذا يرتبط التخلف بالمسلمين؟ لا بالإسلام... ولماذا تخلف المسلمون وتقدم الآخرون؟....

وحيث لا يجادلن أحدٌ في وجود عيب في الإسلام، أو قصور فيه، فتمة حاضنة أخرى للعيوب والقصور، طبعت العقل الجمعي للمسلمين، وحكمت آفاق وعيهم، أسمها الموروث الذي اصطلح على تسميته بـ «التراث»، الذي لم يكن في معظمها، إلا أفكاراً واجتهادات لفقهاء سخّرهم السلطان، وساقتهم المصالح، للابتعد عن المضامين الصحيحة للدين الذي جاء به محمد.. .

هذه الحاضنة المعيبة، أي المنظومة الأصولية التي كانت في أغلبها نتاجاً لعصور الانحطاط، لا عصر محمد، وشكلت دائماً محقة لحواضر المسلمين ومستقبلهم، هي ما يتوجب غربلتها وشطفها والإمعان في النظر فيها، ومراجعة مسلماتها ويديهياتها، وصولاً إلى قطعها واستئصالها - إن تطلب الأمر - والانطلاق مجدداً من البدائيات الأولى، كما لو كنا اليوم شهود عصر الرسالة، وكما لو كان محمد بن عبد الله لا يزال يبنتنا....

إنَّ إِعادَة صياغَة الوعي الإِسلامي، فِي عَصْر انتشارت فِيهِ المَعْارف وَاضْسَحَتِ الْأَمْيَة، وَكثُرتِ الجَامِعَاتُ وَمَرَاكِزُ الْأَبْحَاث، وَبَابَاتِ الْإِنْتَرْنَتِ وَسِيلَةً لِلطَّوَافِ الْلَّهُظِيِّ حَوْلِ الْعَالَمِ وَأَفْكَارِهِ وَتَجَارِيَهِ، تَسْتَلزمُ إِعادَة النَّظرِ فِي مَفَاهِيمٍ كَثِيرَةٍ، بَعِيدًا عَنْ انْغْلَاقِ الْفَكْرِ، وَالْمُوقَفِ الْمُسْبِقِ، وَتَكْفِيرِ الْآخَرِ، بِدَاءً مِنْ إِدْرَاكِ الْمَفْهُومِ الصَّحِيحِ لِلَّدِينِ كَمَا أَرَادَهُ الْخَالِقُ، وَدِرَاسَةِ مجَمِعِ الصَّحَابَةِ الَّذِينَ نَهَضُوا بِهِذَا الدِّينِ، وَإِبَادَةِ الْقَدَاسَةِ عَنْ أَفْرَادِهِ وَإِرْجَاعِهِمْ بِشَرَأْ حَقِيقَيْنِ لَا مَلَائِكَةَ، وَدِرَاسَةِ تَجْرِيَتِهِمْ، وَقِرَاءَةِ النَّصوصِ قِرَاءَةً عَقْلَانِيَّةً فِي ضَوءِ النَّصِّ الإِلَهِيِّ الْمُعْجزِ، وَتَنْظِيفِ الْمُورُوثِ مِنْ أَكَادِيْبِ انْطَلَتْ، وَاجْتِهَادَاتِ لَمْ تَكُنْ مُوفَّقةً، أَوْ هِيَ لَمْ تَعْدْ صَالِحةً، مَعَ التَّأْكِيدِ عَلَى الْجَوَانِبِ الْأَيْجَابِيَّةِ فِيهِ، وَتَجْدِيدِهَا وَصَوْغَهَا بِلُغَةٍ مُنَاسِبَةٍ لِعَصْرِنَا تَسْقُ معَ إِصْرَارِنَا عَلَى صَلَاحَةِ هَذَا الدِّينِ لِكُلِّ زَمَانٍ وَمَكَانٍ

وَهُنَا، بَعْضُ الإِضَاءَاتِ فِي مَحاوِلةٍ مُتوَاضِعَةٍ لِإِعْمَالِ الْعَقْلِ فِي فَهْمِ مَا جَرَى وَضَعَهُ فِي خَانَةِ الشَّوَّابِتِ، وَمَا هُوَ كَذَلِكُ، مَعَ الالتزامِ بِالنَّصوصِ فِي إِطَارِ إِرْجَاعِهَا إِلَى النَّصِّ الإِلَهِيِّ الْكَرِيمِ كِمَرْجِعِيَّةٍ وَحِيدَةٍ بِمَعْزَلٍ عَنِ الْمَرْجِعِيَّاتِ الزَّائِفَةِ الَّتِي أَقْحَمَتْ لَاحِقًا، فِي عُودَةِ إِلَى جُذُورِ الرِّسَالَةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ الصَّحِيحَةِ الْقَائِمَةِ عَلَى كِتَابِ اللَّهِ وَنَهْجِ رَسُولِهِ الْكَرِيمِ فَقْطَ وَدُونَ التَّحْرِيفَاتِ الْلَّاحِقةِ :

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِءَابَاءَنَا أَوْلَوْ كَانَءَابَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾⁽¹⁾.

(1) سورة المائدة، الآية: 104.

وانفتاح على الآخر المطالب بالرد من خلال النقاش الموضوعي، الهدف، وتحكيم هذا العقل الذي كرمَنا الله تعالى به ودعانا لِإعماله:

﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْءَانَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَفْنَاهَا﴾⁽¹⁾.

إن نفض الغبار عن عقولنا، وإزالة الصدأ المتراكم في أفكارنا، وفك الارتباط بين النص الإلهي والنarrative البشري برفع القداسة عن البشري كمدخل لإعادة امتلاك الإلهي، وحده الكفيل باستعادة دين محمد وإخراجنا من القرن الثاني الهجري، ونقلنا إلى حيث يجب أن تكون، وحيث أراد لنا الله الذي قال:

﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾⁽²⁾.

آملين أن لا تبقى «كتتم» فعل ماضٍ أبدى

(1) سورة محمد، الآية: 24.

(2) سورة آل عمران، الآية: 110.

ما هو الإسلام؟

أيُّ إسلام أراده الله؟

- «إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ»
- «وَمَنْ يَتَبَعْ خَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ»
- «وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ»

في الموروث الإسلامي المستند إلى (السلف الصالح)، بشقيه السنوي والشيعي أنَّ الإسلام هو الدين الذي بلَّغه محمد (ص) فقط، فمن اتبَعَه كان مسلِّماً، ومن لم يتبَعَه كان كافراً، وأن ديانات التوحيد الأخرى كاليهودية والمسيحية لم تعد مقبولة لدى الله عزَّوجلَّ بمجرد بدء الرسالة المحمدية، مما يستتبع مآل أتباعها إلى جهنَّم، في حين ستبقى الجنة محجوزةً لأتباع الرسالة المحمدية فقط . . .

وقد أَصَّلَ هذا الفهم لمفهوم (الجهاد) الذي نلمسه اليوم، وبات يطُلُّ علينا بعد أن انذر ونام . . .

وهو المفهوم الذي يقوم على الجهاد ضد (الآخر)، وهذا (الآخر) يشمل كلَّ الناس خارج دائرة أتباع الشريعة التي جاء بها محمد . . . أكثر من ذلك، وأخطر من ذلك، تختلف الفرق الإسلامية فيما بينها، وتدعى كلُّ منها امتلاكها للإسلام الحقّ، وحدها دون غيرها، في تقزيم هائل لمفهوم الإسلام . . .

ما مدى صحة هذا الفهم؟

هل سيذهب أربعة أخماس سكان الأرض، على امتداد الزمان، منذ عام 610 م، عامبعثة، حتى يوم القيمة إلى جهنَّم، حتى لو آمنوا بالله حسب معتقداتهم، وعملوا صالحاً؟ لا يتعارض هذا مع عدل الله جلَّ وعلا؟ . . . أليس:

﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾⁽¹⁾

﴿وَنَعْصَيْ الْمَوْزِينَ الْقَسْطَلَ لِئَلَّا الْقِبَسَةَ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبْكَفَوْ مِنْ حَرَدَلِ أَتَيْنَا يَهَا وَكَفَنَ يَنَا حَسِيبَنَ﴾⁽²⁾

ما ذنب سكان سيبيريا، أو الصين، أو غيرهم ممن لم تصلكم دعوة محمد؟ هل يحشرون في النار لمجرد أنهم لم يخلقوا في الجزيرة العربية أو جوارها؟ ولم تتح لهم فرصة معرفة هذا الدين، بغياب الفضائيات والإعلام منذ القرن السابع، وحتى العشرين الميلاديين؟

ألم يقل الله في محكم كتابه:

﴿ذَلِكَ أَنَّ لَمْ يَكُنْ رَبِّكَ مُهْلِكَ الْقَرَى بِطُولِيْرِ وَاهْلِهَا غَفِلُونَ﴾⁽³⁾

﴿وَمَا كَانَ مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ يَبْعَثَ رَسُولًا﴾⁽⁴⁾

﴿وَمَا آهَلْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا مَا مُنْذِرُونَ ﴿٢٨٥﴾ ذِكْرِي وَمَا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾⁽⁵⁾

وما جدوى الصلوات التي يتوجه بها أتباع الديانتين اليهودية وال المسيحية إلى ربهم؟ هل يقبلها الله أم يعرض عنها، وهو القائل:

﴿أَدْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُو﴾⁽⁶⁾؟

وهل سيذهب الكتابيون الصالحون الذين توفاهم الله قبل البعثة

(1) سورة الزمر، الآية: 7.

(2) سورة الأنبياء، الآية: 47.

(3) سورة الأنعام، الآية: 131.

(4) سورة الإسراء، الآية: 15.

(5) سورة الشورى، الآيات: 208/209.

(6) سورة غافر، الآية: 60.

المحمدية بسنة واحدة إلى الجنة، في حين يذهب من مات بعد سنتين أو ثلاثة إلى النار، لمجرد أنَّ الله مَدَّ بعمره بضع سنين فعاصر الدعوة؟؟؟

وهل كلُّ الكتابيين كفراً؟.. وقد قال الله فيهم:

﴿لَيَسْوُ إِنَّمَا أَهْلُ الْكِتَابُ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتَلَوَّنُ عَائِدَةَ أَتَيْلَ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ۝ ۱۱۳﴾ يؤمنون بالله واليوم الآخر وأمروت بالمعروف ونبهون عن المنكر وترغبون في الخيرية وأولئك من الصالحين **﴿۱۱۴﴾** وما يفتكوا من خير فلن يُكْفَرُوا وَاللَّهُ عَلَيْمٌ بِالْمُتَّقِينَ **﴿۱۱۵﴾**

هل سيذهب باستور و غاليليو وأديسون والعلماء الآخرون الذين عملوا الصالحات وأبدعوا لقاحات الأمراض والأوبئة، والاختراعات الأخرى التي أفادت البشرية وأنقذت الملايين من الموت والهلاك، وأضاءات العالم، إلى جهنّم، لمجرد أنهم لم يكونوا مسلمين على شريعة محمد، في حين يذهب بعض الدراويش الجهلة ممن لم يقدموا لعباد الله أية منفعة إلى الجنة، لمجرد أنهم (مسلمون) بالوراثة؟.

وإذا كان الله (علم الإنسان ما لم يعلم)، فلماذا علم هؤلاء الذين نسيّهم (كفرة) كلَّ هذا العلم النافع، وحرم (المسلمين) منه قروناً؟... (سمعت جواباً غبياً مستفزًا من أحد مشايخ الفضائيات الذين ابْشَلُوا بهم العالم الإسلامي، يقول - لا فُضَّلَ فوه - : إنَّ الله

(1) سورة آل عمران، الآيات: 113/115.

علّمهم كل هذا العلم، ليسخرهم لخدمة المسلمين، فهم يدعون ربّخـرـعـونـ، ونـحنـ نـسـتـهـلـكـ . . .)، دون أن تفوتنا ملاحظة أنـاـ نـتـهـمـ هـؤـلـاءـ المـخـتـرـعـينـ والمـبـدـعـينـ بـالـكـفـرـ وـالـإـلـحـادـ وـالـانـهـيـارـ الأخـلاـقيـ، مـتـنـاسـينـ ماـ أـوـصـلـنـاـ إـلـيـهـ تـدـيـنـاـ الكـاذـبـ وـأـخـلـاقـنـاـ العـالـيـةـ (؟).

كان محمد خاتم الأنبياء، أي آخرهم ..

فإذا كان ما بشّر به محمد فقط، دون غيره من الديانات، هو وحده الإسلام، فكيف نفهم كلام الله عن كلّ أنبيائه ورسله منذ نوح أنّهم مسلمون؟ مع أنّهم جميعاً سبقوا الدعوة المحمدية؟.

لتتابع :

* نوح :

﴿فَإِنْ تُؤْتَنْتُمْ فَمَا سَأْلَكُمْ إِنْ أَجْرٌ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾⁽¹⁾ فَكَذَبَهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفَلَقِ ﴾٧٣﴾

* إبراهيم :

﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصَارَائِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا﴾⁽²⁾.

* لوط :

﴿فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾⁽³⁾ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَرَّ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾٦٦﴾

(1) سورة يونس، الآيات: 72/73.

(2) سورة آل عمران، الآية: 67.

(3) سورة الزاريات، الآيات: 35/36.

* يعقوب:

«وَوَعَىٰ لَهَا إِبْرَاهِيمَ بْنَهُ وَيَعْقُوبُ يَدْبَرِيَ إِنَّ اللَّهَ أَضْطَفَنِ لَكُمُ الَّذِينَ فَلَا
تَحْمِسُنَ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ»⁽¹⁾.

* يوسف:

«رَبِّنَ قَدْ أَتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطَّرَ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضَ أَنْتَ وَلِيَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوْصِيَ مُسْلِمًا وَالْحَقِيقَى بِالْمُصْلِحِينَ»⁽²⁾.

* موسى:

«إِنَّا أَزَلْنَا الْوَرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ
أَسْلَمُوا»⁽³⁾.

* سحرة فرعون يخاطبونه بعد أن اتبعوا دين موسى:

«وَمَا نَنْقُمُ إِنَّا إِلَّا أَنْ ءَامَنَّا بِمَا كَانَتْ رَبِّنَا لَنَا جَاءَنَا رَبِّنَا أَفْرَغَ عَلَيْنَا صَبَرًا
وَنَوْفَنَا مُسْلِمِينَ»⁽⁴⁾.

«وَجَهْرَنَا يَبْنَى إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَبْعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَعْنَى وَعَدُوًا حَتَّىٰ إِذَا
أَذْرَكَهُ الْفَرْقَ قالَ ءَامَنَتْ أَنِّي لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي ءَامَنَتْ بِهِ بَنُوا إِسْرَائِيلَ وَلَنَا مِنَ
الْمُسْلِمِينَ»⁽⁵⁾.

(1) سورة البقرة، الآية: 132.

(2) سورة يوسف، الآية: 101.

(3) سورة المائدة، الآية: 44.

(4) سورة الأعراف، الآية: 126.

(5) سورة يونس، الآية: 90.

* عيسى المسيح :

﴿فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى بِهِمُ الْكُفَّارَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَاتِلٍ
الْعَوَارِيُّونَ هُنَّ أَنْصَارُ اللَّهِ عَامَنَا بِاللَّهِ وَأَتَهْمَدُ بِإِيمَانِ الْمُسْلِمِينَ﴾⁽¹⁾

كل هؤلاء ومن تبعهم سماهم الله مسلمين ورضي عنهم، وجعل
ما لهم إلى الجنة، فهل غير الله (حاشاه) موقفه منهم ومن تابعيهم بدءاً
من العام 610 م؟

بالطبع لا... يقول الله تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا
وَالظَّاهِرُونَ وَالضَّاهِيُّونَ مِنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرٌ
عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خُوفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزُنُونَ﴾⁽²⁾.

إن كلمة إسلام في لغة القرآن لا تشير إلى دين واحد، بل إلى جميع
الأديان منذ مولدها في فجر الحضارة، وإطلاق الحنيفيَّة على يد
إبراهيم، «ما كان إبراهيم يهودياً ولا نصرانياً، ولكن كان مسلماً» أي
حنيفياً، والإسلام ليس ديناً إضافياً، بل هو نظام شامل يحتوي جميع
الأديان السماوية، التي تشاركت في أسس توحيد الخالق وبناء الإنسان
والعالَم، ﴿وَقُلْ إِنِّي نُهِيَّتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُنْوِنِ اللَّهِ كُلَّمَا جَاءَتِي
إِلَيْهِمْ وَأَرِيَتُ أَنَّ أُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾⁽³⁾، وما كانت رسالته
محمد إلا تجدیداً للتَّوْحِيدِيَّةِ الْحَقِيقَةِ، وإن جاءت إلى مجتمع مشرك لا
يأبه بهذه التَّوْحِيدِيَّةِ...⁽⁴⁾

(1) سورة آل عمران، الآية: 52.

(2) سورة البقرة، الآية: 62.

(3) سورة غافر، الآية: 66.

(4) هشام جعيط - الوحي والقرآن والنبوة.

﴿فَلَمْ يَأْمُرْنَا بِالْكُوْنَةِ وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوْقِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَالنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا يُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَمْ نُؤْمِنْ بِمُسْلِمِوْنَ﴾⁽¹⁾

وهذا هو الإسلام الذي لن يقبل الله سواه:

﴿وَمَنْ يَتَّبِعْ عَدِيرَ الْإِسْلَامِ دِيَنًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَسِيرِينَ﴾⁽²⁾.

فإذا كان الدين عند الله هو الإسلام، ولا يقبل الله إلا الإسلام ديناً، وسمى الله كل هؤلاء المسلمين، دون أن يقتصره على أتباع محمد، فما هو التعريف الصحيح للإسلام؟ ومن هو المسلم؟

هو ما حددته الله في الآية التي سبق ذكرها في:

﴿مَنْ يَأْمُنْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا﴾⁽³⁾ والمسلمون هم من عرفهم الله بالمتقين ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيَعْمَلُونَ الصَّلَاةَ وَمَا رَزَقَهُمْ يُفَرِّقُونَ﴾⁽⁴⁾ ﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوْقِنُونَ﴾⁽⁵⁾ معتبراً أن ﴿أَوْلَئِكَ عَلَى هُدَىٰ مِنْ رَبِّهِمْ وَأَوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾⁽⁵⁾ من أتباع موسى وعيسى ومحمد صلوات الله عليهم، وربما أنبياء آخرين لم يقصص الله قصصهم علينا... .

(1) سورة آل عمران، الآية: 84.

(2) سورة آل عمران، الآية: 85.

(3) سورة البقرة، الآية: 62.

(4) سورة البقرة، الآيات: 3، 4.

(5) سورة البقرة، الآية: 5.

وأكّد ذلك تكراراً في العديد من الآيات:

﴿وَمَنْ أَحْسَنْ فَوْلًا يُمَنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾⁽¹⁾

﴿وَمَنْ أَحْسَنْ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾⁽²⁾

ألا تدلنا هذه الآيات أن المسلم هو كل من آمن بالله الواحد، وبال يوم الآخر /البعث والحساب/ ، وعمل صالحاً وأحسن إلى عباد الله . . .

ثم، أليس مدلول الآيات قاطعاً في أن من لم ي عمل صالحاً ولم يحسن فهو غير مسلم، حتى لو صلى وصام وأدى من الطقوس والشعائر ما اعتبره فقهاء السلف (أركاناً للإسلام) في عملية شوهرت الدين وحنته في قالب أداء هذه الطقوس والشعائر فقط، وهي ربما تكون طقوساً للإيمان وفق شرعة محمد، لا أركاناً للإسلام العام الشامل الذي يطال كل الديانات السماوية على اختلاف طقوسها . . .

لماذا لم يقل الله: من أحسن ديناً ممَّنْ صلَّى وصَامَ حسب الشرعة المحمدية حسراً؟

ولماذا ركز القرآن الكريم في العديد من آياته ، على العودة بالجذور إلى ملة إبراهيم الحنيفة التي هي منبع كل الديانات اللاحقة لها؟ . . . ألم يكن محمد حنيفياً ملتزماً، قبل الدعوة؟ مثل آخرين سبقوه،

(1) سورة فصلت، الآية: 33.

(2) سورة النساء، الآية: 125.

عبد الله بن جحش / ابن عمته /، وعثمان بن الحويرث، وورقة بن نوفل، وأمية بن أبي الصلت، وزيد بن عمرو بن نفيل، وقبل ذلك جده عبد المطلب (الذي كان إبراهيمياً وصاحب ملة، ويتحتف كل رمضان في غار حراء، حسب ما أورد ابن كثير وابن هشام والمسعودي والسيوططي)، وأرباب بن رئاب، وسويد بن عامر، ووكيع بن سلمة، وعمير بن جندب، وصرمة بن أبي أنس، وعامر بن الظرب، وزهير بن أبي سلمة، وعالف بن شهاب، والمتملس بن أمية، وكعب بن لؤي بن غالب، وزيد بن حصين، وأكثم بن صيفي، وأبو قيس بن الأسلت، وحنظلة بن صفوان، وزاد ابن الجوزي على هؤلاء (أبا بكر الصديق، ورباب بن البراء، وأسعد بن كريب الحميري، وقس بن ساعدة الأيادي، وأبا قيس بن صرمة . . .). وإن امتاز عمن سبقوه من الأحناف الذين كان كلّ منهم يبحث عن خلاصه الشخصي، بأن اصطفاه الله واجتباه لتحقيق خلاص الآخرين . . العالمين، بدعوتهم لاعتناق الحنيفية تحت عنوان الإسلام . . . معتبراً أن:

«الحنفية» هي الدين القيم والصراط المستقيم:

«إِنَّمَا هَذِهِنِي رَبِّي إِلَى صِرَاطِي مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيمًا مِلَّةً إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا»⁽¹⁾.

الصراط المستقيم = الدين القيم = حنيفية إبراهيم التي دعت إليها الرسالات السماوية كلها . .

(الآية الأخيرة ذات مدلول هام وخطير، وهي تبيّن لنا مدى الخطأ الكبير الذي وقع فيه معظم مفسري القرآن، حين خرجوا علينا بتفسير

(1) سورة الأنعام، الآية: 161.

مشين وضع أساساً للعلاقة الملتبسة مع أهل الكتاب، حين فسروا الجزء الثاني من سورة الفاتحة، «إهدنا الصراط المستقيم * صراط الذين أنعمت عليهم، غير المغضوب عليهم، ولا الضالين» فاعتبروا المغضوب عليهم هم الكتابيين اليهود، والضالل هم الكتابيين النصارى، في تعميم وإطلاق مستهجنين / انظر تفسير الجلالين مثلاً /، رغم أنهم أتباع ملة إبراهيم التي هي الصراط المستقيم، الذي ندعوه الله أن يهدينا إليه، ورغم أننا نقول إن القرآن يفسّر بعضه ببعضاً... .

ألم يؤكد الله هذا المعنى مرة أخرى، أي إنَّ الإسلام هو ملة إبراهيم، وال المسلمين هم كلَّ أتباع هذه الملة، حين قال:

﴿قَلْ أَيُّكُمْ إِنْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّنُكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلٍ﴾⁽¹⁾.

و دعاهم لاتباع هذه الملة، دون غيرها:

﴿قُلْ صَدَقَ اللَّهُ فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِنْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾⁽²⁾.

وهو، ~~غَرِيبُونَ~~ ، لا يقبل الخروج عن هذه الملة:

﴿وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِنْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ﴾⁽³⁾.

تورد بعض المصادر الإسلامية أن مصحف ابن مسعود كان يقرأ: «إن الدين عند الله الحنيفة...» في مرادفة ذات دلالة كبيرة، تحسم مساواة الإسلام بالحنيفية التي كانت أساس الديانات السماوية منذ إبراهيم . . .

(1) سورة الحج، الآية: 78.

(2) سورة آل عمران، الآية: 95.

(3) سورة البقرة، الآية: 130.

وإلاً لِمَا فَرَضَ الْقُرْآنُ الإِيمَانَ بِالْأَنْبِيَاءِ وَالرَّسُلِ الْآخَرِينَ، وَاعْتَبَرَ كُتُبَهُمْ مَقْدَسَةً مِنَ الْمَصْدَرِ الْإِلَهِيِّ الْجَلِيلِ ذَاهِهً؟ وَلِمَاذَا اعْتَبَرَ الإِيمَانَ بِهَا شَرْطًا لِصَحَّةِ الإِيمَانِ بِهِ؟ :

﴿فَلَمَّا آتَيْنَا يَٰٰلَّهُ وَمَا أُنزَلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنزَلَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَالنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نَفِقَ بَيْنَ أَحَدٍ وَمِنْهُمْ وَنَحْنُ لَمُّوسِلُمُونَ﴾⁽¹⁾

﴿وَأَنْزَلَ الْتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ ﴿٢﴾ مِنْ قَبْلِ هَذِهِ لِلنَّاسِ وَأَنْزَلَ الْقُرْآنَ ﴿كُبَرَ﴾⁽²⁾

لَا نَفِقَ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ هُؤُلَاءِ الْأَنْبِيَاءِ وَالرَّسُلِ، وَنَحْنُ مُسْلِمُونَ لِلَّهِ تَبَعًا لِشَرْعَةِ كُلِّ مِنْهُمْ . . . أَيْ إِنَّ كُلًا مِنْهُمْ حَمِلَ رِسَالَةَ الْإِسْلَامِ، وَجَاءَ مُحَمَّدٌ لِيَخْتَمَهَا وَيَتَمَّمَهَا وَيُعَدَّلَ مَا حَرَفَ مِنْهَا، لَا لِيُؤَسِّسَهَا نَاسِخًا : مَا قَبْلَهُ :

﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَىٰ نُوحٍ وَالنَّبِيِّ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسَلِيْمَنَ وَأَتَيْنَا دَاؤِدَ زَبُورًا ﴿١٦٦﴾ وَرَسُلًا قَدْ فَصَّلَّيْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلٍ وَرَسُلًا لَمْ يَنْفَعْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَمُ اللَّهِ مُوسَىٰ تَكَلَّمُوا ﴿١٦٧﴾ رُسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِغَلَّا كُونَ لِلنَّاسِ عَلَىٰ اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرَّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٦٨﴾⁽³⁾

﴿وَلَا يُجَدِّلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا يَأْتِيَهُ أَحَسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ

(1) سورة آل عمران، الآية: 84.

(2) سورة آل عمران، الآيات: 3، 4.

(3) سورة النساء، الآيات: 163، 165.

وَقُولُوا مَا مَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُكُمْ وَجْدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ⁽¹⁾

وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَن يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ خَيْرٍ يَلْهُ لَا يَشَرُّونَ بِعِبَادَتِ اللَّهِ شَمَّانًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ⁽²⁾.

أَلَكِنَ الرَّاسِحُونَ فِي الْعَلَمِ يُنْهَمُ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَالْمُقِيمَنَ الصَّلَاةَ وَالْمُؤْمِنُونَ الْرَّكُونَ وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمَ الْآخِرِ أُولَئِكَ سَمَوَاتِهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا⁽³⁾.

وَلَكُلُّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مِنْكُمْ كَايِدَكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَفْعَمِ فَإِنَّهُمْ كُلُّهُمْ إِلَهٌ وَنَجْدٌ فَلَمَّا أَسْلَمُوا وَيَسِيرُ الْمُخْرِجُينَ ٣٤ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجَلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرُونَ عَلَى مَا أَصَابَهُمْ وَالْمُقِيمُ الصَّلَاةَ وَمَا رَزَقَهُمْ يُنْفَقُونَ⁽⁴⁾.

لَكُنَ اللَّهُ يَأْخُذُ عَلَى أَحْبَارِ الْيَهُودِ أَنَّهُمْ :

يُحَرِّفُونَ الْكِتَابَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًا مِنْ ذِكْرِهِ⁽⁵⁾.

وَأَنَّهُمْ تُولِّوْا وَأَعْرَضُوا عَنْ مِيثَاقِهِمْ مَعَ اللَّهِ :

وَإِذَا أَخْذَنَا مِيقَاتَنَا بَيْتَ إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِنْخَاصًا

(1) سورة العنكبوت، الآية: 46.

(2) سورة آل عمران، الآية: 199.

(3) سورة النساء، الآية: 162.

(4) سورة الحج، الآيات: 34، 35.

(5) سورة المائدَة، الآية: 13.

وَذِي الْقُرْبَىٰ وَأَيْتَكُمْ رَأْسَكُبَّيْنِ وَقُولُوا لِلثَّالِثِ حَسْنًا وَأَقْبَلُوا أَصْكَلَةً وَأَثْوَرُوا أَرْكَوَةً ثُمَّ تَوَلَّتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْكُمْ وَأَشْرَمْتُمْ مُعْرِضَوْنَ⁽¹⁾.

دون أن يلغى توراتهم، «وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِنْهُمْ أَتَوْرَاهُ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكُفَّارُونَ»⁽²⁾ في تشديد على وجوب التزامهم حكم الله في توراتهم التي أنزلت على موسى ، بعيداً عن تحريفات كتبهم اللاحقة ، التي هرطقتها الأخبار ..

كما عاب عليهم إنكارهم لرسالة عيسى المسيح ، وقولهم الباطل فيه وفي أمته البطلول

وعلى رهبان النصارى :

﴿فَتَسْوُ حَظَا مِمَّا ذَكَرُوا يِه﴾⁽³⁾.

أي نسوا بعضاً مما ذكروا به ، لا كلّه ، دون أن يلغى إنجيلهم «وَلَيَحْكُمُ أَهْلُ الْإِنْجِيلِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ»⁽⁴⁾ . . . في تشديد آخر على وجوب التزام النصارى أحكام الله في إنجيلهم كما أنزل على عيسى ، بعيداً عن التحريفات اللاحقة التي جاءت بها المجامع الكنسية بعد قرنين من عصر المسيح ..

وإذا علمنا أنّ تعاليم ومفاهيم المسيحية قد جاءت الجزيرة العربية

(1) سورة البقرة ، الآية : 83.

(2) سورة المائدة ، الآيات : 42 - 44.

(3) سورة المائدة ، الآية : 14.

(4) سورة المائدة ، الآية : 47.

من مصادرين قريبين متاخمين، من بلاد الشام حيث قبائل غسان الخاضعة لتبغية الروم، ومعها تغلب وقضاء ونجران، على المذهب اليعقوبي القائل بألوهة يسوع وبأنّ مريم أم الإله، ومن بلاد الحيرة ذات المذهب النسطوري الذي يعترف بالوحدانية المطلقة للإله، ويُكفر القول بتألّيه المسيح وأمه، معتبراً يسوع ما هو إلّا كلمة الله ألقاها الروح القدس إلى مريم العذراء البطل المضطفاة، بالإضافة إلى بعض تأثيرات المذهب الديصاني الذي يعارض الكنيسة في أمر الصليب وينفيه نفياً باتاً، على أساس أنّ من صلب ليس عيسى ابن مريم وإنما شبيه له، وأنّ الصلب ما كان ليطول «كلمة الله» و«روح الله»، نجد القرآن قد انحاز إلى النسطورية والديصانية في مواجهة اليعقوبية، ولم يكن قط منفرداً في رفض التحريف اليعقوبي.

لكنه يميّز بين الصالحين من أهل الكتاب، والضالّين منهم، ولا يعتبرهم جميعاً ضالّين:

﴿ثُمَّ أُرْتَدَا الْكِتَابَ الَّذِينَ أَصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَيَنْهَا مَظَالِمُهُ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَارِقٌ بِالْخَيْرَاتِ يَأْذِنُ اللَّهُ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾⁽¹⁾.

ثم يخاطب الفريقين:

﴿إِنَّا هَلَّ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا مُبَيِّنٌ لَكُمْ كَيْدًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفِونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنْ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ﴾⁽²⁾.

(1) سورة فاطر، الآية: 32.

(2) سورة المائدة، الآية: 15.

وهو يؤكد: «إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَفْصُلُ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ»⁽¹⁾.

في تطابق مع ذات المهمة التي كلف بها عيسى المسيح قبلًا «وَلَمَّا جَاءَ عِيسَى بِالْبُيُّنَاتِ قَالَ فَدَعَهُمْ إِلَيْهِ حِكْمَةً وَلَا يُؤْمِنُ لَكُمْ بَعْضُ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ فَأَنَّعُوا اللَّهَ وَأَطْبَعُونَ»⁽²⁾.

«وَمَا أَنَّزَلْنَا عَلَيْكُمْ كِتَابٌ إِلَّا لِتَبْيَنَ هُنَّ الَّذِي أَخْلَفُوا فِيهِ»⁽³⁾.

لابد من ملاحظة استخدام الله للأداة الحصر «إلا»، في الآية الأخيرة، لتشير إلى أن إحدى الغايات الأساسية للقرآن هي حسم الخلافات العقائدية بين أهل الكتاب، ودفعهم لإعلان ما يخفى منه أخبارهم ورهبانهم . . .

وهي دعوة إلى العودة إلى دينهم الصحيحين كما جاء بهما نبياًهما، أي بالرجوع عن تحريف الكلم، وعدم نسيان ما ذكروا به، وتنقية عقائدهما، والاعتراف برسالة محمد وتعزيزها كدين سماوي يبجل دينهما الصحيحين، ويعزز الدعوة المشتركة إلى توحيد الله.

«قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَازَا إِلَى كَلِمَتِ رَسُولِنَا وَبَيْتِنَا وَبَيْتِكُمْ إِلَّا اللَّهُ وَلَا شُرِيكَ لَهُ شَيْئًا وَلَا يَتَوَحَّدُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَرْبَابًا قَنْ دُونَ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلُّوْا فَقُولُوا أَشْهَدُوا بِإِنَّا مُسْلِمُونَ»⁽⁴⁾.

(1) سورة النمل، الآية: 76.

(2) سورة الزخرف، الآية: 63.

(3) سورة النحل، الآية: 64.

(4) سورة آل عمران، الآية: 64.

قال : «كلمة سواء بيننا وبينكم» ولم يقل - تعالوا إلى كلمتنا .. «وإن تولوا» عن ماذا؟ عن عبادة الله وعدم الإشراك به «ألا نعبد إلا الله» .. وليس عن تغيير أديانهم .

﴿إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَن شَاءَ اتَّخَذَ إِلَيْ رَبِّهِ سَبِيلًا﴾ ⁽¹⁾.

﴿أَرَأَيْتُمْ إِن كُنْتُ عَلَىٰ بِيَنَتِّرُ مِنْ رَبِّي وَآتَنِي رَحْمَةً مِنْ عِنْدِهِ فَعَيْتَ عَلَيْكُمْ أَنْلِزِمْكُمُوهَا وَأَنْتَ لَهَا كَفِرْهُونَ﴾ ⁽²⁾.

وهو لم يطلب منهم إسقاط العمل بكتابيهما غير المحرفين :

﴿فَلْ يَنَاهَلَ الْكِتَبِ لَسْمٌ عَلَىٰ شَيْءٍ حَتَّىٰ يُقْبِلُوا أَنْتَرِنَةً وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ ⁽³⁾ وهذه دعوة صريحة، لا لبس فيها . . .

﴿وَمَا نَفَرَقَ اللَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَبَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمْ الْبَيِّنَاتُ وَمَا أُرْدِنَا إِلَّا لِعَبْدِنَا اللَّهُ مُحَلِّصِنَ لَهُ الَّذِينَ حُنَّفَاءَ وَيُقْبِلُوا أَصْبَلَةً وَيُؤْتُوا الرِّزْكَوْنَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِسْمَةِ﴾ ⁽⁴⁾.

﴿أَفَتُوْمُونَ بِبَعْضِ الْكِتَبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا بُرْزِيٌّ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ يُرْدُونَ إِلَى أَشَدِ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ يُغْنِي عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ ⁽⁵⁾.

(1) سورة المزمل، الآية: 19 / سورة الإنسان، الآية: 29.

(2) سورة هود، الآية: 28.

(3) سورة المائدة، الآية: 68.

(4) سورة البينة، الآيات: 4/5.

(5) سورة البقرة، الآية: 85.

﴿وَلَنَّ الَّذِينَ أُرْتُوا الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَغَى شَكُّ مِنْهُ مُرِيبٌ ﴾⁽¹⁾
 فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَنْجِعْ أَهْوَاهُمْ وَقُلْ إِنَّمَاتُ يِمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ
 كِتَابٍ وَأَمْرَتْ لِأَعْدِلَ يَسِّنَكُمُ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْلَمُنَا وَلَكُمْ أَعْلَمُكُمْ
 لَا حُجَّةَ يَيْسَنَنَا وَيَسِّنَكُمُ اللَّهُ يَجْمِعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴾⁽²⁾
 ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَسُولٌ فَإِذَا جَاءَهُ رَسُولُهُمْ قُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْفِسْطِ وَهُمْ لَا
 يُظْلَمُونَ﴾⁽³⁾

﴿وَتَرَى كُلُّ أُمَّةٍ جَائِيَةً كُلُّ أُمَّةٍ نُدْعَى إِلَى كِتَبِهَا الْيَوْمَ تُحْرَزُنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾⁽⁴⁾.
 ﴿يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنْسَى بِمَا تَمِيمَهُ فَعَنْ أُولَئِكَ يَتَبَعُ يَمِيمَتِهِ فَأَوْلَئِكَ
 يَقْرَءُونَ كِتَبَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتَسِيلًا﴾⁽⁵⁾.

﴿قُلْ يَجْمِعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَهُوَ الْفَتَاحُ الْعَلِيمُ﴾⁽⁶⁾.
 ﴿قُلْ كُلُّ يَعْمَلُ عَلَى شَكِيكِيَّتِهِ فَرِبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَى سِيلًا﴾⁽⁷⁾.
 ﴿وَلِكُلِّ دَرْجَتٍ مِمَّا عَمِلُوا وَمَا رَبِّكَ يُفَضِّلُ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾⁽⁸⁾.
 ﴿كَذَلِكَ زَيَّنَاهُ لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِنَّ رَبَّهُمْ مَرْجِعُهُمْ فَيُبَشِّرُهُمْ بِمَا كَانُوا
 يَعْمَلُونَ﴾⁽⁹⁾.

(1) سورة الشورى، الآيات: 14/15.

(2) سورة يونس، الآية: 47.

(3) سورة الجاثية، الآية: 28.

(4) سورة الإسراء، الآية: 71.

(5) سورة سباء، الآية: 26.

(6) سورة الإسراء، الآية: 84.

(7) سورة الأنعام، الآية: 132.

(8) سورة الأنعام، الآية: 108.

فألا يُعَذَّل هُوَ مَنْ زَيَّنَ لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهَا، وَهُوَ لَا يَقْبَلُ التَّبْدِيلُ

والتحريف:

﴿وَمَنْ يُبَيِّلُ نِعْمَةَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾⁽¹⁾.

وهو حدد لنبيه طلبه إليهم:

﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُو فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَنْسِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلَّلُوا مِنْ قَبْلِ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلَّلُوا عَنْ سَوَاءِ الْسَّكِينِ﴾⁽²⁾،
وكررها:

﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُو فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا
الْحَقُّ﴾⁽³⁾.

وهذه إشارات واضحة وصريحة . . .

أكثر من ذلك، لم يأت القرآن بما ينقض أيًّا من المعتقدات الأساسية للأديان السابقة، المرتبطة بالعلاقة مع الإله الواحد، بل أكدتها كلها، وشذب ما شابها من انحراف لاحق من فعل البشر، تجلّى لدى اليهودية في اعتبار الله (يهوه) إليها خاصًّا بإسرائيل وحدها، في الأرض الموعودة فقط، فعممه وأعلنَه إليها عامًّا شاملًا لكل البشر منذ بدء الخليقة حتى قيام الساعة، كما تجلّى في المسيحية السائدة في اعتبار عيسى المسيح ابنًا لله وشريكًا له، فأكَّد تعالى الله عن الابن والشريك، وأكَّد أنَّ المسيح لم يقل بذلك، ولن يقبله، كما لن يقبل

(1) سورة البقرة، الآية: 211.

(2) سورة المائدة، الآية: 77.

(3) سورة النساء، الآية: 171.

تحريفات المجامع اللاحقة والقول بالثلث، والخطيئة الأصلية، والفداء، ثم اكتفى بتعديل الأحكام ذات الارتباط بعلاقة البشر بعضهم ببعض، مما حرّفه الكهان والأحبار، (الميراث، صورة المرأة . . . وغيرها)، وتفصيل بعضها الآخر تبعاً للتغيرات التي حصلت داخل المجتمعات على مدى القرون وهذه هي الديناميكية والحيوية التي يجب استيعابها والتزامها من قبل كل تابعي الأديان على امتداد التاريخ

يختصر نصر حامد أبو زيد هذا الأمر بالقول: لم يكن الخلاف مع أهل الكتاب من اليهود والنصارى خلافاً حول مبدأ التوحيد ذاته، بل كان خلافاً حول مفهوم التوحيد مع النصرانية من جهة، وخلافاً حول تفاصيل الشريعة وقضايا الحلال والحرام مع اليهود من جهة آخرى⁽¹⁾

وقد ختم الأمر:

﴿أَتَيْوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِيْنَكُمْ وَأَنْتُمْ عَلَيْكُمْ يُقْسَمُونَ وَرَضِيَتْ لَكُمُ الْإِسْلَامُ وَبِئْنَا﴾⁽²⁾

والمقصود بدينكم: (الإسلام الذي بدأ بنوح، وتواصل مع الرسل الآخرين) . . .

إسلامكم الصحيح كلكم

(1) نصر حامد أبو زيد - مفهوم النص.

(2) سورة المائدة، الآية: 3.

ونتساءل كما يتساءل أهل الكتاب: لماذا خاطب الله محمداً في سورة السجدة بقوله:

﴿الَّتِي تَرْبِيلُ الْكِتَابِ لَا رَبَّ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ أَمْ يَقُولُونَ
أَفَتَرَّهُ بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ لِتُشَذِّرَ قَوْمًا مَا أَتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ إِنْ قَبْلَكَ لَعَلَّهُمْ
يَهِيدُونَ﴾⁽¹⁾

اليس القوم الذين لم يأتهم نذير هم مشركون الجزيرة العربية، والمشركون الآخرون؟ الذين أكد الله أنه يعنيهم هنا، وقال في سورة سباء: ﴿وَمَا أَءَيْتَهُمْ مِنْ كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا وَمَا أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِنْ نَذِيرٍ﴾. كما قال في سورة يس: ﴿لِتُشَذِّرَ قَوْمًا مَا أُنْذِرَ إِبْرَاهِيمَ فَهُمْ غَافِلُونَ﴾ وفي سورة هود ﴿... لِتُشَذِّرَ قَوْمًا مَا أَتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ إِنْ قَبْلَكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ دون أن ينطبق ذلك على الأقوام التي أتاها رسل الله من قبل، كأتباع موسى وعيسى، الذين اقتصرت رسالته محمد على تنبئهم إلى سوء ما حرفوا لا حقاً من كتاباتهم . . .

ثم، إن معجزة الرسالة التي جاء بها محمد هي القرآن، الذي نزل بلسان عربي مبين، وهو معجزٌ بنفسه، ومكمن إعجازه أنه بديع النظم عجيب التأليف، ينفرد بخصائص في نظم الخطاب لا تشبه غيره، وهو قد تحدى العرب أن يأتوا بمثله، فأعجزتهم وأسقط في يدهم، وهذا الأمر يسقط كلّياً، وتسقط معه المعجزة، حين ترجمة القرآن إلى لغات أخرى، أو عرضه على شعوب لا تتحدث العربية، ولا ترى مكمن الإعجاز فيه . . .

(1) سورة السجدة، الآياتان: 1/3.

لذلك قال: ﴿وَلِئِنْزَ أُمّ الْقَرْبَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا﴾⁽¹⁾.

وأم القرى هي مكة. . .

وإذا كان محمد قد أدرك أن رسالته عالمية الأبعاد:

﴿فَقُلْ يَكَانُهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾⁽²⁾.

إلا أنه استوعب أيضاً أن دوره هو التأسيس لها في الجزيرة العربية، فزرع بذرة يتکفل الله بإيناعها حيث شاء: ﴿وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾.

(يرى معروف الرصافي⁽³⁾ في قول الله في سورة سباء: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَةً لِلنَّاسِ﴾⁽⁴⁾، أن مفسري القرآن قد ذهبوا بها في غير معناها الصحيح، إذ اعتبروا أن عبارة «كاففة للناس» هي ذات المعنى لعبارة «للناس كافية»، ببساطة وتسطح مستغرين، وهذا غير مسبوق في اللغة العربية، فاستنتجوا منها أن الدعوة موجهة لكافة الناس بأمر إلهي، وقد ذهب إلى أن المعنى هو:

وما أرسلناك إلا كاففاً للناس تکفهم عن الكفر وعن عبادة غير الله، أما النساء المربوطة فهي للمبالغة، كما في قولنا راوية بدل راو، وعلامة بدل علام، في وصفنا لمذكر) . . . يؤكد هذا المعنى حديث للنبي قاله بعد هدنة الحديبية: «إن الله بعثني رحمة وكافية» حيث ترد «كاففة» هنا

(1) سورة الأنعام، الآية: 92.

(2) سورة الأعراف، الآية: 158.

(3) معروف الرصافي - الشخصية المحمدية.

(4) سورة سباء، الآية: 28.

حالاً، وهي غير مقترنة بلفظ الناس لا قبلها ولا بعدها ، لكننا نرى أنَّ رسالة محمد، كالرسالات الأخرى، كانت كافة للناس كافة، أي تكشف كلَّ الناس عن الإشراك بالله، إنما دون إلزام أو إكراه، بل بالمجادلة بالحسنى.

ثم، ألم يفرق النبي بين المشركين وبين أهل الكتاب؟ فدعا أهل الكتاب إلى دينه كما دعا المشركين، إلا أنَّه لم يُلزم كتابياً باتباعه، وترك أهل الكتاب على أديانهم، مكتفياً بمطالبتهم بتصحيح الانحراف فيها والاعتراف برسالته؟ وإن فرض عليهم الجزية (دون النساء وغير البالغين منهم)، والتي هي ضريبة مواطنة تقابل، بل وتقل عن الزكوة التي يؤديها المسلم، ودون أن يفرض عليهم القتال والجهاد؟

يبدو تعريف عبد الإله بلقزيز محكماً في هذا الخصوص، يقول^(١): على أنَّ الجزية ليست ضريبة يدفعها جانب واحد (اليهود والنصارى) ثمناً لعدم دخوله في الإسلام، بل هي عقد يكون فيه لأهل الكتاب حق الحماية والنصرة من المسلمين، حيث يدخل في ذمتهم، والأهم في الذمة تلك أنها لا تحفظ لأهل الكتاب حقهم في بقائهم على دينهم (وبحسب)، بل تتلزم بعدم التأثير على إيمانهم بذلك الدين ومنعهم من أي مكررٍ، ففي تعليمات النبي إلى معاذ بن جبل، مبعوثه إلى اليمن، أمان لليهود والنصارى شديد الوضوح في تشديده على حقوق أهل الكتاب، حيث ورد فيه « . . . ومن أقام على دينه وأقرَّ بالجزية ثُركَ

(١) عبد الإله بلقزيز - النبوة والسياسة.

ودينه، وله ذمة الله ورسوله وذمة المؤمنين، لا يُقتل ولا يُسبى ولا يُكافَأ إلا طاقتة ولا يُفتن لترك دينه»

(يثير معروف الرصافي في كتابه سابق الذكر تساؤلاً مشككاً، إذ يقول: «إنَّ النَّاِيَةَ الَّتِي يَرْسِمُ إِلَيْهَا مُحَمَّدٌ مِنَ الدُّعُوَةِ إِلَى اللَّهِ، أَوْ مِنَ النَّبُوَّةِ لَيْسَ بِدِينِنِيَّةَ مَحْضَةً، بِالْمِلْيَلِ أَنَّهُ قَبْلَ الْجَزِيرَةِ مِنْ غَيْرِ الْعَرَبِ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمَجْوُسِينَ، إِذَا رَبِّ أَنَّهُ أَخْدَ الْجَزِيرَةَ مِنْهُمْ وَتَرَكَهُمْ عَلَى مَا هُمْ عَلَيْهِ مِنَ الْكُفَّرِ وَالْمُضَلَّلِ يَنْافِي أَنَّهُ لَمْ يُرْسَلْ إِلَّا لِدُعَوَةِ النَّاسِ كَافَةً إِلَى التَّوْحِيدِ أَيِّ عِبَادَةَ اللَّهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ»، وهذا رأي الرصافي، لستنا نوافقه عليه، بقدر ما نرى أخذ الجزيرة وتركهم على دينهم مؤكداً لوجهة نظرنا، وإثباتاً على أنَّ رسالته للعالمين هي الدعوة إلى التوحيد، بغض النظر عن شكل طقوس العبادة، وهو المفهوم الشامل للإسلام كما رأه النبي . . .

وتقدم لنا كتب التاريخ والسيرة نصوصاً وبراھين ذات دلالة واضحة حول جانبين أساسيين في هذا الخصوص، يعكسان مفهوم محمد وأتباعه، والآخرين بمن فيهم المشركون، لتعريف الإسلام الذي أراده الله، على أنه الشريعة التي جاء بها محمد، والشريائع السماوية الأخرى التي جاء بها الأنبياء السابقون، قبل تحريفها من قبل الأتباع..

أولهما: علاقة الدين الجديد بأتباع الديانتين السماويتين الآخرين، وثانيهما: تعامل محمد مع هؤلاء.

في الجانب الأول المتعلق بعلاقة الدين الجديد مع أتباع الديانتين السماويتين، يبدو لافتاً موقف المسلمين المستضعفين في مكة، قبل

الهجرة، تجاه الصراع القائم بين الفرس المجنوس والروم النصارى، فحين انتصار الفرس الكاسح على الروم في العام 616 م، كانت شمائة مشركي قريش بال المسلمين كبيرة، معتبرين انتصار المجنوس على الكتابيين المسيحيين (المسلمين على شرعة عيسى)، نصراً معنوياً لهم على إخوانهم الكتابيين (المسلمين على شرعة محمد)، فكان المسلمون في ضيق كبير، لو لا أن أنزل الله آياته: ﴿إِنَّ اللَّهَ أَعْلَمُ بِأَوْرُواْمٍ فِي أَرْضٍ أَرْضٍ وَهُمْ بَعْدَ غَلَبَتْهُمْ سَيِّئَاتُهُنَّ فِي يَقْعِدٍ سَيِّئَاتٌ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلٍ وَمَنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَجُ الظُّمُرُونَ﴾⁽¹⁾.

وهذه البشرى من الله للمسلمين بقرب انتصار الروم الكتابيين إخوانهم في الدين، وفرحتهم بهذا الانتصار الموعود، هي دلالة لا يتوجب أن تفوت على ذي عقل..

أما في الجانب الثاني المرتبط بتعامل محمد مع أهل الكتاب، فنرى أن النبي فور قدومه يشرب / المدينة واستقراره فيها، يكتب للمجتمع الجديد شاملًا اليهود كتاباً سمي «الصحيفة» جاء فيها «... وأن اليهود ينفقون مع المؤمنين ماداموا محاربين، وأن يهود بنى عوف أمة مع المؤمنين، لليهود دينهم، وللمسلمين دينهم مواليهم وأنفسهم، إلا من ظلم أو أثم، فإنه لا يوتج إلا نفسه وأهل بيته، (وكرر ذلك لباقي فرق اليهود)... وأن على اليهود نفقتهم وعلى المسلمين نفقتهم، وأن بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة، وأن بينهم النصر والنصح والبر دون الإثم...»، لكل دينه، حليفان ينصران بعضهما،

(1) سورة الروم، الآيات: 4/1

وينصحان بعضهما، ذلك ما أقره النبي وبنى العمل به، دون أن يسيئه
بقاء اليهود على دينهم . . .

أكثر من ذلك، هو يدعوهם إلى تحكيم أسفارهم - معترفاً بها - إذ
كتب إلى يهود خير، قبل صدامه معهم، قائلاً :

«إِنَّمَا أَنْشَدْتُكُمْ بِاللَّهِ، وَأَنْشَدْتُكُمْ بِمَا أَنْزَلْتُ عَلَيْكُمْ، وَأَنْشَدْتُكُمْ بِالذِّي
أَطْعَمْ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ مِنْ أَسْبَاطِكُمُ الْمَنْ وَالسَّلْوَى، وَأَنْشَدْتُكُمْ بِالذِّي
أَيْسَ الْبَحْرَ لِأَبَائِكُمْ حَتَّى أَنْجَاكُمْ مِنْ فَرْعَوْنَ وَعَمْلَهُ، إِلَّا أَخْبَرْتُمُونِي :
هَلْ تَجْدُونَ فِيمَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ أَنْ تَؤْمِنُوا بِمُحَمَّدٍ؟ فَإِنْ كُنْتُمْ لَا تَجْدُونَ
ذَلِكَ فِي كِتَابِكُمْ فَلَا كُرْهَ عَلَيْكُمْ» . . .

وهو هنا يشير إلى البشارات التي جاءت في الكتابين المقدسين
الصحيحين، عنه وعن الشريعة التي سيأتي بها، كما ورد في الأنجليل،
تأكيداً للتوراة والأسفار، على سبيل المثال، لا الحصر :

«الذَّلِكَ أَقُولُ لَكُمْ : إِنَّ مَلْكُوتَ اللَّهِ سَيَنْزَعُ مِنْ أَيْدِيكُمْ، وَيُسَلِّمُ إِلَى
شَعْبٍ يَؤْدِي ثُمَرَه»⁽¹⁾ . . .

«إِنْ كُنْتُمْ تَحْبُونِي، فَاعْمَلُوا بِوَصَائِيَّيِّ، وَسُوفَ أَطْلُبُ مِنَ الْأَبِّ أَنْ
يُعْطِيْكُمْ مَعِيْنًا آخَرَ، يَبْقَى مَعَكُمْ إِلَى الأَبَدِ، وَهُوَ رُوحُ الْحَقِّ»⁽²⁾ . . .

«وَلَكُنْ، عِنْدَمَا يَأْتِيْكُمْ رُوحُ الْحَقِّ يَرْشِدُكُمْ إِلَى الْحَقِّ كُلَّهُ، لَأَنَّهُ لَا
يَقُولُ شَيْئاً مِنْ عَنْدِهِ، بَلْ يَخْبُرُكُمْ بِمَا يَسْمَعُه»⁽³⁾ . . .

(1) متى 23.

(2) يورحنا 14.

(3) يورحنا 16.

وهي بشارات أصرّوا على تجاهلها وإنكارها . . .
 لكنه التزم أمر الله له، في معاملته لهم بالصفح والعفو حتى لو
 أنكروا عليه رسالته :

﴿وَذَٰلِكَ بَيْرُوتُ أَهْلِ الْكَتَبِ لَوْ يَرِدُونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِإِثْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (١).

وهو أيضاً استوعب أن دوره الإبلاغ فقط، دون الإلزام :

﴿وَالَّذِينَ أَخْذَوْا مِنْ دُونِهِ أَوْلَيَاءَ اللَّهِ حَفِظٌ عَلَيْهِمْ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ﴾ (٢).

ولولا غدر اليهود به، وتحرشهم بال المسلمين، ومحاولة اغتيال النبي، والتآمر مع قريش في وقعة الخندق، لدام التحالف وحسن الجوار بينهما، كأتباع دينين سماوين يشتراكان في الدعوة الحنيفية إلى الله الواحد . . .

وطالعنا مؤلفات علوم القرآن، تبعاً لإبراهيم فوزي (٣)، أن أهل يشرب كانوا يسترضعون أولادهم لدى اليهود، وهناك كانوا ينشأون على اليهودية، ولم يكن أهلوهم يجدون بأساً في ذلك، حتى بعد هجرة النبي إليهم ودخولهم الدين الجديد، ولكن المشكلة انفجرت حين أمر النبي بإجلاء اليهود، إذ لا يمكن إبقاء الأولاد المتهددين في يشرب،

(١) سورة البقرة، الآية: ١٠٩.

(٢) سورة الشورى، الآية: ٦.

(٣) إبراهيم فوزي - تدوين السنة.

ويشق على أهليهم مفارقتهم والسماح لهم بالجلاء مع اليهود، فعمدوا إلى قسرهم على مفارقة اليهودية واعتنق الإسلام، وأمام رفض الأبناء، وتمسكهم بيهوديتهم، كان الحل الإلهي انتصاراً رائعاً لحرية الاعتقاد، إذ أنزل الله حكمه القاطع:

﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾^(١).

يرد في أسباب النزول للواحدي: (عن مجاهد قال: كان ناس مسترضعون في يهود بنى قريطة والنضير، فلما أمر النبي بإجلاء بنى النضير، قال أبناؤهم من الأوس الذين كانوا مسترضعين فيهم، لئذبّن معهم ولندين بدينهم، فمنعهم أهلهم وأرادوا أن يكرهونهم على الإسلام، فنزلت: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ . . . وقد ورد النص نفسه لدى القرطبي . . .).

ويرد في كتاب: «عملة القارئ في شرح صحيح البخاري»: (دخل أبو بكر على عائشة، وهي تشتكى، ويهودية ترقيها، فقال: ارقيها بكتاب الله، يعني التوراة) دلالة باللغة الأهمية . . .

ولم يقتصر هذا الأمر على الكتابيين، بل تعدّاه إلى المجوس . . وتبخربنا كتب التاريخ أنَّ عامل عمر بن الخطاب على البحرين كتب له أن في البحرين مجوساً، فقال عمر: والله لا أدرى ما أصنع بأمرهم، إنّي لا أجد لهم شيئاً لا في كتاب الله ولا في سنة رسوله، فأخبره عبد الرحمن بن عوف، قال: لقد سمعت رسول الله يقول: لَا سُنّةَ بِهِمْ سُنّةٌ

(١) سورة البقرة، الآية: 256.

أهل الكتاب»، فأخذ عمر بهذا الحديث وقال بتركهم على دينهم وعدم إجبارهم على الإسلام، وبمعاملتهم فيما عدا ذلك معاملة المشركين، كعلم جواز أكل ذبائحهم وعدم الزواج من نسائهم .⁽¹⁾

ألم يطالب الله نبيه بالترفق حتى مع المشركين :

﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ أَسْتَجِارَكَ فَاجْرُهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلْمَةَ اللَّهِ﴾.

ثم ماذا :

«... ثُمَّ أَتَلَّغُهُ مَا مَنَّهُ ذَلِكَ بِأَيْمَنِهِ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ» (التوبه 6 وهي السورة قبل الأخيرة نزولاً).

لم تؤكّد لنا أي من كتب التاريخ أنّ محمداً طالب أتباعه بالجهاد خارج حدود الجزيرة العربية، أو بقتال أهل الكتاب على أساس ديني، (دعك من أحاديث كاذبة نسبت للنبي بعد عقود حول سوار كسرى وقصور اليمن، فالقرآن حسم أنّ النبي لا يعلم الغيب)، وهو لم يؤسس لدولة تمتد حدودها خارج هذه الجزيرة لأبعد من أراضي القبائل العربية في فلسطين والعراق وبلاد الشام . . .

ولعل أكثر الوثائق دلالةً في هذا المقام، هي الرسائل والكتب التي وجهها النبي إلى ملوك وأمراء الدول المتاخمة للجزيرة العربية، إن جاز الالتفاق من تاريخية هذه الرسائل (ثمة من يشكك في ذلك وينحو تجاه كونها نسبت للنبي لاحقاً، وهذا ليس مجال مناقشته هنا).

إن دراسة هذه الرسائل لابد وأن تمنح المصدقين بوجودها

(1) إبراهيم فوزي - تدوين السنة.

التاريخي يقيناً جازماً حول إدراك النبي ورؤيته لمفهوم الدعوة إلى الدين الشامل، الحنيفية التي جاءت بها الأديان السماوية قبل تحريف كتبها، واعياً أنَّ رسالته ما هي إلا إعادة إحياء للرسالات السابقة، بأركانها وعقائدها، وعنادها، وأن خطابه لأتباعه هو ذات الخطاب الذي سبق للرسل مخاطبة أتباعهم به:

﴿وَإِذْ أَخَذَنَا مِيقَاتَنَا مِيشَقَ بَنَى إِسْرَئِيلَ لَا تَبْدُونَ إِلَّا اللَّهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَقُولُوا لِلشَّايسِ حَسَنًا وَأَقِيمُوا الْعَدْلَ وَعَلَوْا الْزَّكُوْرَةَ . . .﴾⁽¹⁾

في مطابقة محكمة مع ميثاق دعوته . . .

ففي رسالته إلى النجاشي، ملك الحبشة، مسيحي المعتقد، كتب إليه:

(بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله إلى النجاشي عظيم الحبشة . . . سلام على من اتبع الهدى، أما بعد . . فلاني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو الملك القدس السلام الم Hein، وأشهد أن عيسى بن مریم روح الله وكلمته ألقاها إلى مریم البطل الطيبة الحصينة، فحملت بعيسى من روحه ونفخه كما خلق آدم بيده، وإنني أدعوك إلى الله وحده لا شريك له، والموالاة على طاعته، وأن تتبعني وتومن بالذي جاعني، فلاني رسول الله، وإنني أدعوك وجنودك إلى الله عزوجل، وقد بلغت ونصحت فا قبل نصيحتي . والسلام على من اتبع الهدى) . .

(1) سورة البقرة، الآية: 83.

وتخبرنا كتب التاريخ أن النجاشي استوعب أن كتاب محمد إليه لا يعني مطالبته بالرجوع عن دينه، إقتنا بتوحيد الله توحيداً خالصاً من كل شائبة، والموالاة على طاعة الله، وهو فاعلها، والإيمان بما جاء به محمد من أنه يدعو إلى دين سماوي يشترك في أسسه مع الرسالات السابقة، ولهذا قيل الرسالة، وحمى أصحاب محمد، ولهذا أيضاً كان موقف النبي منه ايجابياً ومرحباً وموافقاً، دون أن يستنكر منه البقاء على ديانته المسيحية، وهو صلى عليه حين عرف بمولته.....

دون أن ننسى الإشارة إلى أن بعض المصادر⁽¹⁾ تؤكد أن النجاشي أسلم بدعوة النبي، دون أن يمتد ذلك إلى معاونيه وحاشيته وشعبه، إذ يرد نص ردّه على رسالة النبي كالتالي: «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، إِلَيْكَ مُحَمَّدُ رَسُولُ اللَّهِ مِنَ النَّجَاشِيِّ الْأَصْخَمِ بْنِ أَبِي جَرْرٍ... سَلَامٌ عَلَيْكَ يَا نَبِيَّ اللَّهِ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ، مِنَ اللَّهِ النَّبِيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الَّذِي هَدَانِي إِلَى إِلَيْكَ... أَمَّا بَعْدُ، فَقَدْ بَلَغْنِي كِتَابُكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ فِيمَا ذَكَرْتَ مِنْ أَمْرٍ عَيْسَى، فَوَرَبَ السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ أَنْ عَيْسَى مَا يُزِيدُ عَلَى مَا ذَكَرْتَ فَرُوقًا، إِنَّهُ كَمَا قُلْتَ، وَقَدْ عَرَفْنَا مَا بُعْثِثْتَ بِهِ، وَقَدْ قَرَرْنَا ابْنَ عَمِّكَ وَأَصْحَابِهِ، فَأَشْهَدُ أَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ صَادِقًا مَصَدِّقًا، وَقَدْ بَأْيَتَكَ وَبَأْيَتَ إِلَيْكَ يَا بَنِي أَرْهَـا بْنِ الْأَصْخَمِ بْنِ أَبِي جَرْرٍ، فَلَيْسَ لِأَمْلَكَ إِلَّا نَفْسِي، وَإِنْ شَشْتَ أَنْ آتَيْكَ فَعْلَتْ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَلَيْسَ لِأَشْهَدَ أَنْ مَا تَقُولُ حَقّاً، وَالسَّلَامُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ... وَهُوَ نَصٌّ يَبْدُو مَوْلَفًا وَمَنْحُولًا، وَمَنْتَاقِضاً...»

(1) مجلة الوعي الإسلامي، دون ذكر مصدرها.

وفي رسالته إلى المقوقس، صاحب الإسكندرية جريج بن مينا القبطي، كتب إليه:

(بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد بن عبد الله ورسوله إلى المقوقس عظيم القبط، سلام على من اتبع الهدى، أما بعد، فإنني أدعوك بدعاهة الإسلام، أسلِمْ تَسْلِمْ، يُؤْتِكَ اللَّهُ أَجْرَكَ مرتين، فإن توليت فإن عليك إثم القبط: **وَرَبِّا هَذَا الْكِتَابُ تَعَالَى إِنَّكَ لَمَعْتَرٌ سَوْعَمْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَا تَنْبَدِّ إِلَّا اللَّهُ وَلَا تُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَسْجُدَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّنَا فَقُولُوا أَشْهَدُوا إِنَّا مُسْلِمُونَ).**

وفي رسالته إلى هرقل عظيم الروم، كتب إليه:

(بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد بن عبد الله ورسوله إلى هرقل عظيم الروم.. سلام على من اتبع الهدى، أما بعد.. فإنني أدعوك بدعاهة الإسلام، أسلِمْ تَسْلِمْ، يُؤْتِكَ اللَّهُ أَجْرَكَ مرتين، فإن توليت فإن عليك إثم الأريسيين، يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم... الآية).

أليس واضحًا أن النبي لم يهدد ولم يتوعّد، ولم يطلب من ملوك المسيحية الثلاثة ترك دينهم، واكتفى بدعوتهم إلى الإسلام الحنيفي الذي جاء به عيسى، أي توحيد الله بتنقية معتقداتهم مما شابها من تحريف، والاعتراف ببنبوته والإيمان بما جاءه، كدعوة مشتركة للرجوع إلى الحنيفية، وحملهم إثم أتباعهم إن أنكروا، دون أن يتوعّدهم بالقتال؟، أليست هذه دعوات لطيفة إلى (كلمة سواء)، وتبلیغ ونصيحة لا أكثر، تمثلاً لما أمره الله به: .. **«وَقُلْ لِلَّذِينَ أَوْتُوا الْكِتَابَ وَالْأَمْرُ مَنْ**

ءَلَّا سَلَّمْتُمْ فَإِنَّ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تُرْكُوا فَإِنَّكُمَا عَلَيْكُمُ الْبَلْغُ وَلَهُ بِهِمْ
بِالْعِبَادَةِ⁽¹⁾، وأكدها في سورة الشورى «فَإِنْ أَعْرَضُوا فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ
حَفِظًا إِنَّ عَيْكَ إِلَّا الْبَلْغُ»⁽²⁾.

ولعل هذه اللهجة في الخطاب هي ما دفع التجاشي إلى إكرام رسول النبي إليه، وحماية أصحابه، وهي ما دفع المقوقس، هو الآخر، إلى إرسال الهدايا إلى النبي مصحوبة بماريا القبطية التي منحت الرسول ابنه إبراهيم... وقد قبل النبي هذه الهدايا بترحيب دون أن يزعجه عدم استجابة المقوقس للدخول في شرعته..

أبلغ من ذلك، رسالته إلى كسرى أبرويزي، عظيم فارس، المجنسي
الديانة، غير الكتابي، إذ كتب إليه:

«...، فَإِنْ تَسْلِمْ تَسْلَمْ، وَإِنْ أَبْيَتْ فَإِنَّ إِثْمَ الْمَجْوَسِ عَلَيْكَ». حَمَّلَهُ إِثْمَ الشَّرِكَ بِاللهِ فَقَطْ، دون تهديد أو وعيد..

أكثر من ذلك، نلحظ أن النبي، في أوج قوته، إثر فتح مكة وغزوة تبوك في العام 9 هجري، لم يُلْزِمْ أَيَّاً من القبائل العربية التي كانت على دين اليهودية أو النصرانية بالدخول في دينه، بل العكس، فهو يمنحهم عهوداً بحرية ممارسة معتقداتهم وطقوسهم بضمانته وحماية المسلمين، في بادرة غير مسبوقة في التاريخ، إذ كتب لنصارى نجران «...، ولنجران وحاشيتهم جوار الله وذمة محمد النبي رسول الله على أنفسهم وملائتهم وأرضهم وأموالهم وغائبهم وشاهدهم وبيعهم وصلواتهم، لا

(1) سورة آل عمران، الآية: 20.

(2) سورة الشورى، الآية: 48.

يغتربوا أستفناً عن أسقفيته، ولا راهباً عن رهبانيته، ولا واقفاً عن وقفاناته وكل ما تحت أيديهم من قليل أو كثير.. ومَنْ سُأْلَ مِنْهُمْ حَقًا فِي نَصْفِهِ غَيْرُ ظَالِمِينَ وَلَا مَظْلُومِينَ.. وَلَا يَوْا خَذْ أَحَدَ مِنْهُمْ بِظُلْمٍ أَخْرَى، وَعَلَى مَا فِي هَذِهِ الصَّحِيفَةِ جَوَارِ اللَّهِ وَذَمَّةُ النَّبِيِّ أَبْدَاهُ، حَتَّى يَأْتِي اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنْ نَصَحُوا وَأَصْلَحُوا فِيمَا عَلَيْهِمْ . . .

وهو قبل ذلك، بعد غزوة خيبر في العام 7 هجري، كان قد كتب لعدد من التجمعات اليهودية عهوداً مماثلة، إذ بعث إلى بني جنبة قرب أيلة على خليج العقبة: « . . . فَإِذَا جَاءَكُمْ كَتَابِي هَذَا فَإِنَّكُمْ آمَنُونَ، لَكُمْ ذَمَّةُ اللَّهِ وَذَمَّةُ رَسُولِهِ، وَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ غَافِرٌ لَكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَكُلُّ ذَنْبِكُمْ، لَا ظُلْمٌ عَلَيْكُمْ وَلَا عَدْيٌ، وَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ جَارٌ لَكُمْ مَمَّا مَنَعَ مِنْهُ نَفْسَهُ . . . ، كَمَا كَتَبَ لِبَنِي غَادِيَا «أَنَّ لَهُمُ الْذَّمَّةَ وَعَلَيْهِمُ الْجُزِيَّةُ وَلَا عَدَاءً»، وَمُثْلَهُ لِبَنِي عَرِيشَ، وَلِيَهُودِ جَرِيَاءٍ وَأَذْرَحَ بِأَنَّهُمْ آمَنُونَ بِأَمَانِ اللَّهِ وَأَمَانِ مُحَمَّدٍ . . . (١)

ويثار هنا التساؤل، لماذا لم يرسل النبي دعواته إلى ملوك السندين والصين وإسبانيا، البعيدين عن محيط الجزيرة العربية، إن كان قد أرسلها للقربيين؟ هل تتعلق ببعد المسافات؟ ولم يكن ذلك فيما بعد حائلاً أمام الفاتحين . . . أم تتعلق بعدم معرفة محمد بوجود أقوام وراء تخوم الفرس والروم؟، ولا منطق في ذلك.. أم أن هذا دليل على إدراك محمد لحدود دعوته؟ . . .

هذا الإدراك الذي نراه في ممارسته العملية، حين نقرأ غزواته

(١) د. عماد الدين خليل - مدخل إلى التاريخ الإسلامي.

باتجاه شمال الجزيرة العربية، بدءاً من غزوة دومة الجندي في العام 5 هجري، ثم حملة عبد الرحمن ابن عوف في العام 6 هجري، ثم مؤة، فذات السلاسل في العام 8 هجري، ومن بعدها غزوة تبوك في العام 9 هجري، وكلها انحصرت في أراضي القبائل العربية، لرفع ظلم الروم عنها، وإتاحة الفرصة لها للتمتع بحرية الاختيار، وبالتالي دخول الإسلام دون خوف أو رهبة من الروم، لمن شاء ذلك، بالإضافة إلى قطع صلاتها بهؤلاء الروم حماية لحدود الدولة العربية التي أرادها إسلامية الطابع، وهو توقف عند تبوك ولم يتبع جيش الروم المنهزم إلى حمص، وقيل أنه عقد اتفاقاً مع هرقل يقضي بسماح الأخير لعرب الشمال باعتناق الإسلام، ليبدأ بعدها بالاتصال بزعماء القبائل العربية النصرانية المنتشرة في المنطقة وتلقي سفاراتهم، وعقد معاهدات الصلح والتعاون معهم، قاطعاً بذلك ولاعهم للدولة البيزنطية، ومحولاً إياهم إلى مواطنين أو حلفاء للدولة الإسلامية، وهو الهدف الذي كان يطمح إليه منذ بدء صراعه مع الروم، ووصولاً إلى آخر غزواته، وهي حملة أسامة بن زيد في العام 11 هجري، التي جهزها خلال مرض وفاته، محدداً وجهتها النهائية، حين أمر أسامة أن «يوطئ الخيل تخوم البلقاء والداروم من أرض فلسطين . . . فقط . . .».

ولم يتتجاوز أبو بكر هذا الأمر، فاقتصر همه على حرب مانعي الصدقية من العرب داخل الجزيرة العربية (تعلم الأدبيات الإسلامية تسميتهم بالمرتدية)، وضمن الحدود التي كانت قائمة في حياة النبي، وهو ببر ذلك:

«والله لو منعوني عقال بغير لقاتلتهم . . .»، ودون أن يخطر له أنَّ الردة الكبرى على الدين قادمة بعد سنوات، ومن داخل البيت القرشي، لا من قبائل العرب الأخرى، وأن حرية هذه هي التي ستشكل الأساس والمسوغ للصراع القادم الذي سيقوم على معادلة السلطة في مواجهة الدين . . .⁽¹⁾.

أما عمر بن الخطاب، باني الدولة ومؤسس النظام، فهو الآخر لم يخرج عن مفهوم صاحبيه لحدود الدولة الإسلامية، وخشيتهم من اختلاط أتباع الدين الجديد بالحضارات والأديان الأخرى، وما قد يأتي به من نتائج كارثية، تحققت فعلاً . . .

فلم يخطط عمر لمفهوم دولة كبرى بالأمتداد الذي وصلت إليه، وهي تنساح إلى أبعد مما كان في ذهنه، وحتى الوطن العربي كان في تصوره لا يمتد إلى ما وراء الحدود الفلسطينية المصرية عند معبر رفح الحالي، والذي تجاوزه عمرو بن العاص، وهو يشاغل مبعوث عمر إليه، حتى يدخل إلى الأراضي المصرية فيفتح كتاب الخليفة، وعند ابن العاص إحساس ومعرفة سابقة بعدم رغبة عمر في توسيع الفتوحات والعبور إلى مصر، فلم يفتح الكتاب إلاً بعد تأكده من اجتياز الحدود، فأبلغ الخليفة أن جيش الفتح في الأراضي المصرية، ووضعه أمام الأمر الواقع، ووضع نفسه تحت مراقبته المستمرة وملامحة مكاتبيه وصعوبته، أما عبد الله بن سرح فكانت قواته تمرح في سهول ليبيا .

وعلى جهة البصرة، كان عمر يرغب بعدم ذهاب قواته إلى ما بعد

(1) محمد سعيد المشماوي - الخلافة الإسلامية.

الأحواز (عرستان حالياً) متمنياً جبلاً من نار يفصله عن بلاد فارس، فلا يقاتلهم ولا يقاتلونه، لكن قادة الفتح تحملوا مسؤولية إقناعه بالتوغل في بلاد فارس وملاحقة مراكز القيادة الكسرورية المتنقلة، والمستقرة آنئذ في خراسان، وتبنى الأحنف بن قيس هذه المسئولية في الدبلوماسية مع عمر، والعسكرية في الانطلاق إلى خراسان، بعد أن أقنع عمر بـأن وجود كسرى في جوارهم سيثير الكثير من المتاعب، وقد انتفضت مدن كثيرة في بلاد فارس فأعاد عمر فتحها ثانية، وفي ظننا أن شبح الكسرورية والقيصرية والخوف من الواقع في نمودجهما، هو الذي كان يحدّد رغبة عمر في الوقوف عند مشارف ما كان يعتبره وطناً عربياً ولا يتتجاوزه . . .

وحين فتح المسلمون أرض السواد بالعراق، أراد المقاتلون تخفيضها، أي إرسال خمس الغنائم إلى بيت المال، وتوزيع الأربعة أنخمس عليهم، كما جرت العادة في الغزوات والفتحات السابقة، إلا أن عمر بن الخطاب رفض قسمة الأرض على المقاتلين، قائلاً: فكيف بمن يأتي من المسلمين فيجلدون الأرض بعلوها قد قسمت وورثت عن الآباء وحيزت، ما هذا برأي . . . وحين خالقه الفاتحون رأيه معتبرين الأرض وعلوها شيئاً لهم، أصرّ عمر مبرراً رفضه بالقول: فإذا قسمت أرض العراق بعلوها وأرض الشام بعلوها، فماذا تسلّد به الشغور، ويكون للذرية والأرامل بهذا البلد وبغيره من أرض الشام وال العراق . . . وأمام تفاقم الخلاف استشار عمر الصحابة من المهاجرين الأولين، فاختلفوا، فأرسل إلى عشرة من كبراء الأنصار، وقال لهم: «قد سمعتم كلام هؤلاء القوم الذين زعموا أنني

أظلمهم حقوقهم، وإنني أعوذ بالله أن أركب ظلماً، لشن كنت ظلمتهم شيئاً هو لهم وأعطيته غيرهم لقد شقيتُ، لكنني رأيتُ أنه لم يبق شيء يفتح بعد أرض كسرى، وقد غنمنا الله أموالهم وأرضهم وعلو جهم، فقسمتُ ما غنموا من أموال بين أهله، وأخرجت الخمس فوجهته على وجهه، وأننا في توجيهه، قد رأيتُ أن أحبس الأرضين بعلو جها، وأضع عليهم فيها الخراج، وفي رقابهم الجزية يؤذونها، فتكون فيما لل المسلمين، المقاتلة والذرية ومن يأتي بعدهم، أرأيتُ هذه الشغور، لا بد لها من رجال يلزمونها، فمن أين يعطي هؤلاء إذا قسمت الأرضون والعلو؟»⁽¹⁾ . . .

إذن، رأى عمر أن لا أرض تفتح بعد أرض كسرى، وهذه أبعد ما تصل إليه الدولة من حدود . . . ونعلم أنه رفض إغراءات معاوية المتكررة له بغزو الروم في البحر، ونهاه عن تكرار مطالبته بذلك، وكان يقول:

«لوددتُ أنَّ الدرب جمرةٌ بيننا وبينهم، لنا ما دونه، وللروم ما وراءه» (اليعقوبي) . . . وقد انتظر معاوية موت عمر ليباشر ذلك بمباركة عثمان . . .

ولا مطعن لأحد بمدى انسجام رؤية عمر مع رؤية نبيه والتزامه بها . . .

أما ما حديث ذلك من توسيع للفتوحات من أقصاصي الصين إلى الأندلس، فلم ثُشر أي من كتب السير والتاريخ أنه كان في مخطط

(1) حسن العلوى - عمر والتشييع.

النبي ولا خليفيه الراشدين، وقد اختلفت الآراء في تسویغه، على أنه إما كان حماسة زائدة من بعض الأتباع لنشر الدين، أو طمعاً في المغانم من بعضهم، أو توسعًا إمبراطوريًا، مبررًا في حينه، من ملوكهم، أو نضالًا تحرريًا ضد إمبراطوريتين ظالمتين تخضعان جل العالم بالسيف لنهاية ثرواته واستعباد شعوبه، فقصد إلى تخلص هذه الشعوب وإتاحة الفرصة لها لسماع دعوة الإسلام من دون إكراه أو إجبار، وفقاً لما يرى د. جمال الحسيني أستاذ الدراسات الإسلامية المساعد في جامعة طيبة بالمدينة المنورة، الذي يستشهد بمساعدة أهل البلاد المفتوحة للمسلمين في فتوحاتهم، كما يشير إلى أن نسبة المسلمين في مصر بعد قرن من فتحها كانت 5% فقط، مدللاً على نفي الإكراه والإجبار.....

والخلاصة، المسلم هو كل من آمن بالله وبرسله وبال يوم الآخر، وعمل صالحًا، سواء كان على دين محمد أو موسى أو عيسى عليهم الصلاة والسلام، وصام وصلى وزكي وذكر ربّه على شعائر أحدهم، فالجنة مفتوحة لكل هؤلاء....

﴿مَنْ خَشِيَ الرَّحْنَ إِلَيْنَا يُنَبَّهُ وَجَاءَ يُقْلِبُ مُثِيبًا ۚ ۲۳﴾
 (٢٤) ﴿أَذْخُلُوهَا إِسْلَامًا ذَلِكَ يَوْمُ الْحُلُودِ﴾

﴿تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًّا﴾⁽²⁾

﴿وَنَصَّعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَمَةِ فَلَا نُظْلِمُ نَفْسًا شَيْئًا وَإِنْ كَانَ

(1) سورة ق، الآياتان: 33، 34.

(2) سورة مرثيم، الآية: 63.

مِثْقَالَ حَبْكَحْ قَنْ خَرَدِلَ أَتَنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَسِيبِينَ⁽¹⁾.

﴿أَوْلَئِكَ الَّذِينَ تَنْقَبُ عَنْهُمْ أَحَسَنَ مَا عَمِلُوا وَنَجَّاوْزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ فِي أَحَبِّ الْجَنَّةِ وَعَدَ الْقِدِيقُ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ﴾⁽²⁾.

وقد بات ضروريًا أن نعيد النظر في مفهوم الجهاد انطلاقاً من هذه الرؤية..... أي من أن «الدين عند الله الإسلام» تشمل الديانات السماوية الثلاث على الأقل ...

ولا فرق بين مسلم ومسيحي ويهودي، وإبراهيمي ضمن هذا المفهوم..... ولا تكفير لهؤلاء ولا لتابعى المذاهب والشیع ما داموا التقاوا على الجوهر.... ثم ...

﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾⁽³⁾.

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِرِينَ وَالنَّصْرَى وَالْمَاجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾⁽⁴⁾.

﴿لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مِنْكُمْ هُنْ تَاسِكُوُهُ فَلَا يُنْزِعُنَّكُمْ فِي الْأَمْرِ وَأَدْعُ إِلَيْ رَبِّكُمْ إِنَّكُمْ لَعَلَى هُدَىٰ مُسْتَقِيمٍ ﴿٧﴾ وَإِنْ جَاءُوكُمْ فَقْتُلُ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٧٩﴾ اللَّهُ يَعْلَمُ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿٨٠﴾﴾⁽⁵⁾.

(1) سورة الأنبياء، الآية: 47.

(2) سورة الأحقاف، الآية: 16.

(3) سورة السجدة، الآية: 25.

(4) سورة الحج، الآية: 17.

(5) سورة الحج، الآيات: 69 / 67.

﴿لَكُلٌّ جَعَلَنَا يَنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَا جَاءَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَنَا أُمَّةً وَاحِدَةً
وَلَكِنَّا لَيَتَبَلُّوكُمْ فِي مَا أَنْتُمْ فَاسْتَقِوْا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ
بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْلِفُونَ﴾⁽¹⁾.

والآية الأخيرة هي القول الفصل في ما جرى فهمه خطأً على امتداد قرون عديدة، والخالق يُعرّج² ينير لنا المسألة هنا، فكلّ أتباع الشرائع السماوية هم مسلمون، والفارق هو في الشريعة (أي الطريقة) والمنهج (لكلّ جعلنا منكم شرعةً ومنهاجاً) الذي ألهمه لكلّ من رسله، فشريعة موسى قامت على الحقوق والواجبات، وشريعة عيسى قامت على المحبة، أمّا شريعة محمد فقامت على الرحمة . . .⁽²⁾.

واليهود هم مسلمون على شرعة موسى (غير المحرف منها)، وهم قلة)، وال المسيحيون هم مسلمون على شرعة عيسى (غير المحرف منها)، كما أتباع محمد هم مسلمون على شرعة محمد (النقيّة، غير المتلاعب بها لاحقاً)، وما كان إطلاق تسمية المسلمين على أتباع محمد إلا من باب إطلاق العام على الخاص . . . دون أن يكون مبرراً حصرها بهم وتضييقها عليهم، هذا الحصر الذي يبدو أنه حصل لاحقاً، بعد قرون من وفاة النبي، ودليلنا على ذلك ما ساقه ابن هشام المتوفى سنة 213 هجرية في «السيرة النبوية»، ناسباً إلى ابن إسحاق الكاتب الأول للسيرة، روایته حول تنصر أهل نجران وأتباعهم المسيحية، والتي نقلها بتصرف للاختصار، يقول: (إن أهل نجران

(1) سورة المائدة، الآية: 48.

(2) محمد سعيد العشماوي - جواهر الإسلام.

كانوا أهل شرك يعبدون الأوثان، وكان في قرية من قراها ساحر يعلم غلمان أهل نجران السحر، فنزل القرية رجل من بقايا أهل دين عيسى بن صريم يُقال له فيميون، ويُبعث الشامر - أحد أشراف نجران - ابنه عبد الله مع الغلمان إلى الساحر ليعلمه السحر، فكان عبد الله إذا مر بفيميون أتعجبه ما يرى منه من صلاته وعبادته، فجعل يجلس إليه ويسمع منه حتى أسلم، فوحَّد الله وعبده، وجعل يسأله عن شرائع الإسلام . . . النـ . . . ص 27/28 ، والشاهد هنا استخدام تعبير إسلام وشرائع الإسلام في معرض الإشارة إلى دين عيسى المسيح، وهو المفهوم الذي كان سائداً عن أتباع الديانات السماوية، على الأقل حتى العام 213 هجري، عام وفاة ابن هشام . . .

والجنة مفتوحة لكل عباد الله، لا كما ادعى أتباع محمد، وقبلهم اليهود والنصارى باحتكارها وحصرها كل لجماعته، ألم يستنكر الله هذا الادعاء على اليهود والنصارى ﴿وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَكُلُوا بُرْهَنَكُمْ إِنْ كَثُنْتُمْ صَدِيقِنَ﴾⁽¹⁾ . . . فهل يقبل حصرها على أتباع محمد؟ لا سيما وقد عقب بقوله: ﴿بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجَهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ خَيْرٌ فَلَمَّا أَبْرُرْتُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾⁽²⁾ . . .

أخيراً، ليس أفضل من القرآن مرجعاً ومستندأ، ونجد في القصص التي جاء بها القرآن، أن الله يُنزَّل لم يعذب قرية أو يخسف بها

(1) سورة البقرة، الآية: 111.

(2) سورة البقرة، الآية: 112.

الأرض، أو يأتيها بصاعقة أو زلزال بسبب كفر أهلها فقط، وإنما بسبب ظلمهم وتجبرهم وفسقهم ولواطهم ... الخ، بعد أن يرسل لهمنبياً أو رسولاً يحذرهم ويدعوهم إلى الصواب، وربما تعطينا قريشاً مثلاً وأوضحاً، فهي لم تكن كافرة عابدة للأصنام فحسب، وإنما كانتديارها مكّة موئلاً لأصنام العرب الكفارة، فلم يخسف الله بها الأرض وإنما أرسل محمداً لهدايتها فالله لا يعذب على الكفر، ولكن يعذب على الظلم:

﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيَهْلِكَ الْقَرَىٰ بِطُلْمٍ وَأَهْلَهَا مُصْلِحُونَ﴾⁽¹⁾، وهذا كان رأي ابن عباس، وقد توسع فيه الفخر الرazi فقال:

- 1 - إن عذاب الاستصال لا ينزل لأجل كون القوم معتقدين الشرك والكفر، بل إنما ينزل إذا أسعوا المعاملات وسعوا في الإيذاء والظلم ﴿وَرُؤْكُمْ قَصَمْنَا مِنْ قَرَيْتُرْ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنْشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا مَاخِرِينَ﴾⁽²⁾.
- 2 - إن حقوق الله مبنها على المسامحة، فالله غني عن العالمين، وحقوق العباد مبنها على الضيق ..

- 3 - وبالتالي فما دام الناس مصلحين، يعامل بعضهم بعضاً على الصلاح والسداد، فإن الله لا يعذبهم وإن كانوا كفاراً ... فإذا كان الأمر كذلك مع المشركين والكافر، فكيف هو بالأحرى مع المسلمين من أتباع رسول الله الآخرين ...؟

(1) سورة هود، الآية: 117.

(2) سورة الأنبياء، الآية: 11.

أليس من الجهل والعنّت أن نصرّ على تغييب هذه المفاهيم؟ . . .
 ألم يثن الأوّان لنبذ كل خلاف ديني، ومذهبي، ومعتقدني، وإعادة
 النظر في مفهوم الجهاد، والعلاقة مع الآخر، ما دام الجميع مسلمين
 تبعاً لـكلام الله . . .

بقي أن نقول إنّ هذا المفهوم للإسلام ليس مفهوماً مبتكرأً، فقد
 جاء به، وأكّد عليه روّاد الإصلاح في الفكر الإسلامي، كجمال الدين
 الأفغاني الذي يلخص لنا د. ماهر الشريفي^(١) مفهومه «بأن الاقتناع
 بوحدة النوع الإنساني كان من ثوابت الأفغاني، الذي رأى بأن وحدة
 المكان جعلت الكورة الأرضية وطنًا لكل البشر، ومن هذا الاقتناع انبثق
 تشديده على وحدة الأديان ووقفه الحازم في وجه التفرقة الدينية،
 فالآديان السماوية الثلاثة كانت، في نظره، على تمام الاتفاق في
 المقصد والغاية، والأنبياء الثلاثة أرسلاوا وأوحى إليهم بالتوراة
 والإنجيل والقرآن بهدف «إرشاد الخلق إلى الحق وإراعتهم الصراط
 المستقيم في الأمور التعبدية»، ولا ينشأ الخلاف بين أهل الأديان إلا
 عندما يجري استغلال الدين، ولا سيما من قبل بعض رؤساء هذه
 الأديان الذين يتجررون بالدين ويشترون بآياته ثمناً قليلاً . . . وقد تمنّى
 الأفغاني أن يتحد أهل الآديان الثلاثة مثل ما اتحدت الآديان في
 جوهرها وأصلها وغايتها» . . .

أما الإمام محمد عبده، فيلخص لنا الشريفي رؤيته، بأنه «من منطلق

(١) د. ماهر الشريفي - تطور مفهوم الجهاد في الفكر الإسلامي.

قناعته أن التفرقة الدينية هي نتيجة أخرى من نتائج الجهل بالإسلام الصحيح، دعا عبده إلى التأليف بين الأديان التوحيدية الثلاثة، وأشار إلى أنّ دين الله واحد على ألسنة جميع الأنبياء، لا تختلف إلّا صوره ومظاهره، وأمّا روحه وحقيقةه، مما طرّب به العالمون أجمعين على لسان الأنبياء والمرسلين فهو لا يتغيّر: إيمان بالله وحده، وإنّا لمن في العبادة، ومساعدة الناس بعضهم البعض في الخير وكفّ أذاهم بعضهم عن بعض ما قدروا . . . ، ويشير الشريف، بالاستناد إلى بعض المصادر أنَّ الإمام شكل خلال إقامته في بيروت، بالتعاون مع عدد من الشخصيات الإسلامية، جمعية سرية غرضها التأليف بين الإسلام والمسيحية واليهودية، كان من أعضائها قسٌ إنجليزي يدعى اسماعيل تيلر، أصبح داعية لها في بريطانيا، وفي إحدى رسائله إلى هذا القس، أكَّد عبده أنَّ نشاط هذه الجمعية ضروري كي يتم «نور الله وظهور دينه الحق على الدين كله» . . .

ومثلهما، كذلك، عبد العزيز الشعالي، الذي «توقف مطولاً عند مسألة التأويل الصحيح للقرآن، والخطأ الذي يقع فيه المفسرون في أحيان كثيرة، ضارياً عدة أمثلة على ذلك، من بينها الخطأ الذي وقع لدى تفسير الآية 85 من سورة آل عمران: ﴿وَمَنْ يَتَّبِعْ غَيْرَ الْإِسْلَامِ فَإِنَّمَا يُقْبَلُ مِنْهُ﴾، فرأى بأنَّ المقصود بالمسلم في هذه الآية، وخلافاً للتفسير «الضيق الشائع» هو من آمن بالشريعة الإلهية، وليس فقط من تبني الدين محمدي، بحيث يكون في عداد المسلمين كلَّ من إبراهيم وإسحاق وموسى وداود وعيسى» . . . وأتباعهم.

ختاماً، تستثيرنا هنا اقتباسة من مقالة لمهتمي غالب، في ردّه على الصادق النيهوم⁽¹⁾ يقول:

(في دولة الإسلام النبوية كان المسلم والمسيحي وحتى الوثني يتمتعون بالمزايا نفسها، وتحافظ دولة الإسلام على حقوقهم كمواطنين صالحين، إلاّ من كان يحاول هدم هذا النظام الاجتماعي، فكلّهم سواسية أمام الحاكم والممحوم).

وبعد العهد النبوى الذى كان فيه الموحى إليه موجوداً، كانت هناك ديمقراطية، وكانت المضامين الحضارية لدستور العدل الإلهي الشامل، مطبقة من خلال النظام الاجتماعى الذى بناه الرسول الأعظم محمد بن عبد الله من خلال فهمه الشامل لهذا الدستور، أمّا ما حدث بعد ذلك من شروخ فردية أدت إلى تفكك هذا النظام واستقلال كل لبنة بما تراه صحيحاً، والقمع وردة الفعل عليه، فتجزّر الإسلام كنظام اجتماعي من الداخل، وأدى إلى انهيار دولته، لأنّها ابتعدت عن المضامين الحضارية لدستور العدل الإلهي الشامل.

وما أراني قادرًا على اتهام أي (دين) أو مذهب أو طائفة أو فرع من فروع الإسلام بالكفر والإلحاد، لأنَّ الخالق هو القادر على أن يميّز ويحاسب ويعاقب رؤية هذا الطرف على صراطه المستقيم، ولا علاقة لي بذلك إلاّ من حيث علاقة هذا الآخر بي، أي علاقة «دنيوية اجتماعية»، أمّا العلاقة «الأخروية» أو الروحية فلماذا لا تُترك لمبدع

(1) الصادق النيهوم - إسلام ضد الإسلام - شريعة من ورق.

هذا الدستور الإلهي الشامل يحكم فيها؟، إنما تدخلنا في صلاحيات الخالق جعلنا نتناسي مضمون دستوره، وأغرقنا في متأهلات أدت إلى التمزق والتشتت، فالإسلام بصورةه الحالية بعيدة جدًا عن المضامين الحضارية لدستور العدل الإلهي الشامل، غير قادر على إقامة أي عدالة لأنَّ معظم مسلمينا غير عادلين، ويبحثون في السماء أكثر مما يبحثون في الأرض، وأمر السماء للخالق، والأرض للمخلوقات....).

الإضافة الثالثة

من هم صحابة النبي؟

(التعريم الغبي حول أصحاب النبي)

تمنح الأديبات الإسلامية مقاماً شبه مقدس لصحابة النبي، وتترافق أسماؤهن عادة مع تعبير (رضي الله عنه، أو عنهم) كلّهم دون تمييز.

وتزخر كتب الحديث النبوى بأحاديث منسوبة إلى النبي، جاء بها بعض (الصحابة) المسلم بأنهم ثقات صالحون، دون التفات إلى تعارض معظمها مع النص القرآنى، وغرابة نسب معظمها إلى نبي الله.

فمن هم هؤلاء الصحابة تحديداً؟ وما مدى صحة ركوننا إلى الوثوق بهم كمصادر لحديث نبوى بات يحتل الصدارة، والسبق على القرآن، في تحديد أركان وعناصر تشريعنا، وسلوكياتنا؟

يورد د. بكر شيخ أمين تعريفاً للصحابي، يقول: «الصحابي، عند المحدثين، هو من لقى النبي مؤمناً به، ومات على الإسلام...» ويتابع: وهذا التعريف هو من أصح ما نقل إلينا عن العلماء الأئمّات، فهو يشمل كل فرد توافرت فيه لقيا النبي على الإسلام، وموته على ذلك، دون تفريق بين إنسان آخر مهما كان جنسه أو لونه أو بلده... ومن جهة ثانية فإننا نفهم من هذا التعريف أن الصحابي هو من لقى النبي، طالت مجالسته أو قصرت، روى عنه أو لم يرو، غزا معه أو لم يغزه، رأه رؤية ولم يجالسه، كذلك من لم يره لعارض كالعمى»⁽¹⁾.

(1) بكر شيخ أمين - أدب الحديث النبوى.

كذلك ذهب بعض أصحاب الشافعى إلى أن من صحب النبي لحظة فهو صحابي، ويمثل هذا الاتجاه /الكلوذانى الحنبلي/ الذى احتدى الموقف الظاهر من كلام ابن حنبل، فهو يرى أن اسم الصحابي: (يقع على كل مؤمن رأى النبي، وصحبه متباعاً له ولو لساعة)، مع أن اللغة تدلنا أن الصاحب هو المعاشر⁽¹⁾، والمعاصرة تفترض مجالاً زمنياً متسعاً⁽²⁾.

أما ابن حزم فيعتبر أن الصحابي: (هو كل من جالس النبي ولو لساعة، وسمع منه ولو كلمة فما فوقها، أو شاهد منه أمراً، ولم يكن من المنافقين، ولا مثل من تفاهم النبي، فمن كان كما وصفنا فهو صاحب، وكلهم عامل، إمام، فاضل، رضي، فرض علينا تعظيمهم وتوقيرهم)⁽³⁾. ويشاركه الباقي، فيعتبر أن (الصحابة كلهم عدول بتعديل الله لهم، وإن خباره عن طهارتهم، وتفضيل النبي لهم، فلا يحتاج إلى السؤال عن حالهم، ولا إلى البحث عن عدالتهم).

ونسأل: هل هذا التعميم والإطلاق صحيحان؟!

وهل التعريف دقيقة؟ وهل يمكن الركون إليها وشمول كل هؤلاء تحت مسمى (صحابة رسول الله)، والتعامل معهم على هذا الأساس، وقبول ما أدعوا نقله عن النبي؟ واعتباره أساساً مكيناً لشرعنا . . . وفقهنا؟؟؟

(1) ابن منظور - لسان العرب / الشوكاني - إرشاد الفحول.

(2) ابن حجر العسقلاني - الإصابة في تمييز الصحابة.

(3) حمادي ذوب - الستة بين الأصول والتاريخ.

وهل رضي الله عن كل هؤلاء؟!

تعبير: **نَعْلَمُهُ إِذَا كَانَ فِي مَقَامِ الدُّعَاءِ**، بمعنى أن نقصد بالعبارة: ندعوه أن يرضي الله عن فلان، كما ندعو بالقول: **نَعْلَمُهُ فَلَا مُشْكَلَةٌ** هنا، وهو دعاء جائز ندعوه لكل عباد الله، ونترك له **يَنْزَهُنَّ الْقُبُولَ أَوِ الْأَمْتَانَ**، وهو العليم الخبير. أما إذا كان في مقام تقرير واقع، أي إننا نقر أن الله قد رضي عن فلان بالدرجة ذاتها من اليقين التي نقول فيها: **صَلَى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدًا**، فإننا أمام مشكلة هنا

أبسط الأمثلة، هل نقول: (رضي الله)، عن أبي سفيان مثلاً، كما نقولها عن أبي بكر أو علي؟ وهو الذي كان أشرس أعداء الإسلام، وأشد الخصوم عداوة للنبي والرسالة، واستسلم عند فتح مكة، دون برهان على إسلامه الصحيح

(يورد الطبرى حادثة إسلام أبي سفيان عند فتح مكة، وانتصار الرسول على قريش، أن العباس أخذ أبو سفيان إلى النبي، فقال له النبي: «ويحك أبو سفيان، ألم يشن لك أن تعلم أن لا إله إلا الله؟»، فقال: يا أبي أنت وأمي، ما أوصلك وأحلوك وأكرملك، والله لقد ظنت أن لو كان مع الله غيره لقد أغنى عنى شيئاً، أما هذه فضي النفس منها شيء». ونعرف أن نفس أبي سفيان لم تؤمن حقاً، وأنه لم يقنع بنبوة النبي). خطط الجبل، بناء على أمر النبي، حتى تمر به جنود الله فيراها، ليقول للعباس: والله يا أبو الفضل، لقد أصبح ملك ابن أخيك الغدة عظيماً، في إنكار للنبوة، وتأكيد على الملك، ليجibه العباس: يا أبو سفيان إنها النبوة، فيقول مستسلماً: فنعم إذن

(وتزودنا السيرة النبوية لابن هشام بجانب آخر يتعلّق بهند بنت عتبة، زوج أبي سفيان، وردة فعلها على استسلام زوجها، إذ قامت إليه وأخذت بشاربه، وصاحت: «اقتلوا الحميت اللدسم الأحمس، قبح من طبيعة القوم»، دون أن ننسى أن تزاوج هذين أنتج للأمة معاوية بن أبي سفيان).

ثم هل تعتبر أنَّ كلَّ من يشملهم التعريف السابق، هم (صحابة ثقات) نقبل كل ما قالوا إنهم سمعوه عن النبي؟

هل كان الجميع مخلصين لوجه الله، لا تشوبهم شائبة، ولا تطالهم التوازع البشرية، خيرها وشرّها؟!

وهل هم بعد وفاة النبي ذاتهم قبل وفاته؟!
ألم تتغيّر نفوسُهم؟

ألم تداخلهم الأطعماً، وتتجاذبهم المواقف؟

ألم يكذب معظمهم على لسان النبي؟

ألا يعطينا أصحاب موسى وأصحاب عيسى والأنبياء الآخرين عليهم السلام مثلاً عن البطانة المحضة بالنبي أو القائد أو الملك، عبر التاريخ؟ ألم يتقلب أتباع موسى ما إن غاب عنهم أربعين يوماً، رغم ما شهدوا عنه من معجزات خارقة؟ ألم يكن يهوداً الأسخريوطى الذي خان السيد المسيح وسلمه لأعدائه، أحد حواريه الثاني عشر المقربين؟ أكثر من ذلك، ألم يكن الأبناء العشرة للنبي يعقوب، أحفاد النبي إبراهيم، مجرمين قاتلين ألقوا بأخيهم يوسف النبي في غيابة الجب، وكذبوا على أبيهم قربة أربعين عاماً؟ ألم نقبل الادعاء بأن

أصحاب محمد كانوا كلهم مختلفين عن هؤلاء، وأنهم من طينة متميزة من البشر!!

مع علمنا أن معظمهم كانوا أعداء أشداء لمحمد ودينه، قبل إسلامهم

باشر النبي دعوته بين أهله وأصحابه المقربين، ثم توسيع لدعوة قريش، فلبتها مجموعات صغيرة محدودة العدد، لم يتجاوز عددها، حتى الهجرة، أكثر من مائة وأربعة وخمسين، حسب ابن إسحاق، هؤلاء تحملوا مشقات إسلامهم، وعانوا ظلم قريش لهم، وهاجروا في سبيل الله حفاظاً على دينهم، وهم كانوا قريبين من النبي الذي تفرغ لهم، يحاورهم ويتقدّهم ويعليمهم القرآن مما ينزل عليه تباعاً، دون أن يشغله عن ذلك أي شاغل آخر .

ثم كانت هجرة النبي إلى المدينة قفزة هائلة في مسيرة الدين الجديد، بات أتباع محمد بعدها يُعدون بالآلاف، لتوسيع الدائرة وتزايد الأعداد عاماً بعد عام، ولم يعد دور النبي مقتصرًا على النبوة والرسالة فحسب، بل بات عليه - بالإضافة لذلك - أن يقوم بدور الحاكم الموجّه لمجتمع جديد بدأ يشكل نواة لدولة تتعاظم، ليصبح بعد حين أكبر إمبراطوريات عصرها، ودور قائد عسكري يخطط للدفاع عن الدين الجديد ونشره حوله .

وفي الحالتين، بين العشرات في مكة والآلاف في المدينة، كان للنبي نخبة من الرفاق والأصحاب، هم حلقة لم يتجاوز عددها بضعة أفراد في الأولى، ثم أكثر قليلاً في الثانية، كانوا يتربدون إليه، يناقش

معهم واقع الدين والمجتمع والجيوش، وهم ينقلون بدورهم توجيهاته وتعليماته وقراراته إلى جموع المسلمين.

تخبرنا سيرة ابن هشام، أن عبد الرحمن بن عوف اختلف مع خالد بن الوليد، حين قتل خالد من بيته جذيمة رغم إسلامهم، بعيد فتح مكة، فلما تشاذا، قال النبي لخالد: «مهلاً يا خالد، دع عنك أصحابي، فو الله لو كان لك أحد ذهباً ثم أنفقته في سبيل الله، ما أدركت غدوة رجل من أصحابي ولا روحته»..

أي إنَّ محمداً لم يساو بين أتباعه، بمن فيهم من كان بموقع خالد بن الوليد، وهو جعل ذلك صريحاً واضحاً لهم... .

إذن، كان هناك أصحاب للنبي، وكان هناك أتباع معاصرون له، وكلُّ الأصحاب كانوا أتباعاً ومعاصرين له، في حين لم يكن كلُّ الأتباع والمعاصرين أصحاباً له، والفرق كبيرٌ بين الحالتين، لماذا؟ بحكم منطق الأمور أولاً.. .

ويحكم أنَّ الله غَفَّلَ رسوله ميّزا بينهم، مما يلزمها بالتمييز، ثانياً.

ولضرورة اليقين من مصداقية بعضهم، ورفض مصداقية بعضهم الآخر فيما نقلوا عن رسول الله ثالثاً.

وكيلاً يؤخذ الصالحون، وهم كثُر، بجريمة الطالحين، وهم كثُر أيضاً، رابعاً.

وتخبرنا كتب السير والتاريخ أنَّ إسلام أتباع محمد كان على ألوانٍ

متعددة ووجوه شتى، لخصها معروف الرصافي⁽¹⁾ بالوجوه التالية:

- إيمان عقلي علمي، يستند إلى العقل والعلم بما ورآه من غاية مطلوبة، كإيمان أبي بكر الصديق... .

إيمان تبعي، كإيمان خديجة وبنات النبي، وعلي بن أبي طالب، وزيد بن حارثة... .

- إيمان إقناعي، كإيمان عثمان بن عفان، وعبد الرحمن بن عوف، والزبير بن العوام، وسعد بن أبي وقاص، وطلحة بن عبد الله التيمي، ممن أسلموا بدعاية أبي بكر لهم.. .

- إيمان حميوي، نسبة إلى الحمية بمعنى الأنفة والنخوة، كإيمان حمزة عم النبي، الذي أسلم نكاحهً بأبي جهل حين أساء إلى النبي في غياب حمزة.. .

- إيمان فطري، كإيمان أبي ذر الغفارى، الذي كان من المتألهين قبل أن تبلغه دعوة محمد، وأسلم ما إن سمع بها.. .

- إيمان بلاهي، كإيمان سودة بنت زمعة... .

- إيمان انتفاعي، كإيمان حبيب بن يساف الذي خرج مع المسلمين في بدر وهو غير مسلم، وحين رأته النبي، أسلم رغبة في الغنيمة.. .

- إيمان نكاحي، كإيمان أبي سليم، الذي كان مشركاً، وخطب أم سليم وهي مسلمة، فقالت: والله ما مثلك يُرَدُّ، ولكنك كافر وأنا مسلمة ولا يحل أن أتزوجك، فإن تسلم فهذا مهرك ولا أسألك غيره، فأسلم وتزوجها.. .

(1) معروف الرصافي - الشخصية المحمدية.

- إيمان قهري، كإيمان الوليد بن عقبة بن أبي معيط، وأبي سفيان والله، وغيرهم من الكثيرين منهن أسلموا استسلاماً بعد فتح مكة، ودخلوا في دين الله أفواجاً..

- إيمان جنائي، كإيمان المغيرة بن شعبة، الذي خدر فقتل ثلاثة عشر رجلاً منبني مالك من ثقيف، واستلتهم هدايا المقوّس لهم، بعد أن أسکرهم بالخمرة، ولم يجد مهرباً إلاّ القدوم إلى النبي وإعلان إسلامه، وتسلیم الغنیمة، التي رفضها النبي، وإن قبل إسلامه..

- إيمان كيدى، كإيمان عبد الله بن سلام وإخوانه من اليهود الذين أسلموا ليكيدوا لأهل الإسلام، كما ثبت عنهم لاحقاً..

ونضيف:

- إيمان وقائي: كإيمان جبلة بن الأئمّة الذي كان مسيحيّاً، ولما رأى هزائم بيزنطة أمّام جيوش المسلمين، كتب إلى أبي عبيدة بن الجراح بإسلامه وإسلام بني غسان، وقابل عمر، ثم ارتد لاحقاً....

- إيمان ولائي، كإيمان الذين اتبعوا آباءهم، والأهم الذين اتبعوا رؤوس قبائلهم، فقد رأينا زعيم القبيلة يسلم، فيتبعه كلّ أو أكثر أهل قبيلته، بل ويرتدون معه حين يرتد..

هل يستوي كلّ هؤلاء، برأي عاقل؟...

فما الذي قاله القرآن في بعض من كانوا مصاحبين للنبي:

لتابع:

﴿وَإِذَا رَأُوا يَحْرَةً أَوْ هُنَّا أَنْفَضُوا إِلَيْنَا وَرَكُوكَ قَائِمًا قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِنْ

اللَّهُو وَمَنْ أَنْجَرَهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ⁽¹⁾

﴿ذَلِكَ يَا نَبِيَّمْ عَامِنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطِيعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾⁽²⁾

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَمْ تَقُولُوا مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧﴾ كَبُرَ مُفْتَأِدٌ
اللَّهُ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨﴾

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَنْجِدُوا عَدُوِّي وَعَدُوُّكُمْ أَقْرَبُ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ
كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِّنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُثُرْ
جُرْحُمُتْ جِهَدًا فِي سَبِيلِ وَآتَيْنَاهُ مَرْضَافَ تُشَرِّقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَغْلُبُ بِمَا
أَخْتَيْتُمْ وَمَنْ يَقْعُلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلُ﴾⁽⁴⁾

﴿وَمَا لَكُمْ أَلَا تُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَلَّهُ يُرِيكُ الْأَسْنَاتَ وَالْأَرْضُ لَا يَسْتَوِي
مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدِ
وَقَاتَلُوا﴾⁽⁵⁾

﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَّلَ مِنْ الْحَقِّ
وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمْدُ فَقَسَطَ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ
مِّنْهُمْ فَسِقُونَ﴾⁽⁶⁾

﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهُهُمْ
بِآمْنَاهُمْ

(1) سورة الجمعة، الآية: 11.

(2) سورة المنافقون، الآية: 3.

(3) سورة الصاف، الآيات: 3/2.

(4) سورة الممتحنة، الآية: 1.

(5) سورة الحديد، الآية: 10.

(6) سورة الحديد، الآية: 16.

وأنفسهم في سبيل الله أولئك هم الصالحون^(١).

﴿إِنَّمَا لِحْيَةُ الَّذِينَ لَعْبٌ وَلَهُمْ فَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَنْقُوا يُؤْكِلُ أَجُورُكُمْ وَلَا يَسْتَأْنِكُمْ أَفَرَأَكُمْ إِنْ يَسْكُنُوهَا فَيَحْكِمُونَكُمْ بِمَا حَلَّوْا وَيَخْرِجُونَكُمْ أَضْفَانَكُمْ﴾ ^(٢) هَذَا نَصْرٌ
هَذُلَّاءَ تُدْعَوْنَ لِتُنْقُوا فِي سَبِيلِ اللهِ فَمِنْكُمْ مَنْ يَخْلُلُ وَمَنْ يَسْخَلُ فَإِنَّمَا يَخْلُلُ عَنْ تَقْسِيمٍ وَاللهُ أَعْلَمُ وَأَنْشَأَ الْفَقَرَاءَ وَلَا تَنْتَلِوا يَسْتَبِدُ فَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ﴾ ^(٣)

﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُو بِالْإِفْكِ عُصَبَةٌ مُنْكَرٌ لَا يَحْسُبُوهُ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ لِكُلِّ أَمْرٍ يَتَّهِمُ مَا أَكْتَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي قَوَّلَ كِبَرُوْمِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ ^(٤)

﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ لَسَكَنُ فِي مَا أَنْفَضْتُ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ ^(٥) إِذْ تَلْقَوْهُمْ بِالسَّيْئَاتِ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَيَحْسُبُونَهُمْ هَيْنَا وَهُوَ عِنْدَ اللهِ عَظِيمٌ ^(٦) (ما أفضتم فيه: المقصود من حديث الإفك).

﴿يَعْظِلُكُمُ اللهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ ^(٧).

﴿وَيَقُولُونَ إِمَّا بِاللهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطْعَنَا ثُمَّ يَتَوَلَّ فِرِيقٌ مِنْهُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ﴾ ^(٨).

(١) سورة الحجرات، الآية: 15.

(٢) سورة محمد، الآيات: 38 / 36.

(٣) سورة النور، الآية: 11.

(٤) سورة النور، الآيات: 15 / 14.

(٥) سورة النور، الآية: 17.

(٦) سورة النور، الآية: 47.

﴿قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَسْأَلُونَ مِنْكُمْ لِوَادِئًا فَلَيَحْذِرُ الَّذِينَ يَخْالِفُونَ عَنِ اَمْرِهِ أَنْ تُصِيبُهُمْ فَتْنَةٌ أَوْ يُصِيبُهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾⁽¹⁾

﴿وَقُولُونَ طَاعَةً فَإِذَا بَرَزُوا مِنْ عِنْدِكَ بَيْتَ طَائِفَةً مِنْهُمْ غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ وَاللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّنُونَ فَأَعْرَضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾⁽²⁾

﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنَّ أَعْطَوْهُمْ مِنْهَا رَضْوًا وَإِنْ لَمْ يُعْطُوهُمْ إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ﴾⁽³⁾

ولنلاحظ أن كل هذه الآيات مدنية، أي نزلت في المدينة، بعد أن كثر أتباع محمد، واختلط الحابل بالنابل، وبيات الدخول في الإسلام بالنسبة للكثيرين فرصةً ومحنةً، ولم يعد قناعةً راسخةً، ومحاورةً صعبةً، كما كان الحال في مكة

كانت سورة (التوبه) السورة قبل الأخيرة نزولاً، وكأنما أراد الله تعالى أن يشخص فيها حال أغلب المحيطين بمحمد فخصص لهم بعض آيات)، وقد سميت بالسورة الفاضحة، لأنها أظهرت حقائق الكثير منهم تبعاً لذكرها أو زوراً:

فهم يتهربون من الجهاد في سبيل الله: ﴿يَتَأْبِهَا الَّذِينَ إَمَّا تَوَلُّوا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ أَنْفَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَنَّا قَاتَلْنَا إِلَى الْأَرْضِ أَرْضِيْشِدْ بِالْحَسَنَةِ الَّذِينَ مِنْ الْآخِرَةِ فَمَا مَنَعَ الْحَسَنَةِ الَّذِينَ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ﴾⁽⁴⁾.

(1) سورة النور، الآية: 63.

(2) سورة النساء، الآية: 81.

(3) سورة التوبه، الآية: 58.

(4) سورة التوبه، الآية: 38.

والله يتوعدهم بالعذاب وباستبدالهم:

﴿إِلَّا نُنْهِرُوا يُعَذَّبُوكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبِدُّ فَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا
نَصْرُوهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾⁽¹⁾.

ويسجل عليهم عدم نصرة النبي:

﴿إِلَّا نَصْرُوهُ فَقَدْ نَصَرَ اللَّهُ﴾⁽²⁾.

ويكشف كذبهم:

﴿لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَأَتَبْعَلُوكَ وَلَكِنْ بَعْدَتْ عَلَيْهِمُ الشَّفَّةُ
وَسَيَعْلَمُونَ بِاللَّهِ لَوْ أَسْتَطَعْنَا لَرْجَنَا مَعَكُمْ يَهْلِكُونَ أَنفُسَهُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ لِأَنَّهُمْ
لَكَذِيبُونَ﴾⁽³⁾.

وکفرهم:

﴿وَمَا مَنَعَهُمْ أَنْ تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَتْهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرِسُولِهِ
وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَى وَلَا يُفْتَنُونَ إِلَّا وَهُمْ كَوْهُونَ﴾⁽⁴⁾.

ونفاقهم:

﴿وَمَنْ حَوَّلَكُمْ مِنَ الْأَغْرَابِ مُنَفِّقُونَ وَمَنْ أَهْلَ الْمَدِينَةَ مَرَدُوا عَلَى
الْنِفَاقِ لَا تَعْلَمُونَ تَحْمَلُهُمْ سَعْدَهُمْ مَرَدَّهُمْ بِمَمْ يَرْدُونَ إِلَى عَذَابٍ
عَظِيمٍ﴾⁽⁵⁾.

(1) سورة التوبه، الآية: 39.

(2) سورة التوبه، الآية: 40.

(3) سورة التوبه، الآية: 42.

(4) سورة التوبه، الآية: 54.

(5) سورة التوبه، الآية: 101.

توعدهم بعذاب أكبر من عذاب الكافرين . . . وهو عذاب كان قد لعن المنافقين (شاملاً بعض أهل المدينة) وأمر بقتلهم حيث وجدوا، إذ قال في سورة الأحزاب:

**﴿إِنَّ لَّهَ يَنْهَا الْمُنَافِقِينَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْمُرْجِحُونَ فِي الْمَدِينَةِ
لَنْفَرَنَّكُمْ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكُمْ فِيهَا إِلَّا فَيْلَأُ مَلْعُونِينَ أَيْنَمَا نَفَقُوا
أَخْذُوا وَقَاتَلُوا تَقْتِيلًا﴾** (1).

**﴿وَلَا تُصِلِّ عَلَى أَحَدٍ مِّنْهُمْ مَّا مَاتَ أَبْدًا وَلَا نَقْمٌ عَلَى قَبِيرٍ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ
وَرَسُولِهِ وَمَا أُنزَلَ وَهُمْ فَدَسُونَ﴾** (2).

**﴿يَتَحَفَّزُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفَرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ
إِشْرَاعِهِمْ﴾** (3).

وبعد . . . أليس من الكفر إغفال كلام الله الحق ووصفه لحال معظم من نسمتهم (صحابة)، والتمسك بعكس ذلك مما حاول فقهاء السلطان إقناعنا به . . .

أما في الحديث الشريف، فقد ورد عن أصحاب النبي :

أورد مسلم في صحيحه، عن حذيفة عن النبي أنه قال: (في أصحابي اثنا عشر منافقاً، فيهم ثمانية لا يدخلون الجنة، حتى يلتج الجمل في سم الخياط).

وقد ورد في السيرة الحلبية، أن حذيفة بن اليمان كان يقال له

(1) سورة الأحزاب، الآيات: 60/61.

(2) سورة التوبة، الآية: 84.

(3) سورة التوبة، الآية: 74.

صاحب سر رسول الله، وقد أسرّ له النبي فقال: «إني مسرّ إليك سرًا فلا تذكرة، إني نهيت أن أصلّي على فلان وفلان، وعد جماعة من المنافقين». . ولم يورد حذيفة هذا الحديث إلا بعد وفاة النبي، دون ذكر الأسماء، فكان عمر بن الخطاب خلال خلافته إذا مات الرجل ممن يظنّ به أنه من أولئك الرهط المنافقين، أخذ بيده حذيفة فقاده إلى الصلاة عليه، فإن مشى معه حذيفة صلّى عليه عمر، وإن انتزع بيده من يده ولم يمشِ معه ترك الصلاة عليه. . .

كما روي عن جابر بن سمرة، عن النبي أنه قال: (إنَّ بَيْنَ يَدَيَ السَّاعَةِ كُلَّاً بَيْنَ فَاحِدَرُوهُمْ).

وأورد البخاري، عن سعيد بن المسيب عن أبيه، أنه كان يحدث عن أصحاب رسول الله، فروى حديثاً قال إنه سمعه من النبي يقول فيه: (يرد على الحوض رجال من أصحابي، فيُجلُّون عنه، فأقول: يا رب، أصحابي، فيقال: إنك لا تعلم بما أحدثوا بعدهك.. إنهم ارتدوا على أعقابهم القهقري).

وفي ما أخرج الحاكم في المستدرك: قالت أم المؤمنين، أم سلمة لعبد الرحمن بن عوف: يابني أنفق فإني قد سمعت رسول الله يقول: (إنَّ مِنْ أَصْحَابِي مَنْ لَا يَرَانِي بَعْدَ أَنْ أَفَارِقَه). . . .

إن صحت الأحاديث، فهذه شهادة من النبي في أصحابه المقربين، فما بالنا الآخرين الأبعد قليلاً، ولم نهمل قول النبي ونصر على إضفاء قداسة كاذبة على الجميع؟ .

أورد البخاري ومسلم والترمذى، عن جابر بن عبد الله قال: بينما

كَنَا نَصْلِي مَعَ النَّبِيِّ إِذْ أَقْبَلَتْ عِيرٌ تَحْمِلُ طَعَامًا، فَالْتَّفَتُوا إِلَيْهَا حَتَّىٰ مَا بَقِيَ مَعَ النَّبِيِّ إِلَّا اثْنَا عَشَرَ رَجُلًا، فَنَزَّلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: ﴿وَإِذَا رَأَوْا يَمْرَأَةً أُولَئِكُمْ أَنْفَضُوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكُمْ قَائِمًا﴾

هل نقبل روایة الحديث عن مثل هؤلاء، الذين انفضوا عن النبي في حياته لأجل قافلة... أليس من حقنا أن نشك بأنهم انفضوا عنه وبعد مماته، فكذبوا على لسانه لأجل المال أو السلطان أو الغرض... ليت راوي هذا الحديث عدد لنا من هم الاثنا عشر رجلاً الذين بقوا مع النبي

وإذا كانت الشكوك تدور حول صدق إسلام الكثريين ممن أعلنوا إسلامهم بعد انتصارات النبي وأتباعه، طلباً للسلامة، أو بحثاً عن موقع ومغنم ودور، أو طمعاً في الغنائم، فإن الأمر يبدو أكثر سوءاً حول القرشيين الذين استسلموا يوم فتح مكة، وأتيح لهم لعب أدوار هامة في تاريخ الدين والدولة، ناهيك عن روایتهم لأحاديث الرسول.

يقول إبراهيم فوزي: أمّا الذين أسلموا بعد فتح مكة، وكانوا ممن حارب النبي قبل فتحها، فلا يعتبرون من الصحابة، وهم الذين نعتهم القرآن بالكافر في سورة الفتح: ﴿وَمُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشَدُهُمْ عَلَى الْكُفَّارِ رِحْمَةً بَيْنَهُمْ﴾ ، وقالوا إنَّ إسلامهم بعد أن غلبوه على أمرهم لا يجعلهم من الصحابة، ولا يعتبرون عدولًا، فيما نقلوه عن النبي من أحاديث إلاّ بعد البحث عن عدالتهم⁽¹⁾.

(1) إبراهيم فوزي - تدوين السنة.

فما الذي أورده كتب السير عن بعض (الصحابة)؟:

هرب الكثير من (صحابة رسول الله) يوم أحد، إلا قليلاً منهم دافعوا عنه وحموه، وكذلك فعلوا يوم حنين... وقد عاير عبد الرحمن بن عوف عثمان بن عفان بهروبه يوم أحد، فأجاب عثمان: «إلا أن الله قد عفا عنّي، ولقد فعلنا أفعالاً لا ندرى أَغْفَرَ اللَّهُ أَمْ لَا»⁽¹⁾.

قال الإمام الواحدi: قال المفسرون: قدم المهاجرون المدينة، وفيهم فقراء ليس عندهم أموال، والمدينة غالبة الأسعار، شديدة الجهد، وفيها نساء بخايا مسافحات، فرغب في كسبهنَّ (أموالهنَّ) أناسٌ من المهاجرين الفقراء... فقالوا: لو أتَنَا تزوجنا منهُنَّ، فعشنا معهُنَّ إلى أن يغنينا الله تعالى عنْهُنَّ... فاستأذنوا الرسول في ذلك... فنزلت آية:

﴿ الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِي لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانِي أَوْ مُشْرِكٌ﴾⁽²⁾ وحرّم فيها نكاح الزانية صيانة للمسلمين عن ذلك⁽³⁾.

عن عكرمة عن ابن عباس، قال: جاء رجل إلى رسول الله وقال: (إنَّ امرأتي لا تمنع يدَ لامس...)، فقال النبي: غربها، قال: أخاف أن تتبعها نفسي... قال: فاستمتع بها⁽⁴⁾.

إن صحت الرواية، فهذا أحد النماذج عن (صحابي) لا ترد امرأته يدَ لامس.

(1) تاريخ العقوبي ص 169.

(2) سورة التور، الآية: 3.

(3) أسباب النزول ص 152.

(4) سنن أبي داود - ج 2 - ص 220.

نقرأ في «تفسير القرطبي» أنَّ الصحابي القريب من النبي، وأحد أبناء عمومه زوجه عائشة، طلحة بن عبيد الله، حين استاء النبي من ملاقاته عائشة، قال: أَيْ حِجَبْنَا مُحَمَّدًا عَنْ بَنَاتِ عَمِّنَا وَيَتَرَوْجِنَ نِسَاءُنَا، لَئِنْ حَدَثَ بِهِ حَدَثٌ (أَيْ لَئِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ) لَنْ تَزْوِجْنَ نِسَاءً مِنْ بَعْدِهِ، وهي مقوله أغضبت الله فأنزل الآية: ﴿وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذِنُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبْدًا إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا﴾⁽¹⁾.

ونقرأ في «السيرة الشامية» للصالحي الشامي، وفي «أسباب ورود الحديث، أو اللمع في أسباب الحديث» للسيوطى، حول ما واجهه النبي فيما يخص مشكلة (المغيبات) وهنَّ زوجات العسكر الخارجين في الغزوات والسرایا، والإجراء الذي اتخذه بالنهاي الصريح لأتباعه بعدم طروق زوجاتهم ليلاً، أي الدخول عليهنَّ ليلاً حين عودتهم من القتال، حتى لا يفاجأ المجندي العائد بزوجته في موقف يكدر خاطره... عن عبد الرحمن بن حرمدة قال: لما نزل النبي بالمعرس، وهي موضع التزوّل بالليل، أمر منادياً فنادي: لا تطرقوا النساء، قال: فتعجل رجال، فكلاهما وجد مع امرأته رجلاً، فذكر ذلك للنبي فقال: قد نهيتكم أن تطرقوا النساء... أورده عبد الرزاق في مصنفه.

يورد السيوطى: أخرج ابن الصرينس في فضائل القرآن عن يعلى بن حكيم عن زيد ابن أسلم أنَّ عمر خطب الناس، فقال: لا تشکعوا في الرجم فإنه حق، (مشيراً إلى رجم الشيخ والشيخة إذا زنياً)، وهي غير واردة في نص القرآن، ولقد هممَتْ أن أكتبَه في المصحف فسألتْ أبي

(1) سورة الأحزاب، الآية: 59.

بن كعب فقال: أليس أتيتني وأنا مستقرؤها رسول الله فلدفعت في صدرى، وقلت: تستقرئه آية الرجم وهم يتسافدون تسافد الحمر⁽¹⁾... إن صح ذلك، دل أن أكثر المحجظين بالنبي ممن نصر على تسميتهم بالصحابة كانوا غارقين في الزنا في زمن النبي، وتسافد الحمر هو تناكح الحيوانات دون ضابط..

يورد السيوطي، أيضاً، حول سبب نزول الآية 59 من سورة الأحزاب: «يَا أَيُّهَا الَّذِي قُلْ لِأَزْوَاجِكَ وَبَنِائِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُذْنِينَ مِنْ جَنَاحِهِنَّ ذَلِكَ أَدْفَعَ أَنْ يُعْرَفَ فَلَا يُؤْذِنُ وَكَمَ كَمَ اللَّهُ عَفْوًا رَّحِيمًا»، ما أخرجه ابن سعد في «الطبقات» عن أبي مالك، قال: كان نساء النبي يخرجن بالليل لحاجتهن، وكان ناسٌ من المنافقين يتعرضون لهنّ فيؤذن، فشكوا ذلك، فقيل ذلك للمنافقين، فقالوا إنما فعله بالإماء، فنزلت الآية⁽²⁾... فإذا علمنا أن سورة الأحزاب نزلت في الربع الأخير من الدعوة - بعد وقعة الخندق - وأن مجتمع المدينة كان إسلامياً شبه صرف، فإن هذا يعني أن بعض المسلمين، معاصر النبي، كانوا يتحرّشون بالنساء حين خروجهن لقضاء حاجتهن، دون رادع ديني أو أخلاقي، أو خوف من عقوبة، وأن سفههم كان يصل إلى التحرش حتى بنساء النبي ذاته، وأنهم كانوا معروفين، بدليل قول أبي مالك: فقيل ذلك للمنافقين، كما أن عذرهم كان أكثر قبحاً من ذنبهم، إذ اعترفوا بأنهم يفعلون ذلك بالإماء، وكان الإمام لسن من عباد الله... .

(1) السيوطي - الإنفاق في علوم القرآن.

(2) السيوطي - لباب النقول في أسباب النزول.

عن يحيى بن كثير، عن عطاء بن السائب، قال: كنّا عند عبد الله بن الحارث، فقال: أتدرؤن لمن قال رسول الله: (من كذب عليّ فليتبوأ مقعده من النار)؟، قلنا لا، قال: إنما قال ذلك من قبّل (عبد الله بن أبي جذعة)، أتى ثقيفًا بالطائف، فقال: هذه حلة رسول الله، أمرني أن أتبوا أيّ بيوتكم شئت.. (أي أن يجامع زوجة أو ابنة أيّ فرد منهم).. فقالوا: إنّ عهداً برسول الله يحرّم الزنا، فسنرسل إليه رسولًا... فسار رسول إلى النبي، وقدم عليه عند الظهر، فقال: يا رسول الله، أنا رسول ثقيف إليك، إنّ ابن أبي جذعة أتانا فقال: هذه حلة رسول الله، أمرني أن أتبوا أيّ بيوتكم شئت، فقلنا له: هذه بيوتنا، فتبوا أيّها شئت.. فانتظر سواد الليل، وقال: أتبوا أيّ نسائكم شئت، فقلنا: عهداً برسول الله يحرّم الزنا... فغضب الرسول غضبًا شديداً لم أر أشدّ منه.. ثم أرسل رجلين ليقتلاه ويحرقاه بالنار.. فانتهيا إليه، فوجداه قد مات بلدغة حية، فنبشا القبر وأحرقا الجثة.

ونقرأ في سبب نزول الآية: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ إِذَا ضَرَبُوكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ الْسَّلَامَ لَتَسْتَ مُؤْمِنًا تَبَيَّنُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الْدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ مَفَاتِحُ كُلِّ شَيْءٍ﴾⁽¹⁾ أنّ نفرًا من (الصحابة) مرّوا برجلي من بني سليم، وهو يسوق غنمًا، فسلم عليهم السلام الإسلام، فقالوا ما سلم علينا إلا تقية، فقتلوا واستاقوا بسلام الإسلام، ... غنمهم ..

ولمن يصرّون أن الإسلام شذب نفوس كلّ تابعيه، وأن دعوى

الجاهلية بطلت في الإسلام، نسوق قصة الحارث بن سعيد، كما جاءت في السيرة الحلبية، إذ كان لحارث ابن السعيد ثأر لدى المجرّد بن ذياد، الذي قتل أباه السعيد انتقاماً لقتله أباه ذياد، وكان ذلك أيام الجاهلية، ثمَّ أسلم كلاهما، الحارث والمجرّد، وصار مفترضاً أنَّ الإسلام غسل القلوب، ولا سيما أنَّ الدماء تكافأت بينهما، إلا أنَّ الحارث لم يتناسَ جاهليته، رغم أنه كان من شهدوا بدرًا وتالوا امتياز ذلك بين المسلمين، فلما كان يوم أحد أتى مجرّداً من خلفه وضرب عنقه فقتله، وقد غضب النبي وأمر بالحارث فضررت عنقه جزاءً ..

ولا تنسى السيرة الحلبية، أنَّ تذكر لنا قصة خالد بن الوليد حين بعثه النبي إلى بني جذيمة، وهم قوم أسلموا، وكانوا سبق وقتلوا عمَّه الفاكه بن المغيرة وأخاه في الجاهلية، فقتل خالد رهطاً منهم ثأراً لعمه وأخيه، وهي حمية جاهلية فيه لم يغسلها الإسلام، وقد غضب النبي وقال: «اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد» ثلاثاً، وهم عبد الرحمن بن عوف وعمر بن الخطاب بخالد، لكنَّ النبي عفا عنه واغتفر فعلته التي فعلها بداعوي الجاهلية ..

وقد أورد ابن كثير، القصة، متحدناً عن قتل خالد للمسلمين من بني جذيمة، فقال: « وإنَّه قتل طائفة كثيرة منهم وأسر بقيتهم، وقتل أكثر الأسرى أيضاً»⁽¹⁾ ..

كما أورد ابن هشام القصة ذاتها، متوسعاً في الجدل الذي دار بين عبد الرحمن بن عوف وخالد، حتى كان بينهما شُرُّ، فبلغ ذلك النبي

(1) ابن كثير - البداية والنهاية.

فقال: «مهلاً يا خالد، دع عنك أصحابي، فوالله لو كان لك أحد ذهباً ثم أنفقته في سبيل الله، ما أدركت غدوة رجل من أصحابي ولا روحه»⁽¹⁾ . . . في دليل هام يشير إلى أن الله والرسول لم يضعوا كلَّ (الصحابة) في ذات المقام، بعكس ما يفعله جهاؤنا . . .

وأما أمر الغلول، فيرينا جانباً آخر من سلوك بعض (الصحاباة)، ومدى أمانتهم، والغلول مصدر غل الشيء إذا أخذه في خفية ودسه في متعاه، أي سرقه خفية، ونعلم أن القرآن حدد للمسلمين طريقة وسبيل توزيع مغانم الحرب والغزو، فكان جمع الغنائم بتمامها بعد المعركة، بغية توزيعها الصحيح، يتوقف على أمانة الغانمين وامتناعهم عنأخذ شيء منها قبل قسمتها، فهل كان كلُّهم ذوي أمانة وعفة نفسٍ أمام إغراء مثل هذا؟ الجواب هو لا، وتتعدد الروايات في كتب السير حول هذا الأمر، فتذكر حالات كثيرة غل فيها أصحاب النبي، منهم غلامه مدعم الذي قال فيه «إن الشملة التي أخذها يوم خيبر من الغنائم لم تصبها المقاسيم، لتشتعل عليه ناراً»، ومتهم أحد أصحابه قُتل يوم خيبر، فامتنع عن الصلاة عليه، وقال لأصحابه: «صلوا على صاحبكم، إنه غل في سبيل الله»، ففتشوا متعاه فوجدوا خرزًا من خرز اليهود لا يساوي درهماً، وأخر قال عنه إنه في النار، فوجدوا عباءة قد غلّها، ومثل هذا كثير، استلزم نزول قرآن يشدد العقوبة على الغالين، «وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغْلُبَ وَمَنْ يَغْلُبْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَمَةِ»⁽²⁾ .

(1) ابن هشام - السيرة النبوية.

(2) سورة آل عمران، الآية: 161.

وتوجه لنا قصة (الصحابي) عبد الله بن سعد بن أبي سرح بالكثير . . فهو كان لبعض الوقت واحداً من كتبة الوحي الذين كلفهم الرسول بتدوين ما يوحى إليه، ثم ارتدَّ عن الإسلام ومضى إلى مكة وانضم إلى القرشيين، وبات يدعى أنه كان يغيّر من كلمات الوحي، وأنَّ محمداً كان يوافقه، مما يدلُّ أنه لم يكن وحياً ولكنه ابتداع من محمد، وقد كان أحد الذين أباح النبي دمَّهم يوم فتح مكة، فاستجار بأخيه في الرضاعة عثمان ابن عفان، الذي أخفاه عنده أياماً عدَّة إلى أن هدأ الاضطراب، ثم أتى به إلى النبي واستأمن له، وبعد صمت مديد، قال النبي : (نعم)، دالاً على قبوله شفاعة عثمان على مضمض، فشهد وأنصرف مع عثمان، وحين سُئل النبي عن سبب صمته الطويل، أجاب : (لقد صمَّتْ ليقوم إليه بعضكم فيضرب عنقه) وهذا لأنَّه كان قد أُعلن أنَّ دمه مباح حيث وُجد، ولو كان معلقاً بأستار الكعبة.. . وسأل أحدُ الأنصار: فهلاً أومأت إلى يا رسول الله، فقال النبي : (إنَّ النبي لا يقتل بالإشارة)، أي ليس بوسعه أن يدعى الصمت بينما يعطي بعينيه علامة القتل . . . وعبد الله بن أبي سرح الذي عاد مسلماً، بعد الفتح، إنقاذاً لروحه، راوٍ للحديث عن النبي وهو قائد سرايا عمرو بن العاص لفتح ليبيا، ووالي عثمان على مصر لاحقاً . .

أما قصة حاطب بن أبي بلتعة فترينا نموذجاً خطيراً لصاحبِي متميّز يخون النبي وال المسلمين في أخطر مراحل جهادهم . . وهو كان من شهدوا معركة بدر مع النبي ، ونعلم أيَّ امتياز أُعطي لمقاتلي بدر من (الصحابة)، سواء من حيث المكانة، أو من حيث تقديمهم حين قسمة

الغائم، كما كان مبعوث النبي إلى المقوس في الإسكندرية لثقبه به، وتورد السيرة الحلبية أنه حين قرر محمد المسير إلى مكة لفتحها، كتم ذلك أول الأمر ولم يُظهره للناس، ثم أظهره حين جهزهم، وعندما كتب حاطب بن أبي بلتعة كتاباً إلى قريش يخبرهم بمسير النبي إليهم، وأرسله مع امرأة اسمها سارة كانت مغنية بمكة، فأتى الخبر رسول الله فأرسل علي والزبير، فعادا بها، وحين عاتب النبي حاطباً بذلك، تعلل بخشيه على أهله في قريش، وقبل النبي عذرها لأنه من مقاتلي بدر.. وأنزل الله قرآنـاً، قال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَنْجِدُوا عَدُوّكُمْ وَعَدُوكُمْ أُولَئِنَّا نَلْقَرْنَاهُمْ بِالْمَوْدَةِ﴾⁽¹⁾.

ـ أيـ (صحابة) هؤلاء؟ . . .

ولعل شهادة أبي بكر الصديق بأمانة أصحاب النبي ذات دلالة كبيرة وهامة، إذ إنـه إبان اقتراب جيش النبي من مكة قبيل فتحها، طلب أبو قحافة (والـد أبي بكر) من صغرـي يـناتهـ أن تـقودـهـ إـلـىـ بـقـعـةـ أـبـيـ قـبـيسـ ليـشـهـدـ ماـ هوـ قـادـمـ إـلـىـ مـكـةـ، وـكـانـ أـعـمـىـ، وـكـانـ اـبـنـهـ تـضـعـ طـوقـاـ فـيـ عـنـقـهـ، وـحـينـ اـنـدـفـعـتـ الـخـيلـ قـبـلـ عـودـتـهـ إـلـىـ بـيـتـهـ، تـقـدـمـ رـجـلـ فـقـطـ عـلـىـ طـوقـ عـنـقـ الفتـاةـ، فـلـمـ دـخـلـ النـبـيـ مـكـةـ، جـاءـ أـبـوـ بـكـرـ بـأـبـيـهـ إـلـيـهـ فـأـعـلـنـ إـسـلـامـهـ، ثـمـ أـخـذـ أـبـوـ بـكـرـ بـيـدـ أـخـتهـ، وـقـالـ: أـنـشـدـ اللهـ وـالـإـسـلـامـ طـوقـ أـخـتيـ، فـلـمـ يـجـبـهـ أـحـدـ، فـقـالـ: أـيـ أـخـيـ، اـحـتـسـبـيـ طـوقـكـ، فـوـالـلهـ إـنـ الـأـمـانـةـ فـيـ النـاسـ الـيـوـمـ لـقـلـيلـ . . .⁽²⁾

(1) سورة الممتلكـةـ، الآيةـ: ١ـ.

(2) ابنـ هـشـامـ - السـيـرةـ النـبـوـيـةـ.

تقدّم لنا «السيرة النبوية» لابن هشام، صورة مخزية للجّموع التي رافقت النبي، بعد فتح مكّة، لملأقة هوازن بقيادة مالك بن عوف، فقد كان مع النبي إثنا عشر ألفاً، فلما التقى الجّموع انهزمت جموع المسلمين، فانحاز النبي ذات اليمين، وصّاح «أين أيّها الناس؟ هلّمّوا إلىّي، أنا رسول الله أنا محمد بن عبد الله»، لكنّ الناس انطلقاً، ولم يبق مع النبي إلّا أبو بكر وعمر وعلي والعباس وابنه الفضل، والمغيرة بن الحارث وابنته جعفر، وأسامة بن زيد، وأيمن بن عبيد قُتل يومئذٍ.. حتى أنّ أم سليم بنت ملحان، وكانت قريبة من النبي، قالت له: بأمي أنت وأمي يا رسول الله، اقتل هؤلاء الذين ينهزمون عنك، كما تقتل الذين يقاتلونك، فإنّهم لذلك أهل.. وقد طلب النبي من العباس، وكان جهير الصوت، أن ينادي: يا عشر الأنصار، يا عشر أصحاب السمرة، فاجتمع إليه منهم مائة وحمي الوطيس، ثم عادَ مِنْ فَرَّ.. والصورة غنية عن البيان، صحابة تعدادهم إثنا عشر ألفاً يفرّون تاركين النبي في الميدان، يبقى منهم تسعة فقط حوله، ثم يعود منهم مائة بعد الرجاء والنحوة، ويتردّد أحد عشر ألفاً وتسع مائة في نصرة النبي إلى أن تتبّين لهم موازين القتال ودون أن نقرأ أن أحداً من هؤلاء تخلّف عن قسمة الغنائم بعد المعركة.. . .

يورد ابن كثير الرواية ذاتها، ويُطلعنا على موقف أبي سفيان، الذي لم تمض على إسلامه أيام معدودات، حين انهزم المسلمون في بداية المعركة، إذ انتهى وبعض أصحابه من رجال مكّة الطلاقاء، مكاناً آمناً يطالعون مشهد الارتقاء والنكوص لجند المسلمين الفرعين، والمأزرق

الكبير الذي وقع فيه النبي، ليفصح بلسانه عن مكنون صدره، فيهتف
معبراً عن فرحة العظيم: لا تنتهي هزيمتهم دون البحر⁽¹⁾
صحابة هاربون . . . وصحابة شامتون . . في أحلك لحظات
الإسلام ونبيه . .

كما يحيلنا عبد الإله بلقزيز إلى مجريات غزوة تبوك، التي أسرّ
النبي لأصحابه بوجهه إليها، ولم يكن ذلك شأنه في ما قبلها، وكان
جيشه تعب، وكثير عليه أن يلقى الروم وجهاً لوجه، وهم في ذاكرته
أهل بأس وشدة، فوْجَدَ مَن يقول - من رجال جيشه - ثبيطاً للمعازف
وصرفاً للناس عن القتال: لا تنفروا في الحر . . متذرعاً بقوسية الطبيعة
التي أفتتها العرب، ثم جاء المعدرون من الأعراب فاعتذروا إليه، وبدأ
يتخلف عنه أفراد جيشه وهو ماضٍ إلى القتال. ولم يكن موكب النبي
قد وصل إلى تبوك - ليكتشف أنَّ جيش هرقل غادرها إلى حمص -
حتى كان جيشه (جيش النبي) قد تفكك قبل أن يحارب . . فقفز عائداً
إلى المدينة، ظافراً بصلاح على الجزية من بعض اليهود والنصارى
(يوحنا بن رؤبة، وأهل جرباء وأذرح وأكيدر دومة) يعرض به ليس عن
خسارة حرب لم يخضها ضد الروم، بل عن خسارة جيش ذهب إليها
محطم المعنويات، وكان من حسن حظه أنه لم يخضها. في كل حال
أنت سورة التوبة تؤنب المسلمين على تخاذلهم وضعف شكيمتهم،
وتتصفح عمن صفت عنهم ابتغاء دفعهم إلى مراجعة موقفهم⁽²⁾ . .

(1) ابن كثير - البداية والنهاية.

(2) عبد الإله بلقزيز - النبوة والسياسة.

(انظر الطبرى) . . .

يذكر ابن هشام في سيرته، أن تباطؤ المسلمين وتراجعهم عن الخروج مع النبي إلى أرض الروم، كان «شكراً في الحق، وإرجافاً برسول الله» . . .

أما السيرة الحلبية فتحكي لنا عن اجتماع رأي بعض من كان مع النبي من (المنافقين)، عند عودة الجيش من تبوك، على الغدر به وقتله، بدفع راحلته حين مروره بالعقبة (بين تبوك والمدينة)، وكانوا اثنى عشر، وقيل أربعة عشر، وقيل خمسة عشر، وقد حاولوا ذلك بالفعل، وردهم حذيفة بن اليمان، دون أن يتعرف على أشخاصهم، إلا أن النبي عرفهم ولم يخبر أحداً بأسمائهم . مع أنَّ زاد المعاد يذكر أنَّ النبي أسرَ إلى حذيفة أسماء أولئك المنافقين ولم يطلع أحداً غيره . . .
 فهل نقول بعد هذا إنَّ كلَّ من صحب، أو جالس، أو رأى محمداً هو (صحابي)، وإنَّ كلَّ (صاحب) هو ثقة، عدل، صالح، يؤخذ به دون مراجعة أو تحري؟ . . .

يذهب بعض الكتاب إلى أبعد من ذلك، فيقدم لنا قراءة جريئة للأيام الأخيرة من حياة النبي، فيعتبر تأخير بعث جيش أسامة بن زيد الذي كان أبو بكر وعمر جنوداً فيه، والمعاطلة في التحرك حتى وفاة النبي الذي أبدى تبرماً شديداً من التأخير، خطوة مبيتة اشتغل عليها الشيوخان الأكثر قريباً منه، ورغمماً عنه، وصولاً إلى يوم السقيفة وتولية الأول ثم الثاني⁽¹⁾، على أنَّ هذه القراءة ينكرها جملة وتفصيلاً مالك

(1) طيب تيزيني - من اللاموت إلى الفلسفة العربية الوسيطة.

مسلماني مستنداً إلى محوريّة دور الشّيخين في الحركة الإسلاميّة، وحيازتهما على سلطان لا يتيح لمحمد تناهيهما عن مركز الإسلام^(١).

أما حادثة الإفك الشهيرة، واتهام عائشة بالزنّا، فقد كانت مثالاً صارخاً على تجربة بعض الصحابة على النبي، والتعرّض لعرضه وشرفه، بما لا يصح أن يصدر عن أرذال القوم، ناهيك عن أصحاب النبي، ولا يكفي هنا الاختباء خلف تسمية هؤلاء بالمنافقين وفيهم من كانوا قريبين من النبي كشاعره حتّان بن ثابت... .

كلُّ هذا حصل في حياة النبي، أما ما حصل بعد موته فأنكى وأفظع.. .

نبأ بقراءة لواقعة سقيفة بني ساعدة، التي جرت حين كان جثمان النبي لا يزال مسجى في منزله قبل الدفن، بحضور ثلاثة من أقرب صحابة النبي إليه، أبي بكر وعمر وأبي عبيدة بن الجراح (في تغريب مقصود لآل بيت النبي عن واقعة مفصلية)، وثلة من الأنصار، وما ثار فيها من خلاف على السلطة (لا الدين)، تمحور حول (منا أمير ومنكم أمير)، و(الأمير منا والوزير منكم)، .. الخ، وتساءل:

1 - أما كان الطرفان ليتّظرا أياماً معدودات انشغالاً بحدث جلل بحجم موت محمد؟ أو على الأقل، أما كانوا ليتمهلو سويعات لحين موارة الجثمان الطاهر في ثراه؟؟؟. (مات النبي يوم الاثنين، ولم يدفن حتى مساء الأربعاء)، يقول الطبرى: «كان جسد الرسول مسجى

(١) مالك مسلماني - عمر بن الخطاب - السيرة المتأوارية.

في بيته وفوقه عباءة، بينما كان الجميع مشغولين بانتخاب خليفته، ولم يكن هناك من يفكّر بغسله ودفنه»⁽¹⁾ . . .

2 - ألا يمثل الخلاف الذي حصل، والتوتر الذي جرت به معالجة هذا الخلاف، أول خروج على النص القرآني، وسنة الراحل الذي لا يزال جثمانه على بعد خطوات؟ . . . إذ تمّ حسم الخلاف بفرض الأمر الواقع، لا بالترافق، كما يشير عبد الإله بلقزير⁽²⁾ ، تعارضًا مع مبدأ ومعنى الشورى الذي جاء به القرآن، وعمل به النبي . . .

صحيح أنَّ القرآن لم يقتنِ مبدأ الشورى، ولم يرد فيه - ولا في الممارسة النبوية - ما يحدد أسلوب وطريقة ممارسته . . . إلا أنَّ اقتصار الأمر على مَنْ وُجدوا - بالمصادفة، وتداعيات اللحظة - والخلاف بين هؤلاء، وحسم الأمر دون رضا أحد الطرفين (كان عدد من بايع أبي بكر في السقيفة خمسة فقط، ثمّ كرّت سبحة البيعة في اليوم التالي)، هو آخر ما يمثّل إلى مبدأ ومعنى الشورى، الذي تمّ تعطيله وإقصاؤه، وإن جرى تبرير ذلك بمقولات الحفاظ على وحدة الأمة ومصلحة المسلمين، ودون أن نعرف ما إذا لم تكن البديل الأخرى، لو تحققت، أكثر جدواً وصلاحًا للإسلام . . .

مرة ثانية، وبعد ستين، جرى تكريس هذا التعطيل من قبل أبي بكر بالذات، الذي عهد بالخلافة بعده لعمر بن الخطاب، في تجاهل خطير للنص القرآني، وإن كان هناك مَنْ يحاول إقناعنا أنَّ أبي بكر استشار

(1) الطبرى - محمد خاتم الأنبياء.

(2) عبد الإله بلقزير - تكوين المجال السياسي الإسلامي - النبوة والسياسة.

بعض الصحابة في الأمر، وكان النص كان أنَّ «أمرهم شوري بين بعضهم... لا ينهم».

ثم أتى عمر ليتهي العمل بالمبداً والمعنى، ويبعد عن مدلوليهما الصحيحين، فيحصر الشورى في ستة من قريش، هم المرشحون، وهم الناخبون، ويعطي لأحدهم الرأى المرجح، مؤسساً، دون قصد، لجنائية طبع تأثيرها الخطير الأمة الإسلامية حتى اليوم، استنبط منها (الفقهاء) أنَّ الشورى هي بين (أهل الحل والعقد) في تعبير غائم يقصي عامة المسلمين لمصلحة مَن يريدهم السلطان، ويسمِّيهم أهل حلٍّ وعقد ينطقون باسم السواد الأعظم من الناس، ولكن بمعزل عنهم، وهو ما فتح الطريق لاحقاً أمام معاوية، وأل أمية، ثم آل العباس، ومن لحقهم لابداع التوريث بدليلاً عن شرع الله..

صحيح أنَّ الشيفيين أبو بكر وعمر كانوا صالحين، وهما قدما ولا شك خدمات جلَّ ل الإسلام، وربما كانوا حينئذ أصلح من الآخرين للحكم، لكننا نتحدث هنا عن التزام بالنص الإلهي، فهل جرى هذا الالتزام؟، وهل كانت سنتهما هنا في مصلحة مستقبل الإسلام والمسلمين؟... .

قبل ذلك، هل كان ابتكار مفهوم الخلافة، الذي لم يشر إليه الرسول طوال حياته، في مصلحة الإسلام..؟ وهل تقبل الرسالة خلافة، وهي - أي الرسالة - متفردة ومحصورة بالموحى إليه، دون غيره من الأتباع، وغير قابلة للتغيير والإخلاف؟ وهل من معنى صحيح لمسمي خليفة رسول الله؟، أم أنَّ هذا الابتكار وضع أساساً لكل الكوارث التي ألّمت بال المسلمين على امتداد تاريخهم اللاحق...؟ .

وإذ خالف الشیخان سنتَ نبیهِما، ونصباً إلهیاً... فکیف کانت سلوکیات الآخرين بعد ذلك؟ . . .

تحدثنا کتب التاریخ مفصلاً عن واقعة (الصحابي) المغیرة بن شعبة، والی البصرة من قبل عمر بن الخطاب مع المدعوّة (أم جمیل) . . فرغم أن (الصحابي) المغیرة قد تزوج العشرات من النساء (ثمانون امرأة، وقيل مائتان، وقيل ألف)، إلا أنه جعل يختلف إلى امرأة من بني هلال يقال لها (أم جمیل)، بنت محجن بن الأفضم بن شعيبة بن الهرم) وكان لها زوج من ثقیف يقال له (الحجاج بن عتیک)، فبلغ ذلك (أبا بکرة بن مسروح) مولى النبي، و(شبل بن معبد بن عبید البجلي) و(نافع بن الحارث بن كلدة الثقفي) وزیاد بن أبیه) - الذي ألحّق معاویة فيما بعد أبیه سفیان بن حرب -، فوصلوا المغیرة، حتى إذا دخلوا عليه، فإذا هو وأم جمیل عرياناً، وهو متبطّنها، . . والشاهد أنّهم منعوا المغیرة من إقامة الصلاة (؟)، وشكوه إلى عمر الذي أحضر الجميع، ثم جمع بين المغیرة وشهود الواقعه، فقال (نافع بن الحارث): رأيته على بطنه المرأة تتحفّر عليها، ورأيته يدخل ما معه ويخرجه كالمليل في المحکمة، ثم شهد (شبل بن معبد) على شهادته، ثم (أبو بکرة)، ثم أقبل (زیاد) رابعاً، فلما نظر إليه عمر قال: أما أرى فيه وجهَ رجلٍ، أرجو ألا يُرجمَ رجلٌ من أصحاب رسول الله على يده، ولا يُخزى بشهادته، فقال زیاد: رأیت منظراً قبيحاً، وسمعت نفساً عالياً، وما أدری أخالطها أم لا . . فامر عمر بالثلاثة فجلدوا، فقال شبل: أتجلد شهود الحق، وتُبطل الحد؟ فلما جلد أبو بکرة قال:

أشهد أن المغيرة زان، فقال عمر: حدّوه، قال علي بن أبي طالب: إن جعلتها شهادة فارجم صاحبك.. فحلف أبو بكرة ألا يكلّم زياداً أبداً، وكان أخاه لأمه (سمية).. ثم ردهم إلى مصرهم⁽¹⁾.

كان أبو بكر وعمر أخبر الناس وأدراهم بمكتنونات معظم (الصحابة) حولهم، وكانت يخشيان عليهم من الانطلاق في البلاد المفتوحة والانزلاق في مباح الدنيا والتلذذ بالثراء ورغد العيش، فحرصا على بقائهم في المدينة ومنعهم من الخروج منها، وكان عمر يقول لمن يسأله الخروج للجهاد: «إنَّ في غزوكم مع رسول الله ما يكفيكم»، ويروي المؤرخون عن بعض (الصحابة) الذين استئذنهم عمر فولآهم على الأمصار أنهم أثروا بسرعة فائقة، فاستدعاهم وحاسبهم، منهم أبو هريرة الذي ولأه البحرين، فأثرى خلال أقل من سنتين، فاستدعاه وقال له: «يا عدو الله، سرقت مال الله، لقد وليتك البحرين وأشت بلا نعليين، فمن أين لك هذا؟» وحاسبه وأخذ منه عشرة آلاف درهم.

وما إن مات عمر وولى عثمان الخلافة حتى انطلق (الصحابة) في الأمصار، وأقبلوا على جمع المال والثروات، مستغلين صحبتهم للنبي، وتكونت بينهم طبقة من أصحاب الثروات الكبيرة.

ولم يقصر عثمان الأمر على أن سمح للصحاببة بالانطلاق في الأمصار والمتجارة في الولايات، وإنما كان القدوة والمثال للآخرين،

(1) خليل عبد الكريم - مجتمع بثرب / حسين لوباني - ملف الهبل العربي.

يخبرنا هشام جعبيط أنَّ عثمان «ذاته أباح لنفسه ما كان أبو بكر وعمر قد حظراه على نفسها، فأخذ من الخزينة العامة مالاً لنفسه، لعائلته، لأولئك الذين يريد مساعدتهم ومكافأتهم، بلا رقيب أو حسيب، فاقتصر من بيت المال مبالغ ضخمة لم يرجعها دائمًا، وربما تاجر بها وقرضها أو وهبها لآخرين، وفي وسط كبار الصحابة في المدينة، كما في وسط الأمويين الذين أحاطوا به من بين أقربائه، تكونت ثروات ضخمة لا يمكن تفسير مصدرها إلا بقروض أو تسهيلات بيت المال، إنَّ التباين مثير بالمقارنة مع عصر النبي البطولي والبسيط، أو عصر أبي بكر وعمر، فالبيت الذي ابنته عثمان (إيان الخلافة) كان من الحجر والخشب الثمين، وكُونَ لنفسه قطعاناً وأملاكاً في المدينة، ويدرك ابن سعد أنه عند وفاة عثمان وجد لدى خازنه مبلغ 35 مليون درهم، نُهِبَت من دون أن يُعرف إن كان المبلغ أموالاً خاصة - وهذا قليل الاحتمال - أم أموالاً عاممة.. صحيح أنَّ عثمان كان غنياًً من الجاهلية، لكنَّ ثروات الماضي كانت غير قابلة للقياس بثروات الحاضر، وتبدو ضئيلة بالمقارنة⁽¹⁾

ونقتبس عن إبراهيم فوزي⁽²⁾:

(يقول ابن سيرين: كثر المال في زمن عثمان، فبقيعت الجارية بوزنها، والفرسُ بمائة ألف درهم... . . . وروى المسعودي أنَّه في أيام عثمان اقتتنى الصحابة المال والضياع فكان لعثمان يوم مقتله مائة

(1) هشام جعبيط - الفتنة.

(2) إبراهيم فوزي - تدوين السنة.

وخمسون ألف دينار، وألف ألف درهم، وقيمة ضياعه بوادي القرى وحنين مائة ألف دينار، وخلف إيلاء وخيلاً كثيرة... . ويقول عبد الله بن الزبير بن العوام إنَّه غداة مقتل أبيه الزبير في يوم الجمل، وبعد أن ستد ديونه، ونقد وصيته قسم تركته، وكان له أربع نسوة، فأصاب كل امرأة ألف ألف ومائتا ألف درهم، وكان جميع ماله خمسين ألف ألف (خمسين مليوناً) ومائتي ألف دينار... .

وعن كعب قال: كان للزبير ألف مملوك يؤدون إليه الخراج^(١)... .
ويقول المسعودي عن زيد بن ثابت أنه: (ترك من الذهب والفضة ما كان يكسر بالفتوس، وكان له من الأموال والضياع بقيمة مائة ألف دينار)... .

ويذكر الزمخشري في الكشاف عن عبد الرحمن بن عوف، أنَّ امرأته تماضر صولحت بعد وفاته على ربع الشُّمُن بثمانين ألفاً، أي إنَّ الشُّمُن كان ثلاثة وعشرين ألفاً، وأصل المال مائتا ألف ألف (مائتا مليون) وخمسة وستون ألفاً^(٢)... .

رحم الله محمداً... فكم كان له من المال حين لقي وجه ربِّه؟
وأين هؤلاء من محمد؟... .

وليسنا هنا في مجال إنكار أن يكون (للصحابة) أموال وثروات... .
لكننا في مقام معرفة المصدر أولاً، ومدى توافقه مع كتاب الله وسنة

(١) أسد الغابة ص 252.

(٢) الصحيح ألف ألف أي مليونان وخمسة وستون ألفاً.

نية ، وفي مقام دراسة النتائج والتداعيات التي ترتب على اكتناز هذه الثروات... .

مرة ثانية ، تؤكد لنا كتب السير والتاريخ ، أنّ عثمان بن عفان ، الذي دأب على تولية أقربائه واحتياصهم بمال المسلمين دون وجه حق ، قد أعطى مروان بن الحكم (الذي لسخرية الأقدار سيصبح الخليفة الأموي الثالث) خمسَ الغنيمة التي غنمها المسلمون في إفريقية ، أو خمسَ الخمس ، ووَهَبَ له ما بقي عليه من ثمنها ، وأنه أعطى عمّه الحكم بن العاص (الذي كان النبي قد نفاه من المدينة ، لأنّه آذاه في مكة ، وأذاه في المدينة بعد ادعائه الإسلام عقب فتح مكة) وقال فيه «لا يساكنتي فيها أبداً» ، فأعاده عثمان بعد توليه ضارباً عرض الحائط بقرار النبي ، ومساعر المسلمين) ، أعطاه ثلاثة ألف ، وأعطى ابنه الحارث مثلها ، وأعطى عبد الله بن خالد بن أبي الأموي ثلاثة ألف ، وأعطى كلّ واحد من الذين وفدوا مع عبد الله مائة ألف ، حتى أبي عبد الله بن الأرقم صاحب بيت المال أن ينفرد هذا الأمر واستقال من عمله ، وأعطى سعيد بن العاص مائة ألف ، وزوج ثلاثة من بناته لنفر من قريش فأعطى كلّ واحد منهم مائة ألف دينار ، ناهيك عن الأراضي والضياع التي أقطعها لآل أمية وغيرهم هل أباح الله في كتابه توزيع أموال المسلمين على المقربين ، وحرمان العامة منها؟ أم هل جاءت سنة النبي ، وخليفيه أبي بكر وعمر بهذا الأمر . . . أم أن هذا خروجٌ صارخٌ على كتاب الله وسنة نبيه !؟ . . .

أما النتائج التي ترتب على هذا الخروج عن كتاب الله وسنة نبيه، فيلخصها لنا طه حسين مثيراً إلى: (إنشاء هذه الطبقة الغنية المسرفة في الغنى التي تستجيب لطمع لا حد له، فتوسيع في ملك الأرض واستغلال الطبقة العاملة، ثم ترى لنفسها من الامتياز ما ليس لها، ثم تتنافس في التسلط، ثم ترقى إلى التنافس في الإمارة، وفي الخلافة نفسها، ثم ينتهي بها الأمر إلى ما انتهت بها إليه من هذه الفتنة والخطوب التي أفسدت الأمر على المسلمين منذ قتل عثمان إلى أن أديل من بنى أمية إلى بنى العباس، وظيعي أن بيت مال المسلمين لم يكن يستطيع أن يسع الناس جميعاً بهذا السخاء، وظيعي أن الذين لم يأخذوا حقدوا على الذين أخذوا، ثم حقدوا على الذين أعطوه، فساعات الصلة بينهم وبين الإمام والولاية) (١)

ولابد أن نلحظ أن أفعال عثمان باتت سنة تبعه عليها كل الخلفاء والولاة في التصرف بالمال والعباد، منذ سيطر آل أمية على الدولة

عزل عثمان سابقه في الإسلام سعد بن أبي وقاص عن ولاية الكوفة، التي لا يأها عمر، فمن ولّ بدلاً عنه؟ لم يول أحداً من (الصحابة) الكبار من المهاجرين أو الأنصار، وهم كثُر، بل ولّ (الفاسق) ابن عمّه وأخاه لأمه الوليد بن عقبة بن أبي معيط، الذي سبق أن غشَ النبي وكذب عليه، وكفر بعد إسلامه، وأنزل الله فيه قرآنًا: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ جَاهَدُ فَاسِقٍ يُبَلِّو فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُؤْصِبُوا قَوْمًا يَجْهَلُونَ»

(١) طه حسين - الفتنة الكبرى.

فَتَصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَذِيرِينَ⁽¹⁾) والوليد عاد إلى إسلامه حين لم يكن بد من العودة بعد فتح مكة، وقيل أن عمر جزبه فولاً على صدقات بني تغلب، ثم سارع إلى عزله بعد أن تبيّن سوءه

وتجمع الروايات، لدى تاريخ اليعقوبي ومروج الذهب للمسعودي والأسد لابن الأثير الجزري والاستيعاب لابن عبد البر، أنَّ هذا الفاسق صلى بالناس صلاة الصبح أربع ركعات، وتهوَّع في المحراب، ثم التفت إلى من خلفه وقال: أزيدكم؟ . . .

وقد اضطر عثمان لاحقاً لعزل الوليد وإقامة الحد عليه . . .

كما عزل عثمان أباً موسى الأشعري، الصحابي المعروف، عن ولاية البصرة، وأعطاهما لغلامٍ غَرْ هو ابن خاله، عبد الله بن عامر بن كريز، الذي استخدمه لتمرير الأعطيات لبعض من يريدهم، بعيداً عن عيون المسلمين في المدينة . .

كان أبو ذر الغفاري رابع من أسلم - ربع الإسلام - وكان يحرص على قول الحق مهما كلفه من ثمن، ولذا أثنتى عليه الرسول فقال: (ما أظللتُ الخضراء، ولا أقللتُ الغبراء أصدق لهجة من أبي ذر)، أبو ذر هذا لما رأى ممارسات عثمان التي خالف بها سنة نبيه وخليفتيه في المال العام، صدَّع بنقده، فنفاه عثمان إلى الشام، فألفى معاوية يسير على النهج عينه، فعاود انتقاده، فأرجعه معاوية إلى المدينة، فعاود انتقاد عثمان، فأمر بجلده فجُلد، ونفاه إلى الربابة شريداً طريداً، ليس

(1) سورة الحجرات، الآية: 6.

في حوزته وزوجته سوى ثوب واحد، وعندما حضرته الوفاة لم يكن هناك ثوب لكتفه، فكفتنه رفقه يمانية تصادف مرورها بالبريدة ووصلت عليه⁽²⁾ ..

حضر الخليفة عثمان بن عفان مدةً أربعين يوماً، ثم تسرّر عليه جماعة وقتلوه، منهم أربعة من (الصحابة) شاركوا بقتله بأيديهم، أو أشاروا به (محمد بن أبي حذيفة، عمر بن الحمق الخزاعي، عبد الرحمن بن عدیس، ومحمد بن أبي بكر) .. وقد منع هؤلاء (الصحابي) دفن عثمان بالبيع .. وقد حُمل على مصراع باب داره، وكانت رجلاه تتسلليان خارجه، ولم يسر خلف جنازته إلاّ مروان بن الحكم وثلاثة من مواليه وابنته فقط، ولم يُصلّى عليه، ودُفِن دون أن يحظى بصلة الجنازة التي ينالها أقل المسلمين شأنًا، ودفنه في (حش كوكب) وهو مكان قيل أنّهم يستعملونه لقضاء حوائجهم، وقيل مقبرة لليهود ..

يقول خليل عبد الكريم: إنَّ في الفتنة التي انتهت بمصرع عثمان وما أعقبها بقليل صوراً صواريخ من الجنوح والانفلات من كل المبادئ والأعراف والتقاليد، وقعت من عدد وفير من الصحاب⁽²⁾ ..

كيف يمكن تفسير موقعة الجمل التي تقاتل فيها مَنْ عَدُوا مبشرين بالجنة، صاحب البيعة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب في مواجهة عائلة أم المؤمنين، وطلحة، والزبير، والتي قتل فيها الآخرين؟ مَنْ كان على حق، وَمَنْ كان على الباطل؟ مَنْ كان يريد وجه الله، وَمَنْ

(1) الاستيعاب في معرفة الصحابة ص 255.

(2) خليل عبد الكريم - الصحابة والصحابة.

كان يريد نفسه؟ وهل يدخل الجنة من كان على الباطل؟ وأين كلام الله لهم أن المؤمنين الحقيقيين يجب أن يكونوا «رحماء بين بعضهم، أشداء على الكفار»، أم نقنع بتبرير غبي لبعض الفقهاء أنَّ الأمر كان اختلافاً في الاجتهداد بين هؤلاء الصحابة الصالحين متعمدین تناسي أو إغفال أن خروج عائشة في مقدمة الجيش، وتسببها في مقتل أكثر من عشرة آلاف مسلم، وقيل ثلاثة عشر ألفاً، حول (جملها)، كان خروجاً على أمر الله لنساء النبي بأن يقرن في بيتهنَ

يعطينا هنا زكريا أوزون إضاءة ذات دلالة كبيرة، يقول: إنَّ السيدة عائشة قالت نادمةً «وددت أنني إذا متْ كنتُ نسياً منسياً»، وقيل أنها عندما احتضرت جزعت، فقيل لها: أتجزعين يا أم المؤمنين وابنة أبي بكر، فقالت: «إنَّ يوم الجمل لمفترض في حلقي، ليتني متْ قبله» . . . لذلك طلبت أن لا تدفن مع النبي قائلة: «إنِّي قد أحدثت بعد رسول الله، فادفوني مع أزواج النبي»⁽¹⁾ . . .

وكيف يمكن نعت موقف عمرو بن العاص في واقعة التحكيم بعد معركة صفين؟ أليس بالغدر والكذب والخيانة والخداع، والوقوف ضد مصلحة الإسلام في سبيل السلطة والمنفعة (ولاية مصر التي كاتب معاوية عليها إن هو جلبَ الأمر إليه)، بما لا يصح أن يصدر عن صحابي صادق وأمين، وقد قال أبو موسى الأشعري، الذي خدعاه عمرو: لقد حذرني ابن عباس من غدر ابن العاص وفجوره، ولكني اطمأنت له . . . / وليته ما اطمأن/ . . .

(1) طبقات ابن سعد.

ويطالعنا ابن الأثير بسرد للطريقة البشعة التي قُتل فيها (الصحابي)، وابن أول الصحابة وأقربهم إلى رسول الله، وأخ أحب زوجات النبي إليه، (محمد بن أبي بكر الصديق)، من قبل (الصحابيين) الشهيرين، القائدين عمرو بن العاص ومعاوية بن حديج، فيقول: (فاقتلوها، فانهزم محمد، ودخل خربة، فأخرج منها، وقتل، ووضع في جوف جلد حمار ميت، ثم أحرق...)، فain مكانة أبيه أبي بكر الصديق أول أصحاب النبي، وأخته عائشة زوجة النبي المحببة إليه، بل ain شفاعة قرابتة للنبي فيه لدى (صاحب رسول الله)؟؟؟

أوفد الخليفة معاوية بن أبي سفيان (رسير بن أرطاة) وهو (صاحب) من رواة الحديث، على رأس جيش لمقاتلة (صاحب آخر) هو عبيد الله بن عباس - ابن عم النبي - والي علي بن أبي طالب على اليمن، فهرب عبيد الله ودخل بسر اليمن، فأتى بولدي عبيد الله فذبحهما وهما صغيران، فأصابت أحدهما وسوسنة، وهامت على وجهها... وبعد أن قتل (صاحب بسر) الآلوف من شتى قبائل المسلمين، سبى نساءهم، وكن أول مسلمات سبین في الإسلام، وقد أقامهن في سوق (يوم العودة) حيث يكشف عن سوقهن (أفحاذهن) قبل إتمام صفقة الشراء⁽¹⁾.

وقد كان (الصحابي) الكبير، المصتف جهلاً كأحد كتاب الوحي (؟)، وراوي الأحاديث، وال الخليفة، معاوية بن أبي سفيان يقرئ بالجريدة، فيجردها من ثيابها بحضور جلساته، ويضع (القضيب) على

(1) خليل عبد الكريم - الصحابة والصحابة.

ركبها أبي (فرجها)، ويقول: إِنَّه لِمَتَاعٌ لَوْرَدٌ مَتَاعٌ... ثم يقول لأحدهم: خذها لبعض ولدك، فإنها لا تحل لزيز (ابنه) بعد أن فعلت بها ما فعلت⁽¹⁾.

كما تحدثنا المصادر الإسلامية عن (مسلم بن عقبة المرّي)، وكان من قواد يزيد بن أبي سفيان، وقد أرسله على رأس جيش لتأديب أهل المدينة (مدينة رسول الله) الذين أعلنوا العصيان... وبعد أن اقتحموا، أباحها لجنوده ثلاثة أيام، قتلاً وذهبوا واغتصبوا للنساء.... ويروى أن عدد المغتصبات قد ناهز السبعة آلاف، أحصىن على أساس الولادات غير الشرعية التي حصلت في المدينة بعد تلك الحادثة⁽²⁾.

ونقرأ في تاريخ اليعقوبي، أنَّ الحسن بن علي بن أبي طالب، بعد قتل أبيه، عزم على حرب معاوية بن أبي سفيان، وكان من بين قواد جيشه ابن عمّه وابن عم النبي، (الصحابي) عبيد الله بن العباس على إثنين عشر ألف فارس، فأرسل إليه معاوية ألف ألف درهم، فصار إليه في ثمان آلاف من أصحابه، منقلبين على علي... أي إنَّ ابن عباس تناهى ذبح معاوية لابنيه، على يدي بسر بن أرطأة، وتناهى صلة القرابة والدم مع ابن عمّه علي، وتناهى نصوص القرآن حول الحق والباطل، فباع دينه وضميره وشرفه مقابل مليون درهم....

الأمثلة الأخرى كثيرة، تمتلئ بها كتب السير والتاريخ، ومن العبث إبراد أكثر مما أوردنا..

(1) حسين لوبياني - ملف الهيل العربي.

(2) هادي العلوى - فصول من الإسلام السياسي.

مرة أخرى، يقول إبراهيم فوزي: (وقد نسب المؤرخون إلى عدد من الصحابة أفعالاً قبيحة لا تقرّها الأخلاق ولا الشريعة ولا الدين، وقد سكت عنها رجال الفقه الإسلامي، أو أوكوها تأويلاً محرقة كعادتهم في تحريف الحوادث التاريخية كي تتفق مع منهجهم) ⁽¹⁾ .. وأخيراً، فما هي شهادات الصحابة بعضهم بعض؟

روى البخاري عن العلاء بن المسيب عن أبيه قال: لقيت البراء بن عازب فقلت له: طوبى لك، صحبت النبي وبايعته تحت الشجرة، قال: يا بن أخي، إنك لا تدرى ما أحذثنا بعده ..

قال حذيفة: لقد تركنا رسول الله يوم توفيقه، وما أحد إلا وقد غير عمّا كان عليه، إلا عمر وعبد الله بن عمر .. في شهادة ذات دلالة من (صحابي) على نفسه وأصحابه .. وهي شهادة تؤكدها لنا عائشة أم المؤمنين: «ما رأينا أ Zimmerman لأمر الأول من عبد الله بن عمر». فماذا عن الباقين؟ ..

ويوفر لنا الباحث حمادي ذويب، في أطروحته الجادة لنيل شهادة الدكتوراه، التي حولها إلى كتاب ⁽²⁾ حصراً ممتازاً لهذه الشهادات، في مبحثه حول مبدأ عدالة الصحابة الذي صيغ أساساً لقبول أو رفض الأحاديث المنسوبة إلى النبي ناقلاً عن الرazi في «المحصول في علم الأصول»، الذي نقل عن النظام ما نقله الجاحظ في كتاب الفتيا، نورد بعضًا من هذه الشهادات:

(1) إبراهيم فوزي - تدوين السنة.

(2) حمادي ذويب - السنة بين الأصول والتاريخ.

- شهادة عمران بن الحصين (أسلم عام خيبر، 7 هـ، مع أبي هريرة، ومات عام 52هـ): والله لو أردت لحدثت عن رسول الله يومين متتابعين، فلاني سمعت كما سمعوا، وشاهدت كما شاهدوا، ولكنهم يحدّثون أحاديث ما هي كما يقولون، وأخاف أن يشبة لي كما شُبّه بهم.

- شهادة بحق حذيفة بن اليمان (توفي 36 هـ) أنه كان يحلف لعثمان بن عفان على أشياء بالله، أنه ما قالها، وقد سمعناه قالها، فقلنا له فيها، فقال: إنّي أشتري ديني ببعض مخافة أن يذهب كلّه... مع أن حذيفة هذا كان من أقرب الناس إلى النبي، وكان يقال له: «صاحب سر رسول الله» كما رأينا قبلًا....

- شهادة بحق ابن عمر، نقل عن النبي أنه قال في الصب: «لا أكله ولا أحلله ولا أحرمه»، فنقل زيد الأصم ذلك إلى ابن عباس فقال: بئس ما قلتم، ما بعث الله النبي محللاً ولا محرباً.

- كان عليًّا يستحلّف الرواة، فلو كانوا غير متهمين لما استحلّفهم، فإنّ عليًّا أعلم بهم منا.

- أنّ عليًّا قال لأبي مسعود: إنك تفتني الناس، قال أجل وأخبرهم أن الأخيير شر، قال فأخربني ما سمعت منه، قال سمعته يقول: «لا يأتي على الناس مائة سنة وعلى الأرض عين تطرف»، فقال علي: أخطأت وأخطأت في أول فتواك، إنما قال ذلك لمن حضره يومئذ، وهل الرجاء إلا بعد مائة....

- شهادة عن أبي هريرة، أنه نسب للرسول قوله: «الشمس والقمر

مكتوران في النار يوم القيمة»؛ قال الحسن: ما ذنبهما؟ قال أبو هريرة: إنما أحدثك عن رسول الله... هل نصدق أبا هريرة، أم سبط الرسول؟...

- لمّا روى أبو هريرة، على لسان الرسول أنّه قال: «إنّ المرأة والكلب والحمار يقطعن الصلاة»، مشت عائشة في خفّ واحدة، وقالت: «لأنّ أخشنّ أبا هريرة، فإني رأيت الرسول وسط السرير، وأنا على السرير بينه وبين القبلة»... فمَن الكاذب هنا، أم المؤمنين أم أبو هريرة؟...

- قام أبو موسى على منبر الكوفة لمّا بُلَغَهُ أَنَّ عَلِيًّا أَقْبَلَ يَرِيدُ البصْرَةَ، فَقَالَ: يَا أَهْلَ الْكَوْفَةِ وَاللَّهِ مَا أَعْلَمُ وَالْيَا أَحْرَصَ عَلَى صَلَاحِ الرَّعْيَةِ مِنِّي، وَاللَّهُ لَقَدْ مَنَعْتُكُمْ حَقًا كَانَ لَكُمْ بِيمِينِ كَادِبٍ فَاسْتَغْفِرُ اللَّهَ مِنْهَا... وَهَذَا إِقْرَارٌ مِنْ أَبْيِ مُوسَى بِحَلْفِهِ الْيَمِينِ الْكَادِبَةِ...».

لن نطيل، لكنَّ ابن قتيبة استخدم منطق التبرير الذي اعتمدَه الذهبي، في دفاعه عن كذب بعض الصحابة، فقال: (تدليس الصحابة
كثير ولا عيب فيه)

والذهبِي يلخص لنا المسألة، يقول: إننا لو فتحنا باب الجرح والتعديل على أنفسنا، لدخل فيه عدّة من الصحابة والتبعين والأئمة، فبعضهم كفر بعضاً بتأويل ما، والله يرضى عن الكل، ويغفر لهم بما هم بمحظوظين.

ونستدرك.. هذه نماذج عن (بعض) الصحابة، توحى بما يجب عن تساؤلاتنا، دون أن يعني ذلك أنَّ (كلَّ) الصحابة كانوا بهذه

النماذج... لكن بعض الشك يكفي لتبين الحاجة إلى اليقين...
وليس من حق أحد أن يخلط الصالح بالطالع...

يقول طه حسين: «ليس من الغريب في شيء أن يتعرض كثير من الصالحين ومن أصحاب النبي أنفسهم لأسباب الفتنة ودواعي الغرور، وأن يطرأ عليهم من الأحداث والخطوب ما يباعد بينهم وبين عهدهم الأول حين كان الإسلام غضباً، وحين كانوا يتصلون بالنبي مصطفى وممسين، وحين كانوا إذا ذكر الله وجلت قلوبهم، وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً وعلى ريثم يتوكلون»...

نعود إلى التعاريف التي افتتحنا بها المقال: (الصحابي هو من لقي النبي مؤمناً به، ومات على الإسلام)، وتفصيل ابن حجر العسقلاني أنّ (الصحابي هو من لقي النبي، طالت مجالسته أو قصرت، روى عنه أو لم يرو، غزا معه أو لم يغز، رأه رؤية ولم يجالسه، وكذلك من لم يره لعارضٍ كالعمى).... والتعاريف الأخرى... ونقول: ببساطة التعاريف كم أساءت إلى الإسلام...

أكثر من ذلك، كانت التعاريف بهذه الصورة باعتبار كل (الصحابة) عدولًا ثقائلاً صادقين في نقلهم عن النبي جزءاً من المؤامرة الكبرى على الإسلام، ورثناً من أركان هذه المؤامرة، التي كانت أركانها الأخرى هي تكريس مفهوم الناسخ والمنسوخ، ونشوء المدارس الفقهية المتعارضة، وقبل كل ذلك: السياسة وأطماع الحكم...

والغريب أنه في حين أن كتب السابقين تزخر بسير مختلطة للعديد من هؤلاء (الصحابية)، وتعطي صورة واقعية موثقة لما كانوا عليه، وأن

إماماً معتبراً كابن تيمية قد سجل عليهم الكثير من المآخذ⁽¹⁾ بمن فيهم أبو بكر وعلي، نجد الكثير من كتابات المحدثين تتفرّغ لتبنيّص صورهم، وتبرير أفعالهم، وإظهارهم بمظاهر فوق بشري متميّز، في محاولة لإقناع الأجيال المسلمة بعبيشة قدرة هذه الأجيال على بناء مجتمع كمجتمع أسلافهم أيام النبي، فأولئك حسب المحدثين - كانوا استثناءات لا تتكرر . . .

والخطير أن معظم أحكام التشريع - غير العقدي - أخذت عن روایات هؤلاء، بما يخالف كتاب الله وسنة نبيه الصحيحة، في اتساق مع مؤامرة كبيرة أُجيد حبّكها وتسويقها . . .

في مواجهة كتاب الله المحكم المحفوظ: (إنما له لحافظون)، ورسالة محمدية جاءت كالزلزال، كاسحة كلّ ما عارضها، أبدى المتآمرون عبقرية فذّة في وأد الإسلام، وتشويه صفاء الرسالة ونقائتها، وقتل النبوة . . . وإننا بتقديس هؤلاء القتلة

في مواجهة هؤلاء، لابد للمسلمين من تنظيف تراثهم، وإعادة صياغة وعيهم، إن هم أرادوا استرداد نقاء دينهم، والطريق ليس صعباً . . . الرجوع إلى كتاب الله اليقين كلّه، وإعمال العقل فيه . . . ودرء الشبهات باستبعاد كلّ ما عداه مما فيه ولو بعض الشك .

(1) ابن تيمية - منهاج السنة النبوية.

الإضافة الرابعة

جنائية الرواية

أبو هريرة نموذجاً

- «وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْءَانَ
وَالْفَوْزُ فِيهِ لَعْلَكُمْ تَنْبُئُونَ»

[فصلت: 26]

أعلن النبي في خطبة وداعية أمام جموع المسلمين، ما أوحى إليه الله تعالى : «**أَلَيْمَ أَكْلَتُ لَكُمْ وَيَنْكُمْ**»⁽¹⁾.

وكان واضحاً أن اكتمال الدين يعني اكتمال الوحي الإلهي ، بكل ما أراد الإله إيصاله لعباده من شرائع وأحكام وعبر ، وإغلاق الباب أمام أيّة إضافات أخرى قولية أو فعلية ، مهما كان مصدرها ، خارج حدود وحروف النص المكتمل . . .

وقد كان الرسول حريصاً في كل مراحل الدعوة ، وكلما نزلت آية من ربه ، على نشر وإذاعة هذه الآية ، بكل السبل ، لتصل إلى جموع المسلمين ، ويتم تداولها بينهم والعمل بأحكامها ، ولذلك كان إعلانه اكتمال الدين تصريحاً بانتهاء الوحي الإلهي ، وأمراً لأتباعه بالالتزام بما وصلهم عن طريقه من هذا الوحي . . .

وفي حرصه على نشر وإذاعة وتعظيم الآيات ، انطلق الرسول من مسؤوليته كمبشر ونذير ، و وسيط بين الوحي والعباد ، وهي مسؤولية أذها باقتدار كبير يليق بمقام النبوة والرسالة ، فلم يخف وحياً ، ولم يقصر إبلاغ بعض الآيات على فرد ، أو أفراد ، أو جماعة دون أخرى . . . فهو رسول الله إلى كل العالمين ، ودوره يتمحور حول الإبلاغ والإعلان ، وهذا الدور هو ما يجعل من «النبي» رسولاً .

(1) سورة الحاديدة ، الآية : 3.

وَيَقُولُونَ إِنَّمَا أَنْزَلَ إِلَيْكُمْ مِّن رَّبِّكُمْ وَإِنَّمَا تَفْعَلُونَ فَمَا يَلْعَفُ
رِسَالَتَنَا (١)

وكون النص القرآني بلاغاً معناه أن المخاطبين به هم الملا جمیعاً،
لا بعضهم، أو فرداً أو أكثر منهم

هذا الإعلان على الملا (مقابلاً للنشر في الجريدة الرسمية في حينه) هو الذي ساعد على حفظ آيات القرآن وسوره في قلوب الكثيرين من أتباعه، الذين تسارعوا إلى إفراغ ما في صدورهم منه، فور الاتفاق على جمع النصوص .

وبتدوين النص كاملاً، وتعيممه، تحققت إرادة الله ورغبة رسوله، وتبدلت عبقرية محمد جلية في حرصه على توثيق الوحي الإلهي، وتشدده في عدم خلطه بما كان يقوله لمعاصريه، كنبي، خلال حياته اليومية، خارج إطار تبليغ هذا الوحي .

هذا التشدد، بدأ بأوامر صارمة لأتباعه أن لا يكتبوا شيئاً مما يقوله خارج الوحي القرآني، وبتهديد بالعقاب الإلهي لمن كذب على لسانه، وبعدم الإعلان والنشر لأقواله وممارساته، التي انحصرت في محيط ضيق من الأتباع، واقتصرت أحياناً على شخص واحد أو بضعة أفراد، تبعاً للظرف

من هنا كان الموجه الوحيد لل المسلمين في عصر الرسول، هو كلام الله في القرآن، المعلن عليهم جهاراً، والمتداول بينهم دواماً، والمردّ

لديهم خلال صلواتهم الخمس يومياً، وصلواتهم الأخرى من النوافل وقيام الليل، أما أقوال النبي وممارساته اليومية، فلم تكن جزءاً من معرفتهم العقائدية، ولا ممارستهم التعبدية، ببساطة لأنها لم تكن معممة عليهم، لعدم إعلانها ونشرها، وما عرفه صاحب أو أكثر للنبي، من قول له أو فعل، جهله الآلاف الذين لم يسمعوا هذا القول أو يشهدوا هذا الفعل . . .

لقد حسم محمد الأمر لأتباعه، معلنًا أن القرآن هو المصدر الوحيد لشرعهم، وهو لم يكتف بعدم إقرار أحاديثه كمصدر آخر للتشريع، وإنما شدد على خطورة الخلط، ونهى عنه بأشد التعابير والوعيد . . .

هل يستطيع أحد القول إن هؤلاء الذين عايشوا محمداً، كانوا ناقصي دين، أو هم يتبعون شريعة غير مكتملة، لجهلهم بأحاديث متفرقة لنبيهم، لم يسمع بها غالبيتهم إلاّ بعد عشرات السنين من وفاته؟ . . .

ألا يمكن القول، بكل ثقة، إن مجتمع هؤلاء، خلال حياة النبي، كان المجتمع الإسلامي الأقرب إلى المثالية والصحة، والمكافول تماماً برقابة رسول الله، ثم بدرجة أقل قليلاً برقابة خليفتيه أبي بكر وعمر، وصولاً إلى بدايات عهد عثمان التي شُكِّلت بداية النهاية لعصر النقاء الإسلامي؟ . . .

من عصى أمر رسول الله؟ ومن كذب على لسانه؟، ومن شوّه عصر النقاء بإعلان ما لم يعلنه محمد؟ . . .

بدأ هؤلاء قلة، ثم تكاثروا في سياق الظروف، كلّما تقدم الزمان . . .

أحد هؤلاء هو أبو هريرة

من هو أبو هريرة؟

قيل اسمه عبد الرحمن بن صخر، وقيل بن غنم، وقيل عبد الله بن عائذ، وقيل بن عامر، وقيل بن عمرو، وقيل سكين بن رزمة بن هاني، وقيل بن ثرمل، وقيل بن صخر، وقيل عامر بن عبد شمس، وقيل بن عمير، وقيل يزيد بن عشرقة، وقيل عبد نهم، وقيل عبد شمس، وقيل بن غنم، وقيل عمرو بن غنم، وقيل بن عامر، وقيل سعيد بن الحارث، وقيل غير ذلك . . .

قال هشام بن الكلبي: اسمه عمير بن عامر بن ذي الشري بن طريف بن عيان بن أبي صعب بن هنيد بن سعد بن ثعلبة بن سليم بن فهم بن غنم بن دوس . . وهكذا قال خليفة في نسبة، إلا أنه قال عتاب بدل عيان، ومنية بدل هنيد . . وقال ابنه المحرر بن أبي هريرة: اسم أبي عبد عمرو . . .

يقال كان اسمه في الجاهلية عبد شمس وكنيته أبو الأسود، فسماء، الرسول عبد الله وكتابه أبا هريرة، قيل لأجل هرة كان يحمل أولادها، وقيل إن اسم أمّه ميمونة بنت صخر، وقيل أميمة بنت صبيح أو صفيح بن الحارث، وقال الطبرى: ميمونة بنت صبيح . . وهو من أرض دوس من اليمن.

ويبقى السؤال معلقاً: من هو أبو هريرة؟

روى عن النبي، وعن أبي بكر، وعمر، والفضل بن عباس، وأبي بن كعب، وأسامة بن زيد، وعائشة، ونصرة بن أبي نصرة الغفارى، وكعب الأحبار(?) . . .

وروى عنه نحو من ثمانمائة رجل وأكثر، حسب البخاري . . . وزادت أحاديثه في كتب الصحاح والسنن على الخمسة آلاف حديث . . .

البدایات

قدم أبو هريرة مع قومه (قيل أربعين نفر، وقيل سبعين نفر) من اليمن إلى المدينة في السنة السابعة للهجرة، ووافي النبي وهو في خيبر يوم فتحها، يقول أبو هريرة: أتيت رسول الله وهو بخيبر بعد فتحها، فقلت يا رسول الله أشهد لك، فكلم المسلمين فأشركوني من سهامهم . . (مع أن الموسوعة الحرة تناقض رواية أبي هريرة، فتورد في سيرته أنه قدم المدينة والنبي في خيبر، وصلى خلف سباع الذي استخلفه النبي على المدينة، حتى قدم النبي متصرّاً على اليهود في خيبر). . .

وفي المدينة، لم يعمل أبو هريرة في تجارة أو زراعة، وإنما أقام في الصفة، وهي موقع في المدينة من الجهة الشمالية، تقع في مؤخرة مسجد الرسول، وأهلها فقراء لا منازل لهم ولا عشائر، وكانوا ينامون في المسجد. يقول أبو الفداء في تاريخه: كان رسول الله إذا تعرّض ليدعور طائفة منهم يتبعشون معه، أو يفترق طائفة منهم على الصحابة ليعشوهم⁽¹⁾.

ولم يؤاخ النبي بينهم وبين الأنصار، كباقي المهاجرين . . .

(1) إبراهيم فوزي - تدوين السنة.

وقد ظل أبو هريرة في الصفة لا يبرحها إلى أن أرسله النبي إلى البحرين مع العلاء ابن الحضرمي، الذي عينه النبي أميراً على البحرين بعد فتحها في مطلع السنة التاسعة للهجرة، وعمل أبو هريرة مؤذناً في البحرين، ويقي فيها حتى وفاة النبي، أي إنَّ أبا هريرة بقي في المدينة خلال حياة النبي ما يقرب من السنة والنصف، أو ستة عشر شهراً حسب بعض المراجع.

ونستغرب أنَّ كاتباً إسلامياً معروفاً، مثل خالد محمد خالد، يتجاهل التاريخ والحقائق، أو يتقصد تزوير التاريخ، فيقول في كتابه «رجال حول الرسول»: «إنَّ أبا هريرة لازم الرسول أربع سنوات، لم يفارقه فيها»، وكأنَّه تقصد إغفال تاريخ وقعة خيبر في السنة السابعة للهجرة، وذهاب أبي هريرة إلى البحرين، وانشغال النبي بأهم أحداث التاريخ الإسلامي، ثم وفاته في مطلع السنة الحادية عشرة. ويزيد في القول: كانت تلك السنوات الأربع عمرًا وحدها.. كانت طويلة عريضة، مماثلة بكل صالح من القول، والعمل، والإصغاء.. !!؟؟.

تفيدنا (سيرة ابن هشام) في دراسة الأحداث التي شغلت النبي خلال هاتين السنتين، للخروج بصورة واقعية حول علاقة أبي هريرة بالنبي، وتقدير الفترة التي أمكن لأبي هريرة ملازمة النبي خلالها، بما يلقي بعض الضوء على إمكانية سماع أبي هريرة لأكثر من خمسة آلاف حديث عن النبي، ويمكّنا من تحري مصداقية الرجل فيما ادعى.. .

يقول ابن هشام: فلما رجع الرسول إلى المدينة من خيبر، أقام بها شهري ربيع وجماديين ورجب وشعبان ورمضان وشوال، يبعث فيما بين

ذلك من غزوه وسراياه، ثم خرج في ذي القعدة إلى مكة معتمراً عمرة القضاء

خلال الشهور الثمانية هذه انشغل النبي في ترتيب أمور مدینته، بعد الإنجاز الكبير بقضاءه على عدو كان يشكل شوكاً في خاصرته، وانشغل أيضاً ببعث السرايا والغزوـات، تبعاً لابن هشام، في حين التفت أبو هريرة، حديث العهد بالإسلام، وبمجتمع المدينة، إلى ترتيب سكناه ومعاشه في الصفة، والتعرف على المجتمع الجديد الذي كان يسعى لقبوله فيه، ولم نجد في أي من السير والروايات ما يشير إلى تمكـن أبي هريرة من التقرب خلال هذه الفترة من النبي المنشغل بما هو أكثر أهمية من التفرغ لمجالسته، وإن أتيـح له بعض اللقاءـات العامة معه خلال أداء الصلوات في المسجد، ودون أن يكون له أي وضع متميز عن أمثاله من أهل الصفة.

ولم تشر أي من كتب السير أنَّ أبي هريرة كان مـن خرجوا مع النبي في عمرة القضاء، التي أرادـها رداً على قريـش التي صدـته عن أداء العـمرة في الشـهر ذاتـه من السنة السابقة . . ثم لو خـرج، أكان النبي ليتفرـغ له دون غيرـه، ورغم انشـغالـه بما هو أـهم من الحديث إلـيه؟!

عاد النبي إلى المدينة وبدأ التـحضـير لبعث سـرايـاه إلى الشـام، في غـزوـة مؤـتـة في جـمـادـى الأولى من السنة التـالـية، الثـامـنة للهـجـرة . . تـلا ذلك تحـضـيرـه لفتح مـكـة، الحـدـث الأـهم في تـارـيخ الدـعـوة، وـكـانت انـطـلاقـته في العـاشـر من رـمـضـان من هـذـه السـنة، وإنـجازـه لـفتحـه في العـشـر الأـوـاـخـر مـنـه، تـوجـهـه بـعـدـها مـنـ مـكـة إـلـى حـنـين لـمـقـاتـلـة هـواـزن، وـأـنـشـئـ

بعدها إلى الطائف لمقاتلة ثقيف، ثم خرج إلى مكة معتمراً، وعاد بعدها إلى المدينة في ذي الحجة، أي الشهر الأخير من السنة الثامنة، وقيل قبل ذلك بستة أيام.

وفي محرم أو صفر من السنة التاسعة، أرسل النبي أبا العلاء الحضرمي أميراً على البحرين، وأرسل معه حديث الإسلام، ساكن الصفة، أبا هريرة ليعمل له مؤذناً، فكل زاده من الإسلام كان حفظ بعض عبارات يرددتها في أذانه خمس مرات كل يوم . . .

ولم يَرْ أبو هريرة النبي بعدها، إذ توفي النبي قبل رجوع أبي هريرة من البحرين . . .

هذه الفترة الممتدة بين السنتين السابعة والثامنة، كانت الأهم في مراحل الدعوة، وجرت فيها أكبر الإنجازات وأهم الواقع، بدءاً من الخلاص من يهود خيبر، وتحقيق عمرة القضاء، مروراً بمقاتلة الروم في مؤتة، وفتح مكة، ومقاتلة هوازن، وفتح الطائف، ثم العمرة الثانية . . .

نقول: متى أتيح للنبي في خضم هذا كلِّه أن يتفرغ ولو قليلاً لأبي هريرة دون أصحابه الآخرين؟ . . . وكيف أتيح لأبي هريرة أن يسمع، ويحفظ آلاف الأحاديث عن النبي، بلغ ما دون منها / 5374 / حديثاً؟ وهو رقم يستلزم مصاحبة لصيقة للنبي لسنوات طويلة، إذا أجرينا حساباً بسيطًا، سنأتي عليه في الفصل اللاحق، آخذين بالاعتبار السنوات العشر التي قضها النبي في المدينة، وأوقات نومه، وقيامه، وصلاته، وزوجاته، وحروبه، وإدارته لشئون المسلمين .

ولنتذكّر أن أبا بكر وعمر وعثمان وعلياً وعبد الرحمن بن عوف، وبباقي المبشرين بالجنة، ممن التصقوا بالنبي على امتداد ثلاثة وعشرين عاماً، ورافقوه في كلّ غزواته وخلواته، لم يرو أيّ منهم بضعة عشر حديثاً، استدعتها الظروف للقياس . . . ، ولنتذكّر قبل هؤلاء أن عبد الله بن مسعود الذي كان خادم النبي ومرافقه، وصاحب سواكه، ومظهرته، وحامل نعليه، وملازمه الليل والنهار، لم يبلغ ربع ما بلغ أبو هريرة في عدد الأحاديث ناهيك عن الآخرين . .

وربما تكون شهادة عائشة ذات معنى في هذا المجال، حسب روایة البخاري، إذ قالت لأبي هريرة: إنك تحدثت عن رسول الله بأحاديث ما سمعناها منه، فردّ عليها ساخراً: إنّه كان يشغلك عن رسول الله المرأة والمكحولة. فأجابته عائشة: إنّما أنت الذي شغلك عن رسول الله بطنك، وألهاك تهمك عنه، حتى كنت تعدو وراء الناس في الطرقات، تلتمس منهم أن يطعموك من جوحك، فينفرون منك ويهربون، ثم يتنهى الأمر بك أن تُصرع مغشياً عليك من الجوع أمام حجرتي، فيحسب الناس أنّك مجنون، فيطأون عنك بأرجلهم . .

يدعم هذه الشهادة، شهادة أخرى على لسان أبي هريرة ذاته، أوردها خالد محمد خالد يقول: وإنّه (أي أبي هريرة) ليحدثنا كيف كان الجوع يغضّ أمعاءه، فيشدّ على بطنه حبراً ويعتصر كبده بيديه، ويسقط في المسجد وهو يتلوّى، حتى يظن بعض أصحابه أنّ به صرعاً، وما هو بمصرود . .

لابدّ أن يشور الاستغراب، كيف أنّ رجلاً هذه حاله، تشغله بطنه،

ويركض وراء الناس في الطرقات التماساً لإطعامه، ويقع مصروعاً أو مخشياً عليه، كيف له أن يحفظ آلاف الأحاديث عن النبي، ومتي تنسى له ذلك؟ وهل وعي ما كان يسمع، إن كان قد سمع فعلاً؟ . . .

و قبل أن يبادر غلاة المنافحين عن (الصحابة)، المدافعين عن قداستهم، لاتهامنا بالكفر، كما درجوا، نستمهلهم، ونرجوهم استخدام الورقة والقلم، إن كان استخدام تكنولوجيا الآلة الحاسبة لا يزال مكرورها، لاحتساب عدد الأيام، وال ساعات التي أتيح لأبي هريرة فيها لقاء النبي والسماع منه، وستقدر لهم إقناعنا بالخمسة آلاف حديث التي تستلزم مصاحبة الرسول عشرات السنين - كما سنبين لاحقاً -، وما نحن إلا باحثين عن الحقيقة، ولا موقف شخصي لنا تجاه أبي هريرة أو غيره.. ولسنا أيضاً طرفاً في محاولات إخواننا الشيعة تقصد الإساءة إليه وأمثاله ممن لم يقفوا مع علي ضد معاوية، هي الغيرة على الدين، ومحاولة فرز الغث من السمين، من خلال دراسة أحد النماذج، وطاعة الله في أمره بتعقل الأمور، ورفض محاولات استغفالنا . . .

وهنا نلحظ أن أبي هريرة قد ورّط نفسه بحديث قال فيه: (ما من أصحاب النبي أحد أكثر حديثاً عنه مني، إلا ما كان من عبد الله بن عمرو بن العاص، فإنه كان يكتب ولا أكتب . . .)، إذ يكشف لنا ابن الأثير أنه كان لعبد الله بن عمرو صحيفة كتب فيها ما سمعه من أحاديث عن النبي، بلغت ألف حديث . . . ونعلم أن عبد الله أسلم وصاحب النبي قبل أبي هريرة بستين عديدة، وقيل إنه أسلم قبل أبيه عمرو بن

العاصر، فإذا كان هذا، وكان يكتب، ولم يتيسر له كتابة أكثر من ألف حديث، فمن أين جاء أبو هريرة بخمسة أضعافها...؟

وهنا، تخيفنا الحقيقة التي ذكرها البخاري، من أن نحوً من ثمانمائة رجل روا عن أبي هريرة، السنّا أمّا سلسلة مخيفة بُنيت على الكذب، وسوقت في كتب سميناها صحاحاً وسنّنا؟ لا سيّما وأنّ أبي هريرة مات في العام التاسع والخمسين للهجرة، أي إنّه عاش تسعًا وأربعين سنة بعد النبي، مستثمرًا كذبة الصحابة التي لم تدم أسابيع متقطعة...

ليس مهمًا متى عاد أبو هريرة إلى المدينة بعد وفاة النبي، لكن الصورة تتضح، حين نتصور هذا اليماني، حديث الإسلام، قادمًا إلى المدينة، دون عشيرة أو أهل، بغياب النبي كظلٍّ كان يستظل به المستضعفون، ودون أي فضل في غزوة أو جهاد، أو صحبة حقيقة للنبي تمنحه بعض المكانة بين أهل المدينة، أي بصحيفة سوابق لا تمنحه أدنى مكانة في هذا المجتمع، اقتصر ما فيها على عمله مؤذنًا في البحرين لبعض الوقت... وإن كان هذا العمل قد خدمه لاحقاً.

إنّ صَحَّ حديث عائشة، حول سيرته في المدينة، وشهادته عن نفسه، في الفترة السابقة لرحيله إلى البحرين، فلنـا أن نتصور موقفـيـنـ، أي موقفـ أبي هريرة القـادـمـ إلىـ مجـتمـعـ لمـ يـحـترـمـهـ قـبـلاـ، وموقفـ ذـاكـ المـجـتمـعـ تـجـاهـ هـذـاـ الـوـاـفـدـ الطـارـئـ...ـ

إنّ تفهـمـ واستيعـابـ هـذـيـنـ المـوقـفـيـنـ كـفـيلـ بـتوـضـيـعـ الصـورـةـ حولـ كـلـ ماـ حـصـلـ لـاحـقاـ...

لم يكن لدى أبي هريرة أية خبرة في أعمال التجارة التي كان يمارسها المهاجرون، ولا في الزراعة التي مارسها الأنصار، فخبراته قبل إسلامه اقتصرت على عمله خادماً لسيدة كان يهين لها رحلها ويقوده، مقابل أكل بطنه، وهي السيدة التي تزوجها لاحقاً بفضل الإسلام، وهو يقول: نسأت يتيناً وهاجرت مسكتناً.. و كنت أجيراً لبسرة بنت غزوان ب الطعام بطني، كنت أخدمهم إذا نزلوا، وأحدو لهم إذا ركبا، وما أنا قد زوجنيها الله، فالحمد لله الذي جعل الدين قواماً، وجعل أبي هريرة إماماً ..

كما لم يكن يمتلك من الشجاعة (وربما العقيدة) ما يدفعه للتخطي في جيوش المسلمين، كما فعل الآخرون، .. وإن كان خالد محمد خالد يمرر عبارة مجتزأة فيقول عنه بعد وفاة الرسول: وعاش أبو هريرة عابداً، مجاهداً..... لا يختلف عن غزوة، ولا عن طاعة.. دون أن يذكر لنا متى غزا، وكيف أبلى..

في مجتمع مسلم، يقدس قيمة العمل مهما اتضاع، لم نقرأ أذن أبي هريرة باشر العمل ولو أجيراً، لا في زراعة الأنصار، ولا في تجارة المهاجرين، رغم الفرص المتاحة، لنقص اليد العاملة، نتيجة توجه الجميع إلى الانخراط في الجيوش التي خاضت حروب الردة، ثم الفتوحات، دفاعاً عن الدين أو طمعاً في المغانم، ويدو أنه اكتفى بما كان يصيبه من فتات الغنائم التي كانت تصل إلى المدينة بين الحين والأخر، وما كان يوجد به عليه أهل المدينة، وهم الذين ألغوه فقيراً عاطلاً لا همة له على ملء بطنه بعرق جبينه ..

وإذا أغلق أبو هريرة أمام نفسه أبواب العمل الشريف، وخيارات

وأوجه البحث عن الرزق، وأغلق مجتمع المدينة أمامه الموقع والمكانة، وأغلقت سيرته السابقة أمامه القدرة على ادعاء الفضل في الغزو ونصرة الدين، فقد أتجه وجهة ذات دلالة عبرية، هي تمثل دور الصحابي القريب من النبي، بما يمنحه هذا الدور من امتيازات ومزايا . . .

لكن مزاحمة الصحابة ذوي السبق في الإسلام، والفضل في الدفاع عنه، أهل البيعات والهجرات والغزوات، مما لم يكن لأبي هريرة سهم في أيٍ منها، استلزمت منه ذكاءً فذاً، وعبريةً لافتاً، الادعاء بحمله المخزون الأكبر من تراث محمد، أي أحاديثه، بما لم يجرؤ غيره على ادعائه، مهما طالت صحبته للنبي

وانطلق اليماني في مشروعه . . ولكن بتمهل وتأدة، لقرب العهد بالنبي في السنوات الأولى، ولتشدد الخليفتين أبي بكر وعمر في تضييق رواية الحديث . . . هذا التشدد الذي لم يسكنه بالمرة، وإنما دفعه للتخطيط لمشروعه بذكاء أكبر، فبدأ يردد بعض الأحاديث التي تستدّى له سماعها من النبي خلال الفترات القصيرة التي أتيح له فيها الاقتراب منه، وكان يدرس ردود الأفعال . . .

كان أبو بكر وعمر يحثان الناس على الإقلال من الرواية عن رسول الله، فقد خطب أبو بكر مرّة في الناس، فقال: «إنكم تحدثون عن رسول الله أحاديث تختلفون فيها، والناس بعدكم أشد اختلافاً، فلا تحدثوا عن رسول الله شيئاً، فمن سألكم قولوا بيننا وبينكم كتاب الله، فاستحلوا حلاله وحرموا حرامه»⁽¹⁾ . .

(1) إبراهيم فوزي - تدوين السنة.

ويروي الحافظ الذهبي أن عمر بن الخطاب حبس أربعة من صحابة رسول الله، هم ابن مسعود، وأبو ذر الغفاري، وأبو الدرداء، وأبو مسعود الأنصاري، وقال لهم: «لقد أكثركم الحديث عن رسول الله».

ونتساءل: لماذا لم يحبس عمر أبا هريرة معهم بالتهمة ذاتها، وكلهم أقرب منه صحبة للنبي، وأصدق منه قوله؟

ذاك لأنَّ أبا هريرة لم يكن ممن يكررون الحديث في حينه، لخشته من عمر، ولقناعته بأنَّ الكثيرين ممن بقوا أحياء من صحابة النبي سيكتذبونه ويفضحون أمره، لا سيما وأنَّ عمر قد استيقاهم بالمدينة ولم يسمح لهم بمعادرتها مع الجيوش، وهو اكتفى بإطلاق بعض الأحاديث القليلة، وحتى هذه استهجنها عمر، فنهاه وهدده بالنفي إلى أرض دوس، مسقط رأسه.

ولعلَّ فكرة النفي لم تbarِح عمر، الذي نفَّذها بطريقة مغايرة، إذ ولَّ أبا هريرة أميراً على البحرين، في سنة 20 هجرية، لمعرفته بها خلال عمله فيها مؤذناً لأبي العلاء الحضرمي، وقد أراد عمر الخلاص من محدث عن النبي غير موثوق، ورأى في إشغاله بالإمارة ما يلهيه عن الحديث.

وقد صدق ظنُّ عمر، فسكت أبو هريرة عن الحديث، لكنَّه خَيَّب ظنَّ عمر في مقامٍ آخر، إذ بلغ عمر عنه أشياءً تخلَّ بالأمانة، فعزله وولَّ مكانه عثمان بن أبي العاص، وقدم أبو هريرة إلى المدينة ومعه أربعمائه ألف درهم، فقال له عمر: أظلمت أحداً؟ قال لا، قال: فما جئت به لنفسك؟ قال: عشرين ألفاً، قال: من أين أصبتها؟ قال: كنت أتاجر، فقاسمه عمر وأخذ منه عشرة آلاف ليت المال.

وفي رواية ابن سعد في طبقاته، والبلاذري في «فتح البلدان» أن عمر قال له: «يأعدوا الله، وعدو كتابه، سرقت مال الله...». أكد الرواية ابن عبد ربه الذي أثبت أن عمر ضربه بالدرة حتى أدماء، وكذلك ابن كثير، وابن قتيبة الدينوري، وابن أبي الحميد المعتزلي... .

هذه الروايات المجمع عليها، تضيء جانبًا لا بد منأخذه في الاعتبار في تقييم الرجل، ومدى مصداقيته وموثوقية ما نقله عن الرسول.... .

ربما لا نبتعد عن الحقيقة لو قررنا أن هذا الموقف من عمر تجاه أبي هريرة، أي كشف لصوصيته وضربيه له حتى أدماء، قد أحدث انقلاباً في تكوين فكر و موقف الرجل، أو ربما عزّز موقفاً ميتاً نام عليه طويلاً، وهو ما سيظهر لاحقاً.... .

يقول إبراهيم فوزي: وقد توقف أبو هريرة عن التحدث عن رسول الله، إلى أن مات عمر، فعاد يتحدث، وقال: إنني أحذّتكم بأحاديث عن رسول الله لو حذّتكم بها في زمن عمر لضربني بالدرة.... .

ونقل الزهري عن أبي سلمة عن أبي هريرة، قال: ما كنّا نستطيع أن نقول قال رسول الله حتى قضى عمر، كنّا نخاف السياط.... .

كان موت عمر اللحظة التي انتظرها أبو هريرة، وجاءت بها الأقدار، لإطلاق مشروعه الذي تبلور ويات ناضجاً وجاهزاً... وهو كان قد وقر زاداً آخر وذخيرة إضافية لمشروعه قبل موت عمر، أتيحت له بإسلام كعب الأخبار، اليهودي الذي قدم من اليمن، بلاد أبي

هريرة، أيام عمر، حاملاً معه رصيداً مذخوراً من الإسرائيليات التي ستصرب الإسلام بعد ذلك ضربات نافذة... .

التصق أبو هريرة بكتاب الأنباء، وتلتمذ على يديه، وملاً رأسه بقصص التوراة... .

روى ابن سعد في طبقاته الكبرى، أنَّ أبا هريرة جاء إلى كعب الأحبار يسأل عنه، فقال: «إِنَّمَا جَعَلْتُكَ لِأَطْلَبِ الْعِلْمِ عَنْكَ»، وقد وجد كعب بغية في أبي هريرة الذي كان يزعم أنه أحفظ الناس لأحاديث رسول الله، وكان كعب يلقى دروسه في المسجد، فيقرأ القرآن ويفسره بالتوراة⁽¹⁾.

ونتساءل: أي علم يطلبه (صحابي) مضى على إسلامه سبع سنوات أو ثمان، ويدعى أنه لازم النبي وحفظ عنه، من يهودي أسلم تواً ولم يقابل النبي؟

ذكر الذهبي في «طبقات الحفاظ» وفي «أعلام النبوة» في ترجمة أبي هريرة، أن كعب الأحبار قال في أبي هريرة: «ما رأيت أحداً لم يقرأ التوراة أعلم بما فيها من أبي هريرة»⁽²⁾.

وروى مسلم في صحيحه عن بسر بن سعد قال: «اتقوا الله وتحفظوا في الحديث، فوالله لقد رأيت كعباً يجالس أبا هريرة فيحدث عن رسول الله، ويحدث هنا عن كعب الأحبار، ثم يقوم، فأسمع

(1) إبراهيم فوزي - تدوين السنة.

(2) إبراهيم فوزي - تدوين السنة.

بعض من كانوا معنا يجعل ما قاله كعب عن رسول الله، وما قاله رسول الله عن كعب» ... !!

وقال يزيد بن هارون: سمعت شعبة يقول: أبو هريرة كان يدلّس في الحديث، فيروي ما سمعه من كعب الأحبار وما سمعه من رسول الله، فلا يميز هذا من ذاك⁽¹⁾.

ويقول طه حسين عن كعب الأحبار: «كان يهودياً من أهل اليمن، لقد عرف كيف كان يخدع كثيراً من المسلمين، لم يأت المدينة في أيام النبي، وإنما أقام على يهوديته في اليمن، وأقبل إلى المدينة أيام عمر بن الخطاب، وكان بارعاً في الكذب على المسلمين، يزعم أنه يجد صفاتهم في التوراة، وقد كذب على عمر فزعم أنه وجد صفتة في التوراة، كما روى البخاري ومسلم»⁽²⁾.

وحيث لم يصحب كعب الأحبار النبي، فلستنا نتوقع منه نقل أية أحاديث مباشرة عنه، لكننا نلمح تأثيره الكبير، فيما مرّره عبر تلميذه المخلص أبي هريرة ..

انطلق أبو هريرة، متجلداً بمخططه، والذخيرة التي زوّده إياها كعب الأحبار... وكانت فترة ولاية عثمان بن عفان فترة ذهبية أتاحت له تأكيد موقعه كصحابي ومحدث لا مجارٍ له عن النبي ..

كان عثمان نقىض عمر في كل الوجوه، ولعل هذا كان السبب في

(1) المرجع السابق.

(2) المرجع السابق.

حرص المستائين من شدة عمر على توليته، ناهيك عن أطماء بنى أمية.

ساهم ضعف عثمان في انفلات المتربيصين، وذوي النقوس الضعيفة، والطامعين في الثراء، كما ساهم تحيزه لأقاربه من آل أمية وتقريرهم وتوليتهم في خلق حالة سلبية تجاه مقام الخلافة، أثمرت انقسامات وتحزبات وتحالفات بدأت تحت السطح، وظهرت بأقصى أشكالها مع الفتنة التي أدت إلى مقتله، وهو ربما كان الحدث الأهم في تاريخ الدولة، أسس لكل ما بعده..

في هذا المناخ ألقى أبو هريرة بآلاف الأحاديث عن النبي، وكذلك فعل غيره وإن بعده أقل، ومع أن الجميع كانوا مشغولين بأمورهم وحساسياتهم، ولاحقاً بخلافاتهم وصراعاتهم، إلا أن ذلك لم يمنع البعض من التصدي لأبي هريرة وتكذيبه فيما ينسب إلى النبي، وقد رأينا رد عائشة عليه فيما أشرنا ..

ينقل إبراهيم فوزي عن ابن قتيبة⁽¹⁾:

«ولقد أتى أبو هريرة ما لم يأت بمثله جلة الصحابة والسابقين الأوليين، اتهموه وأنكروا عليه، وقالوا كيف سمعت هذا وحدك ومن سمع معك؟ وكانت عائشة أشدّهم إنكاراً عليه، وكانت تعارضه لتطاول الأيام بهما، وقد توفيت قبله بسنة».

يقول مصطفى صادق الرافعي في أبي هريرة: هو أول راوية في الإسلام أثُّهم ..

(1) ابن قتيبة، تأويل مختلف الأحاديث.

وروى ابن عبد الله في «الإصابة»، أنَّ جماعة من الصحابة سمعوا أبا هريرة يقول: قال رسول الله: «مَنْ أَصْبَحَ جُنْبًا فَلَا صِيَامٌ عَلَيْهِ»، فسارعوا إلى زوجتي الرسول أم سلمة وعائشة، للتحقق من صحة الحديث، فأجابتا أنَّ رسول الله كان يمضي ليلته جنباً وفي الصباح يصوم، ورجع الصحابة إلى أبي هريرة، فاعترف لهم أنَّه لم يسمع هذا الحديث من النبي، وإنما سمعه من غيره . . .

وقد أكد الإمام الغزالى هذه الواقعة⁽¹⁾ وقال إنَّ أبا هريرة ادعى سماع الحديث من الفضل بن عباس . . .

هذا اعتراف صريح بالكذب على لسان النبي، من الرواية الأولى، الذي ربما فاته أنَّه هو مَنْ روى الحديث الآخر عن النبي: «مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ فَلَيَتَبَوَّأْ مَقْعِدَهُ مِنَ النَّارِ» . . .

وينطبق على أبي هريرة قول الله الحق: «إِنَّمَا يَقْتَرَى الْكَذَبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِثَانِيَتِ اللَّهِ»⁽²⁾.

كما ينطبق عليه، ما ذهب إليه أحمد بن حنبل، وأبو بكر الحميدي، والصيرفي، والسمعاني «أنَّ مَنْ كَذَبَ فِي حَدِيثٍ وَاحِدٍ فُسِّقَ، ورُدِّتَ رِوَايَتُهُ، وَيُطْلَلُ الْاحْتِجَاجُ بِهَا، وَإِنْ تَابَ وَحَسِنَ تَوْبَتُهُ» وسنرى أنَّ أبا هريرة كذب كثيراً ولم يتبع

صدق النبي، وكذب أبو هريرة، وتبوأ مقعده في النار، والنار

(1) الغزالى - المستصفى في علم الأصول.

(2) سورة التحل، الآية: 105.

أعدت للكافرين وبئس القوم يأخذون أحاديث نبيهم من الكذبة والكفرة وأهل النار

جريمة أبي هريرة بحق النبي والإسلام

لا يكفي استعراض السيرة لجسم الاتهام، لا بدًّ من دراسة الأحاديث التي نقلها أبو هريرة منسوبة إلى النبي، واحتلت صدارة كتب الصحاح والسنن، لتبيّن جريمته وجريمة كتاب هذه الصلاح والسنن وجريمة المسلمين العاملين بها

تندرج الأحاديث التي نسبها أبو هريرة إلى النبي، وجلّها أحاديث آحاد، انفرد بها دون غيره، متكتئاً على جهل المسلمين، تحت بضعة عناوين:

1 - أحاديث كفرٍ تخالف كتاب الله ..

2 - أحاديث تافهة تسيء إلى مقام النبوة، لا فائدة فيها للمسلمين، تخالف العقل والشرع.

3 - أحاديث صريحة الكذب تستغل عقول المسلمين.

4 - إسرائيليات من دس كعب الأحبار.

5 - أحاديث كاذبة في خدمة السلطان.

ونستعرض بعض الأمثلة... فيما يخالف كتاب الله:

- حديثه: «لا يدخل الجنة ولدُ الزنى»، وقد أنكرته عائشة وقرأت:

﴿وَلَا تُزَرْ وَازِرٌ وَلَا أُخْرَى﴾⁽¹⁾. وهذا كفرٌ صريح بالعدل الإلهي،

(1) سورة الأنعام، الآية: 164.

ويكلام الله صدق الله وكذب أبو هريرة .

- حديثه الذي أورده البخاري، أنَّ النبي قال: «لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون الترك . . . ولا تقوم الساعة حتى تقاتلوا قوماً نعاليهم الشعر»، في مخالفة لكلام الله: ﴿يَسْتَأْوِنُوكُمْ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَنَهَا فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرِهَا إِلَى زَيْكَ مُشْتَهِهَا﴾⁽¹⁾، وصدق الله وكذب أبو هريرة . .

الذي عاود رواية حديث آخر كاذب عن الساعة وهو حديثه أنَّ النبي قال: «لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من أرض الحجاز، تضيء لها أعناق الإبل ببصري»، ويبعدوا أنَّه نسي أكاذيبه فجاء بحديث آخر في الأمر ذاته، عن لسان النبي: «لا تقوم الساعة حتى يخرج رجل من قحطان، يسوق الناس بعصاه»، ثم كرر ذلك فقال: «إذا وسد الأمر إلى حتى تقاتلوا اليهود . . .»، ثم حديث آخر خامس: «إذا وسد الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة» . . . خمسة أحاديث تحدد وقائع متباعدة مختلفة لما لا يجوز للنبي أن يحدده: (فيم أنت من ذكرها) أفلأ نصدق الله ﷺ ، ونكذب أبا هريرة؟ .

- روى ابن كثير في تفسيره عن أبي هريرة أنَّه قال: سمعت رسول الله يحكى عن موسى على المنبر، قال: «وَقَعَ فِي نَفْسِ مُوسَىٰ هَلْ يَنْأِمُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ . . . الْخُ»، ويقول ابن كثير إنَّه من الإسرائييليات المنكرة، فإنَّ موسى أعلم من أن يحيّز على الله النوم، وهو القائل بأنه الحي القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم . . . ونقول إنَّ محمداً لا يتهم أخاه موسى بمثل هذا، وصدق الله ورسوله وكذب أبو هريرة .

. (1) سورة النازعات، الآياتان: 42/4.

- حديث يوحى بـكفر صريح، مردّه جهل أبي هريرة بـكروية الأرض، أن النبي قال: «ينزل الله كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الأخير، يقول: من يدعوني فأستجب له، من يسألني فأعطيه، ومن يستغرنـي فأغفر له»، نقول: إذا كانت الأرض كروية وتدور حول الشمس، ويتـعاقب الليل والنهار على بـقاع الأرض دون أن يختفي أيٌ منها، فـهل يـبقى الله على مدار السـاعة في السماء الدنيا لتـلبـية طـلـبات عـبـادـه في بـقاع الـأـرـضـ المـخـتـلـفةـ؟ أمـ أـنـهـ يـقـصـدـ لـيلـ مـسـلـمـيـ الحـجـازـ الذـيـ يـصـادـفـ العـصـرـ لـدـىـ مـسـلـمـيـ واـشـنـطـنـ واـلـصـبـاحـ لـدـىـ مـسـلـمـيـ شـرـقـ آـسـياـ مـثـلاـ؟...ـ هـذـاـ إـذـاـ نـسـيـنـاـ أـنـ اللهـ قـدـ وـسـعـ عـرـشـهـ السـمـوـاتـ وـالـأـرـضـ،ـ وـهـوـ لـيـسـ مـقـيـماـ فـيـ سـمـاءـ مـحـدـدـةـ دـوـنـ الـأـخـرـىـ،ـ كـوـنـهـ خـارـجـ حـدـودـ الزـمـانـ وـالـمـكـانـ...ـ.

- حديث في صحيح مسلم، أن النبي قال: «لن يدخل أحداً منكم عمله الجنة» قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟، قال: «ولـا أنا إلا أن يـتـعـمـدـنـيـ اللـهـ بـفـضـلـ مـنـهـ وـرـحـمـةـ»...ـ فـيـ إـشـارـةـ إـلـىـ أـنـ الـعـلـمـ الصـالـحـ الـذـيـ طـالـبـنـ اللـهـ بـهـ لـيـسـ طـرـيـقاـ إـلـىـ الـجـنـةـ،ـ مـاـ لـمـ يـتـلـطـفـ اللـهـ وـيرـحمـ عـبـدـهـ بـقـبـولـ هـذـاـ عـلـمـ،ـ مـنـاقـضـاـ عـشـرـاتـ الـآـيـاتـ:

﴿سَلَّمَ عَلَيْكُمْ أَدْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾⁽¹⁾.

﴿إِنَّمَا الْجَنَّةَ لِأُولَئِكَ الَّذِينَ أَرْتَمْتُهُمْ فِي هَذِهِ الْجَنَّةِ أَوْ لِتَمَوَّهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾⁽²⁾.

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتُ النَّعِيمِ﴾⁽³⁾...ـ الخـ..ـ

(1) سورة النحل، الآية: 32.

(2) سورة الأعراف، الآية: 43.

(3) سورة لقمان، الآية: 8.

والغريب أن أبا هريرة أجرى تحريفاً على أهم عبارات الحديث، إذ نقرأ نصاً مغايراً نقله ابن قيم الجوزية في كتابه «هادي الأرواح»، عن أبي النعيم عن أبي الزبير عن جابر أن النبي قال: «لا يُدخل أحداً منكم الجنة عمله ولا يجيره من النار، ولا أنا إلا بتوحيد الله تعالى»...

والفرق كبير بين النصين

فمن الكاذب هنا؟

- وغيره كثير

وبعض الأمثلة من الأحاديث التافهة التي تسيء إلى الرسول، وتخالف العقل والشرع:

- حديث: «إذا أكل أحدكم طعاماً فليعقب أصابعه

- حديث: «إذا سمعتم صياح الديكة فاسأّلوا الله من فضلها فإنها رأت ملكاً، وإذا سمعتم نهيق الحمار فتعوذوا بالله من الشيطان فإنه رأى الشيطان»، هل يربط النبي لغة الديكة والحمير برؤية الملائكة والشياطين؟

وماذا عن الحيوانات الأخرى؟؟؟ لا يتوجب أن نقول: إذا قرأت حديثاً عن أبي هريرة فتعوذوا بالله، فقد كان الشيطان عينه . . .

- حديث: «من أمسك كلباً، فإنه ينقص كل يوم من عمله قيراط، إلا كلب حرب أو ماشية»، وفي رواية أخرى: «إلا كلب غنم أو حرب أو صيد»، وفي رواية ثالثة: «إلا! كلب صيد أو ماشية»

- حديث: «إذا نودي للصلوة أدبر الشيطان، له ضراط حتى لا

يسمع التأذين، فإذا قضي التأذين أقبل، حتى إذا ثوب بالصلاه أدبر... الخ»، تصوروا النبي يقول هذا الكلام / حاشاه/ .. ولتخيل وضع الشيطان في المدن التي كثرت فيها المساجد، واختلاف مواقيت الأذان بين بقعة وأخرى، وضراء متوافق بين إدبار وإقبال لا ينتهيان... .

- حديث: «إذا استيقظ أحدكم من منامه فليستثمر ثلاث مرات، فإن الشيطان يبيت على خياشيمه»، وهو لم يخبرنا لماذا نوقظ الشيطان، أليس من الأجدى تركه نائماً.. ، ثمَّ أننا نستيقظ بعد أذان الصبح، حين يكون الشيطان في ذروة ضرائه، وإقباله وإدباره، حسب الحديث السابق، فكيف يتفق أنه نائم على خياشيمنا حينها، أم أنَّ هذا غير ذاك؟.. / حاشا رسول الله من هذه الترهات/ ..

- حديث قال فيه: ذُكر عند رسول الله رجل نام ليته حتى أصبح، قال: «ذاك رجل بالشيطان في أذنيه»، الشيطان يبيت على الخياشيم ويقضى حاجته على الأذنين..... لا تعليق.

ويبدو أنَّ أبا هريرة احتار فيما يقول عن الشيطان، كذباً على لسان النبي، فجاء بأحاديث أخرى معايرة:

- حديث أنَّ النبي قال: «إذا ثاءب أحدكم فليكظم ما استطاع فإن الشيطان يدخل»، تصوروا محمداً يربط التشاوب وهو عملية فيزيولوجية لا إرادية بالشيطان.. . ألم يتشاءب محمد يوماً؟ . والغريب أنَّ أبا هريرة يورد الحديث مرَّة ثانية، ولكن بصياغة أخرى.. .

- أنَّ النبي قال: «التشاؤب من الشيطان، فإذا ثاءب أحدكم فليردده

ما استطاع، فإن ثناءب أحدكم ضحك الشيطان»... فهل يدخل الشيطان، أم يضحك، أم تُراه يدخل ضاحكاً؟... .

- حديث أن النبي قال: «الشَّوْمُ فِي ثَلَاثَةِ: الْمَرْأَةُ وَالدَّارُ وَالدَّابَّةُ»..... وقد أنكرته عائشة بهذه الصياغة، وقالت إن أبا هريرة ربما حضر مجلس الرسول متأخراً فسمع نصف الحديث، دون النصف الأول: «كانت اليهود تقول: الشَّوْمُ فِي».

- حديث أن النبي قال: «ما يقطع الصلاة ثلاثة، الكلب والحمار والمرأة»، وهنا أيضاً قالت عائشة: شبهتمونا بالكلاب والحمير، والله لقد رأيت رسول الله يصلي وأنا على السرير بيته وبين القبلة مضطجعة.. وكذب أبو هريرة.. .

- حديث أن النبي قال: «لأن يمتلىء جوف الرجل قيحاً خيراً من أن يمتلىء شرعاً»... ، دون أن يفسر لنا موقف الرسول من شعرائه حسان بن ثابت، وكتب بن مالك، وعبد الله بن رواحة، ومن قصيدة كعب بن زهير التي ألبسه بردته مكافأة عليها، وإطرائه لزهير بن أبي سلمى الذي مات قبل البعثة.. .

- حديث أن النبي قال: «إذا دعا الرجل امرأته إلى فراشه فأبْتَ، فباتت ليته غضبان، عليها لعنة الله وملائكته حتى تصبح»... . تصوّروا رب العزة وملائكته يتربصون بالنسوة الرافضات النكاح لصب اللعنات عليهم، دون أن يستثنى الحديث حالات المرض أو الاضطرار أو الوضع النفسي للمرأة المسكينة الذي بات خلاصها من اللعنة بفتح رجلها.. وهو لم يذكر لنا عقوبة الرجل الذي لا يلبِي زوجته أو يرضيها... .

ويبدو لنا أن زوجة أبي هريرة كانت تحقره، وتتمتنع عن وصاله، فخرج علينا بهذه الأكاذيب عن المرأة انتقاماً..

- حديث أن النبي قال: «لا يشربَن أحد منكم قائماً، فمَن نسي فليستقِئ». . . . اشربوا مضطجعين..

وقد كذب علي بن أبي طالب هذا الحديث، إذ شرب قائماً وقال: إنّ ناساً يكره أحدهم أن يشرب وهو قائم، وإنّي رأيت النبي فعل كما فعلت⁽¹⁾، كما كذبه ابن عباس الذي قال: شرب النبي قائماً من زمزم⁽²⁾.. . .

- حديث أن النبي قال: «لولا بنو إسرائيل لم يخنز اللحم، ولولا حواء لم تخن أنسى زوجها»! دون أن يذكر لنا مع من خانت حواء زوجها آدم، الرجل الوحيد حولها.. . .

- حديث أن النبي قال: «يوشك الفرات أن يحسّر عن كنوز من ذهب، فمن حضره فلا يأخذ منه شيئاً».. . وقد انحسر الفرات إلى أخفض مستوى له بعد إنشاء تركيا للسدود العديدة على متابعه، دون أن ينحسر عن كنزة أبي هريرة المزعوم، وهو لم يفسّر لنا لماذا يفتح النبي نفسه بهذه الترهات والغبيّات المموجّة.. . .

- حديث أن النبي قال: «لا يمشي أحدكم في نعل واحدة، ليُحِفِّهما جميعاً أو لينعلهما».. . لا تعلق.. .

(1) البخاري 5615

(2) البخاري 5617

- حديث أن النبي قال: «ما أسفل من الكعبين من الإزار ففي النار»... وهذا الحديث الذي لا يمكن أن يصدر عن النبي، هو الأكثر تطبيقاً لدى إخواننا السلفيين الذين يرون القدوة بالنبي محصورة بتقصير الشوب، لا بالسلوكيات والأخلاق... ودون أن يتساءلوا كيف يسقط النبي العبادة والعمل الصالح وأركان الإيمان الأخرى، ليحصر دخول الجنة، أو النار، بطول الشوب... حاشا رسول الله، وكذب أبو

هريرة

- حديث أن النبي قال: «إذا جلس أحدكم ل حاجته (إتيان الغائط) فلا يستقبل القبلة ولا يستدبرها»، ألا تحتاج حماماتنا ومراحيضنا اليوم لإعادة النظر في تموضعها الجغرافي، لثلا نستقبل أو نستدبر القبلة، وقد ورد حديث مخالف بالنص... كذب أبو هريرة.

- حديث أن النبي قال: «من كان له شعر فليكرمه» الذي يبدو دعائية للحلاقين، لا حديث نبي

- حديث أن النبي قال: «من عرض عليه طيب فلا يرده، فإنه خفيف المحمل طيب الرائحة»... وهو حديث يليق بأبي هريرة، وأشعب، لا بالنبي الكريم

- وغيرها كثير

وأما الأمثلة على الأحاديث صريحة الكذب، التي تستغل عقول المسلمين، فهي كثيرة تمتلىء بها كتب الحديث، نأتي على بعضها تفادياً للإطالة:

* عن أبي هريرة أنه لما أقبل يريد الإسلام، ومعه غلامه، ضلَّ كلَّ

واحدٌ منها عن صاحبه، فَأَقْبَلَ بَعْدَ ذَلِكَ وَأَبُو هُرَيْرَةَ جَالِسٌ مَعَ النَّبِيِّ، فَقَالَ النَّبِيُّ: (يَا أَبَا هُرَيْرَةَ، هَذَا غَلَامٌ كَمَا قَدْ أَتَاكَ)، فَقَالَ: أَمَا إِنِّي أَشْهُدُكَ أَنَّهُ حَرٌّ...⁽¹⁾.

الحديث يشير إلى لحظة قدوم أبي هريرة لإعلان إسلامه، أي في خبير، وتساؤل:

1 - هل كان لأبي هريرة غلام يخدمه؟ وقد عرفناه غلاماً خادماً لغيره.

2 - في خضم انشغال النبي بمعركة خير، وتوزيع الغنائم، متى وجد وقتاً للجلوس مع أبي هريرة، الذي لم يره قبل هذا اليوم؟ وإذا كان أبو هريرة قد قدم مع قومه وهم أربعين ألفاً، وقيل سبعين ألفاً كما تخبرنا الروايات، فلماذا اصطفاه النبي من بينهم للجلوس معه، وهو لم يكن ذا شأن فيهم؟

3 - كيف رفع النبي الكلفة مع أبي هريرة سريعاً؟ وكيف عرف غلامه؟ هل يستحق الأمر معجزة إلهية هبطت على النبي؟

4 - أوضح دليلاً على الكذب، هو ادعاؤه أن النبي خاطبه (يا أبا هريرة)، ولا ندرى كيف عرف لقبه الخاص ولم يمض على لقائه به دقائق معدودات، كما أنه أصلاً لم يكن قد لقي بهذا الاسم الذي جاء بعد فترة من مكتوثه في المدينة، وتربيته لهرة صغيرة، ثم إنَّ أبا هريرة يكذب نفسه، فهو يقول في مقام آخر: كان رسول الله يدعوني أبا هر،

والناس يدعونني أبا هريرة، ولأن تكنوني بالذكر أحب إلي من أن تكنوني بالأئشى... أي إننا أمام روايتين متناقضتين للمدّعي ذاته، فما يليهما نصدق؟

* حديث أورده مالك في الموطأ، أن أبا هريرة حدث الناس عن الرسول فقال: أن رسول الله نعى النجاشي للناس في اليوم الذي مات فيه، وخرج بهم إلى المصلى، فصفت بهم، وكبر أربع تكبيرات.

وحيث أن الحادثة قد تكون واقعية وصحيحة، وإن لم ترد على لسان محدث آخر ممن كانوا خلف النبي حينها، فقد أراد أبو هريرة استغلالها في روايته، فذكرها تفصيلاً، وأشار إلى عدد التكبيرات التي كبرها النبي، كما لو كان وراءه... في حين تخبرنا كتب التاريخ أن النجاشي مات في رجب سنة تسع للهجرة، أي في الفترة التي كان أبو هريرة مقيناً فيها في البحرين، كما رأينا في سيرته

* حديث أورده البخاري، عن أبي هريرة، أن رسول الله قال، حين أنزل عليه: ﴿وَإِذْرَ عَشِيرَكَ الْأَقْرَبَينَ﴾؛ «يا عشر قريش اشتروا أنفسكم من الله، لا أغني عنكم من الله شيئاً، يا بني عبد المطلب، لا أغني عنكم من الله شيئاً، يا عباس بن عبد المطلب، لا أغني عنك من الله شيئاً، يا صفية عمّة رسول الله، لا أغني عنك من الله شيئاً، يا فاطمة بنت محمد، سليني ما شئت، لا أغني عنك من الله شيئاً»... ونعلم أن الآية المشار إليها جاءت في سورة الشعراء، التي تنزلت في منتصف فترة الدعوة المكية، أي قبل إسلام أبي هريرة في السنة السابعة للهجرة، بما لا يقل عن 12 عاماً، كما أن عمر فاطمة في حينه لم

يتجاوز العشر سنوات، وكانت أخواتها زينب ورقية وأم كلثوم على قيد الحياة، وأكبر منها ستًا، بما لا يبرر مخاطبتها، وهي لم تعقل بعد، واستثناء أخواتها، ناهيك عن مخاطبة العباس الذي بقي مشركاً، وحارب المسلمين في بدر وأسر فيها، واستثناء أبي طالب الأقرب إلى قلب النبي، وحمزة وغيرهم

وحيث أن مضمون الحديث معقول ومنطقي، ويتسق مع الآية، فقد أراد أبو هريرة بتوليفه وإلقاءه، ترسیخ مرجعية تاريخية لنفسه، لدى المسلمين الجدد، خاصة من أهل الشام، ممن كانوا يجهلون تاريخ إسلامه . . .

أما الأمثلة على الإسرائيليات فهي إدانة صريحة لأبي هريرة بمشاركته في هدم الإسلام، وتنفيذ لخطبة كعب الأحبار . . . وتابع:

- أورد البخاري ومسلم والترمذى وابن ماجة، حديثاً منسوباً إلى النبي عن طريق أبي هريرة قال: «يقول الله تعالى: أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر». هذا الحديث ورد بالنص في رسالة بولس الأولى إلى أهالي كورنثوس، في الآية التاسعة من الإصحاح الثاني، كما يلي: (ولكن كما كتب، ما لم تره عين، ولا سمعت به أذن، ولا خطر على قلب بشر، ما أعده الله للذين يحبونه) . . وهو مأخذ من سفر إشعيا في الترجمة السبعينية (ما رأت عين، ولا سمعت أذن، ولا خطر على قلب بشر، ما أعده الله لأولئك الذين يحبونه، ويصبرون له، ويترقبون رحمته).

- روى مسلم في (صححه)، بسنده إلى أبي هريرة قال: قال رسول الله إنَّ اللَّهَ يُعْرِجُكَ يقول يوم القيمة «يا بن آدم، مرضت فلم تُعْدِنِي»، قال: يا رب كيف أعودك وأنت رب العالمين؟ قال: أما علمت أنَّك لو عدته لوجدتني عنده؟.....، يا بن آدم استطعتمك فلم تطعموني، قال يا رب كيف أطعمك وأنت رب العالمين؟ قال: أما علمت أنه استطعتمك عبدي فلان فلم تطعمه؟ أما علمت أنَّك لو أطعمته لوجدت ذلك عندي..... يا بن آدم، استسقيتك فلم تسقني، قال يا رب كيف أسقيك وأنت رب العالمين؟ قال: استسقاك عبدي فلان فلم تسقه، أما إنَّك لو سقيته لوجدت ذلك عندي»... وقد صنف هذا الحديث كحديث قدسي..... هذا الحديث جاء بالنص، بتوسيع أكبر على لسان السيد المسيح، في إنجيل متى، الآيات من 31 حتى 46 من الإصلاح الخامس والعشرين... ومن شاء فليفتح إنجيل متى...

- روى مسلم في صحيحه، عن أبي هريرة عن النبي أنه قال «خلق الله عَزَّوجَلَّ آدم على صورته طوله ستون ذراعاً»... وهذا ما لم يرد في القرآن، لكنه ورد في التوراة - سفر التكوين الإصلاح الأول الفقرة 27 «فخلق الله الإنسان على صورته، على صورة الله خلقه»، ثم هل يقول الرسول إن طول الله ستون ذراعاً، وهو ما لم تقله التوراة...؟

- روى مسلم أيضاً عن أبي هريرة قال: أخذ رسول الله بيدي (تلقيق مقصود)، فقال: «خلق الله عَزَّوجَلَّ التربة يوم السبت، وخلق فيها الجبال يوم الأحد، وخلق الشجر يوم الاثنين، وخلق المکروه يوم

الثلاثاء، وخلق النور يوم الأربعاء، وبئث فيها الدواب يوم الخميس، وخلق آدم عليه السلام بعد العصر من يوم الجمعة في آخر الخلق في آخر ساعة من ساعات الجمعة فيما بين العصر إلى الليل»⁽¹⁾ .

ونتساءل، هل يورّط النبي نفسه بوصف الله من سكان الأرض مثلك يتبع تقويمًا وساعات، وهل يومه كيومنا، مع أنه جل جلاله أشار إلى أنّ يومه ألف ممّا تعدادون، ثم عده خمسين ألف سنة في سورة المعارج، في إشارة إلى أنه خارج مفهوم الزمان والمكان؟ . . . لكن الأمر يتكشف لنا حين نجد القصة نفسها في التوراة، سفر التكوانين، الإصحاح الأول، وقد أخذها أبو هريرة وزاد فيها سوءاً فجاء بما لم تأت به، إذ أشارت التوراة إلى اليوم الأول واليوم الثاني، دون تحديد ما إذا كانت أياماً أرضية أم سماوية، في حين لجا أبو هريرة بحرفية وسوء نية إلى تسمية الأيام بالسبت والأحد وبباقي أيام الأسبوع الأرضية، وحدد من عنده ساعة خلق آدم بين العصر والليل، كما لو كان الله يتبع توقيت الحجاز أو بلاد الشام . . .

(أكثر من ذلك، هو أمعن في توريط النبي بهذه الترهات، حين أتى بحديث، نسبة إلى النبي، أنه قال: «تفتح أبواب الجنة يوم الاثنين ويوم الخميس، فيغفر لكل عبد لا يشرك بالله شيئاً، إلا رجلاً كانت بينه وبين أخيه شحناه»، أي خصومة⁽²⁾ . . .

- أورد الطبرى⁽³⁾ روايتين عن أبي هريرة من طريق ابن اسحق،

(1) البخاري 2789.

(2) مسلم / 35 / 2565.

(3) الطبرى - جامع البيان ج 3 ص 291.

صرف عن عتين إلى رسول الله، جاء في الأولى: «لِيُهْبِطَنَّ اللَّهُ عِيسَى ابْنُ مُرِيمٍ حَكْمًا عَادِلًا، وَإِمَامًا مَقْسُطًا، يَكْسِرُ الصَّلِيبَ، وَيَقْتُلُ الْخَنْزِيرَ، وَيَضْعِفُ الْجَزِيرَةَ، وَيَفْيِضُ الْمَالَ حَتَّى لا يَجِدَ مَنْ يَأْخُذُهُ، وَلَا يَسْلُكُنَّ الرُّوحَاءَ حَاجَاً أَوْ مَعْتَصِرَاً، أَوْ يَدِينُ بِهِمَا مَعَا» . . .

والثانية، «أَنَّ الْأَنْبِيَاءَ أَخْوَةً لِعَلَاتٍ، أَمْهَاتُهُمْ شَتَّى وَدِينُهُمْ وَاحِدٌ، وَأَنَّا أَوْلَى النَّاسِ بِعِيسَى ابْنِ مُرِيمٍ، لَأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ بَيْنِي وَبَيْنِهِ نَبِيٌّ، وَإِنَّهُ نَازَلَ، فَإِنَّا رَأَيْتُمُوهُ فَاعْرَفُوهُ، فَإِنَّهُ رَجُلٌ مَرْبُوعٌ الْخَلْقُ إِلَى الْحُمْرَةِ وَالْبَيْاضِ، يَدْقُنُ الصَّلِيبَ، وَيَقْتُلُ الْخَنْزِيرَ، وَيَفْيِضُ الْمَالَ، وَيَقْاتَلُ النَّاسَ عَلَى الْإِسْلَامِ، حَتَّى يَهْلِكَ فِي زَمَانِهِ الْمُلْلَ كُلُّهَا، وَيَهْلِكَ اللَّهُ فِي زَمَانِهِ مُسِيحُ الضَّلَالِ الْكَذَابُ الدِّجَالُ، وَتَقْعُدُ فِي الْأَرْضِ الْأَمْنَةُ حَتَّى تُرْتَعِنَ الْأَسْوَدُ مَعَ الْأَبْلَ، وَالنَّمُورُ مَعَ الْبَقَرِ، وَالذِّئَابُ مَعَ الْغَنَمِ، وَتُلْعَبُ الْعَلَمَانُ بِالْحَيَّاتِ، لَا يَضْرِرُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، فَيُشَبَّتُ فِي الْأَرْضِ أَرْبَعينَ سَنَةً، ثُمَّ يَتَوَفَّ وَيَصْلَيُ عَلَيْهِ الْمُسْلِمُونَ وَيَدْفَنُونَهُ» . . .

وقد اعتُبر الحديث الأول أصلًا بُنيت عليه تأوييلات المفسرين لآيات القرآنية المتહلة عن وفاة المسيح، ففسّرت هذه الآيات وفق روایة توراتية وإنجيلية، لا إسلامية . . .

وحيث أن القرآن لم يذكر شيئاً عن الدجال، أو المسيح المنتظر، رغم توسيعه في رواية أخبار أمه، وولادته المعجزة، ورسالته، ومعجزاته، ورفعه إلى السماء، فقد مرر أبو هريرة، بهذين الحديثين المنسوبين كذباً إلى رسول الله، العقائد اليهودية والنصرانية المخالفة للقرآن، بحيث أن معظم تفاسير القرآن اللاحقة استندت إليه وروجت ما مررها ودسته . . .

من أين أتى أبو هريرة بهذه الدسيسة؟ ..

جاء بها من المزامير والأسفار اليهودية، منها سفر المزامير 72:4-1، وسفر أرميا 23:5-8، وسفر أشعيا 1:26-28، وسفر أشعيا 10:1-11 الذي ورد نصه كالتالي: «ويخرج قضيب من جذع يسبي وينبت غصن من أصوله، ويحل عليه روح الرب، روح الحكمة والفهم، روح المشورة والقوة، ومخافة الرب، ولذته تكون في مخافة الرب، فلا يقضي بحسب نظر عينيه، ولا يحكم بحسب سمع أذنيه، بل يقضي بالعدل للمساكين، ويحكم بالإنصاف لبائسي الأرض، ويضرب الأرض بقضيب فمه، ويميت المنافق بنفحة شفتيه، ويكون البر منطقة متيبة، والأمانة منطقة حقوية . . . فيسكن الذئب مع الخروف، ويربض النمر مع الجدي، والعجل والمسمن معاً وصبي صغير يسوقهما، والبقرة والدبة ترعيان، تربض أولادهما معاً، والأسد كالبقر يأكل تبناً، ويلعب الرضيع على سرب الصل (الحيات)، ويمد الفطيم يده على جحر الأفعوان، لا يسرون ولا يفسدون في كل جبل قدسي، لأنّ الأرض تمتلك من معرفة الرب كما تغطي المياه البحر، ويكون في ذلك اليوم أنّ أصل يسبي القائم راية للشعوب، إياته تطلب الأمم، ويكون محلّه مجدًا» . . .

لاحظوا تطابق الكلمات والتعابير، وتذكروا أن القرآن لم يأت بهذه العقيدة، بل إنّ تصوّرها تهدم هذه الفكرة من أساسها عند التأمل . . .⁽¹⁾

أكثر من ذلك، وحيث أن هذه العقيدة التوراتية المسيحية، تربط

(1) مصطفى بو هندي - التأثير المسيحي في تفسير القرآن.

ظهور المسيح المنتظر بظهور المسيح الدجال، وكلاهما لم يرد فيه قرآن، فقد أبى أبو هريرة إلا أن يمعن في ترسيخها، على حساب القرآن، فجاء بحديث كاذب آخر، نسبة إلى رسول الله: «ثلاث إذا خرجن لا ينفع نفساً إيمانها، لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً: طلوع الشمس من مغربها، والدجال، والدابة» رواه مسلم .

ولستا ندرك، لم لم يتتساع المفسرون، الذين تبعوا أبي هريرة في جنایاته، كيف يكون ظهور الدجال من العقائد الإسلامية ويفغل القرآن عنه ولا يذكره، مع أنه فصل في أمور الغيب تفصيلاً عجياً؟ . . .

نكتفي بهذه الأمثلة، ونتتساءل: ما هي دوافع أبي هريرة، ومن وراءه كعب الأحبار، لتلفيق هذه الأحاديث على لسان النبي؟

الجواب هو أن ذلك كان وفق خطة مبرمجة لتشييت وتأكيد الشكوك التي أثيرت في بداية الدعوة، وهدأت بانتصار النبي وسيطرته، وبات مطلوباً إطلاقها من جديد حين أتيحت الفرصة، بعد وفاة النبي، وبده ظهور الخلافات بين أتباعه، وتوسيع الدولة، ودخول شعوب أخرى في الإسلام .

آية شكوك؟ هي ما أشار الله إليه في القرآن، ولنتذكّر أنّ مشركي قريش اتهموا محمداً، من جملة ما اتهموه، أنه كان يأخذ العلم من أخبار اليهود ورهبان النصارى، ويقتري به عليهم، وأن الآيات تُعمل علىه من هؤلاء، للتشكيك في إلهيّة رسالته، وإظهاره بمظاهر مدعى النبوة . . . وكان دحض هذا الاتهام من أصعب ما واجهه محمداً في

مسيرة رسالته، وقد خصّص له الله ستة مواقع في خمس سور:

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا إِفْكٌ أَفْتَرَنَا وَأَعْنَمْ عَلَيْهِ قَوْمٌ أَخْرُونَ
فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا﴾⁽¹⁾

﴿بَلْ قَاتَلُوا أَضْيَقْتُ أَحْلَمْ بَلْ أَفْتَرَنَا بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَيَأْتِنَا بِتَائِبَةٍ كَمَا
أُرْسِلَ الْأَوْلَوْنَ﴾⁽²⁾

﴿أَمْ يَقُولُونَ أَفْتَرَنَا قُلْ قَاتَلُوا بِعَشِيرِ سُوْرَ مِثْلِهِ مُفْتَرِيَتْ وَأَدْعُوا مَنْ
أَسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَدِيقِينَ﴾⁽³⁾

﴿أَمْ يَقُولُونَ أَفْتَرَنَا قُلْ إِنْ أَفْتَرَتُمْ فَعَلَى إِجْرَاءِي وَإِنَّا بِرِئَءٍ مَمَّا
بَحْرِمُونَ﴾⁽⁴⁾

﴿أَمْ يَقُولُونَ أَفْتَرَنَا قُلْ قَاتَلُوا بِسُوْرَ مِثْلِهِ وَأَدْعُوا مَنْ أَسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ
إِنْ كُنْتُمْ صَدِيقِينَ﴾⁽⁵⁾

﴿أَمْ يَقُولُونَ أَفْتَرَنَا قُلْ إِنْ أَفْتَرَتُمْ فَلَا تَمْلِكُونَ لِي مِنَ اللَّهِ شَيْئًا﴾⁽⁶⁾

اليس هدف أبي هريرة إذن هو تعزيز هذا الاتهام لمحمد، ونبشه
بعد أن بات طي النسيان؟ أو لا يشمله تعبير: «الذين كفروا..» الوارد
في سورة الفرقان .؟ .

(1) سورة الفرقان، الآية: 4.

(2) سورة الأنبياء، الآية: 5.

(3) سورة هود، الآية: 13.

(4) سورة هود، الآية: 35.

(5) سورة يومن، الآية: 38.

(6) سورة الأحقاف، الآية: 8.

أيّة جريمة أكبر من هذه الجريمة؟ وأيّ افتئات على محمد أخطر من هذا؟ لا سيما إذا لاحظنا أنّه ما إن انتصف القرن الثالث للهجرة حتى استحالّت الإسرائيليات إلى أحاديث اعتُبرت صحيحة، منسوبة إلى رسول الله، عممتها صحاح البخاري ومسلم وغيرهما، واحتلقت لها الأسانيد اختلاقاً، لتصير حقيقة مسلمة عند المسلمين، ففرضت سلطانها على الإسلام، وغلبت على تفسير القرآن وتاريخ النبوّات^(١)...

وقد اشترك مع أبي هريرة في هذه الجنایة، آخرؤن منهم عبد الله بن عباس، و وهب ابن منبه الصنعاني، الذي روج له وسوق مفترياته كل من ابن قتيبة الدينوري في كتابه، «المعارف»، و«عيون الأخبار»، وابن جرير الطبرى الذي ندعوه «بالمأمم الطبرى»، الذي حفل تفسيره، ثم تاريخه، ب Yasra'iliyat و هب و منقولاته...

هل ما زلنا نقول (رضي الله عن أبي هريرة)؟... وهاهو قد تبدى لنا، رجلاً نكرة، يحوم الشك حول اسمه واسم أبيه، مدعياً لصحبة النبي ما أتيحت له بالصورة التي أوهمنا بها، معترفاً بكذبه على رسول الله في حديث الجنابة والصيام، مسفهاً من زوجات النبي وأصحابه، مثبتاً عليه سرقة أموال المسلمين في البحرين، مرّجاً لتفاهات تسيء إلى النبي، و مجرماً كافراً متآمراً مع اليهود ضد الإسلام... فماذا بعد؟.

دعونا نرى جانباً آخر، لنختم الصورة....

بدأ الخلاف بين علي ومعاوية، وكان على أبي هريرة أن يحسم

(١) يوسف حسني الأطير - البدايات الأولى للإسرائيليات في تفسير القرآن.

موقفه في أي الفريقين يكون، مع علي بن أبي طالب التقى الورع المتقدّف، الذي لا يسكن عن الحق وصيانة الدين، والذي يحاسب أتباعه على الدرهم، أم مع معاوية، سليل أرستقراطية آل أممية الطامحة في العودة للسيطرة على الدولة، والذي اعتمد الغاية تبريراً للوسيلة، والذي يعطي بلا حساب لمن يخدم مشروعه

لم يتأخر أبو هريرة في اتخاذ القرار الذي ينسجم مع أخلاقه وسيرته ومشروعه، عملاً بمقولته التي تلخص مفهومه الأخلاقي، إذ قال: «الصلة خلف علي أتم، وسماط معاوية أدسم»، وحيث أن دسم السماط كان دائماً أكثر أهمية من تمام الصلة لديه، فقد انضم إلى معاوية، وعاش في قصره، وكان معه في معركة صفين، في مواجهة علي، وهو الذي لم يُعرف عنه أنه كان مقاتلاً في سبيل الله، يقول الإمام أبو القاسم البعلبي: (كان أبو هريرة مع معاوية في صفين، وكان يقول: لأن أرمي فيهم بسهم - يعني جيش علي - أحب إلي من حمر النعم) . . .

وتحدد معاوية لأبي هريرة دورين يخدمان مشروعهما اللذين باتا يلتقيان بدرجة كبيرة . . .

الأول: أن يكون من بطانته المقربة التي سعى معاوية لشرائها، وأراد من خلال وجودها معه الإيحاء للناس أن نصف (صحابة) رسول الله يقفون معه على الحق، في مواجهة (باطل) علي بن أبي طالب، ولهذا كان معاوية يوفد أبي هريرة في المهمات الكبيرة، فأرسله مع أبي الدرداء إلى علي يدعوانه للشورى، فلم يقابلهمما علي، وإنما قابلاهما

عبد الرحمن بن غنم الأشعري، فكان مما قاله لهما: عجباً منكم، كيف جاز عليكم ما جئتم به؟ تدعوان علياً أن يجعلها شورى؟ وقد بايده المهاجرون والأنصار وأهل الحجاز والعراق، وإنَّ من رضيه خيرٌ ممن كرهه، ومن بايده خيرٌ ممن لم يبايده، وأي مدخل لمعاوية من الشورى، وهو من الطلقاء الذين لا تجوز لهم الخلافة، وهو أبوه من رؤوس الأحزاب⁽¹⁾.

وفي مهمة ثانية أرسل معاوية أبا هريرة والنعمان بن بشير الأنباري إلى علي يسألانه أن يدفع قتلة عثمان إلى معاوية ليقيدهم به لعلَّ الحرب أن تطفأ، وتكلم أبو هريرة فلم يرد علي عليه بشيء، وقال للنعمان: حدثني عنك يا نعمان، أنت أهدى قومك سبيلاً بين الأنصار؟ قال: لا، قال علي: كلُّ قومك اتبعني إلَّا شذاً منهم ثلاثة أو أربعة، أفتكون أنت من الشذا؟ قال النعمان: أصلحك الله، إنما جئت لأكون معك وألزمك، وقد كان معاوية سأله أن أؤدي هذا الكلام، ورجوت أن يكون لي موقف معك، أجتمع فيه معك، وقد أقام النعمان عند علي، أما أبو هريرة فعاد إلى معاوية بالخبر . . .

وكان أبو هريرة في حاشية معاوية حين قدم الكوفة بعد أن تنازل له الحسن بن علي عن الخلافة في العام 41 هجري، ولم يمرر المناسبة دون أن يكذب متجميناً على علي، ومتملقاً معاوية، فجاء المسجد، وجلس على ركبتيه، ثم ضرب صلعته وقال: يا أهل العراق أتزعجونني أكذب على رسول الله وأحرق نفسي بالنار، والله لقد سمعت رسول الله

(1) إبراهيم فوزي - تدوين السنة.

يقول: «إِنَّ لِكُلِّ نَبِيٍّ حِرْمَانًا، وَإِنَّ الْمَدِينَةَ حِرْمَانٌ، فَمَنْ أَحْدَثَ فِيهَا حَدِيثًا فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ»، وقال: أَشَهَدُ بِاللَّهِ أَنَّ عَلَيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ طَالِبٌ أَحْدَثَ فِيهَا... فَلِمَّا بَلَغَ مَعَاوِيَةَ مَقَاتِلَتَهُ أَجَازَهُ وَأَكْرَمَهُ وَوَلَاهُ إِمَارَةَ الْمَدِينَةِ⁽¹⁾.

يقول الشيخ محمد عبد الله إن معاوية وضع قوماً من الصحابة والتابعين على رواية أخبار قبيحة على علي بن أبي طالب، تقضي الطعن فيه والبراء منه، وجعل لهم على ذلك جعلاً، منهم أبو هريرة...

الثاني والأخطر: أن يتقول على لسان النبي من الأحاديث (الأموية لا النبوية) ما يخدم مشروع معاوية، مستثمراً سطوة معاوية، وجهل مسلمي الشام بسيرته وكذبه...

روى مسلم في صحيحه عن أبي هريرة، أنه قال: «قال رسول الله: مَنْ أَطَاعَنِي فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ عَصَى اللَّهَ، وَمَنْ أَطَاعَ الْأَمِيرَ فَقَدْ أَطَاعَنِي، وَمَنْ عَصَى الْأَمِيرَ فَقَدْ عَصَانِي». وهل كان معاوية ليحتاج أكبر من هذه الحجّة لإسكات الناس؟. بلـ، جاءه أبو هريرة بأكبر منها:

- حديث أن النبي قال: «الآمناء عند الله ثلاثة: أنا وジبريل ومعاوية»... معاوية في مقام الرسول وجبريل؟؟.

- حديث أن النبي أخذ القلم من يد علي فدفعه إلى معاوية... . إسقاط وقع لخدمة غرض مشين.

(1) المصدر السابق.

- حديث أن النبي ناول معاوية سهماً وقال: «خذ هذا السهم حتى تلقاني في الجنة» . . .

وببدو أن الكذب على النبي لم يكفي أبا هريرة، فتفتن في تملق معاوية، روى ابن عبد ربه عنه، أنه نظر إلى عائشة بنت طلحة، وكانت مشهورة بجمالها، فقال: سبحان الله، ما أحسن ما غذاك أهلك، والله ما رأيت وجهاً أحسن منك إلا وجه معاوية على منبر رسول الله . . .؟ . . .

على أن أكبر الجرائم التي اقترفها أبو هريرة، في خضم اندفاعته في أحدياته الأموية، خدمة للسلطان، كانت تلقيقه لحديث خطير، أسس لنظرية وصيغة جديدة للإسلام، لا كما أرادها الله ورسوله، ولكن كما أرادها بنو أمية، أولياء نعمته، وطبعت العالم الإسلامي منذ ذاك اليوم وحتى يرث الله الأرض، حين اختزل الإسلام ومنهجه وشموليته، وأساسه العقائدي، في أركان تلغى المنهج والعقيدة الشاملة لمصلحة الطقوس، وتحول المسلم من مشارك فاعل في عمارة الأرض وإدارة شؤونها وشؤونها، ومساهم شريك للحاكم في إقامة العدل والتكافل الاجتماعي، إلى فرد بائس يبحث عن خلاصه الشخصي، لا في الحياة الدنيا، وإنما في الآخرة . . .

هذا الحديث، الذي لا يتواافق مع كتاب الله، أورده البخاري في «صححه» تحت رقم 1397، حيث أدعى أبو هريرة، أن أعرابياً أتى النبي فقال: دُلني على عمل، إذا عملته دخلت الجنة، قال النبي: «تعبد الله لا تشرك به شيئاً، وتقيم الصلاة المكتوبة، وتوادي الزكاة

المفروضة، وتصوم رمضان»، قال: والذى نفسي بيده لا أزيد على هذا، فلما ولّى قال النبي: «من سرّه أن ينظر إلى رجل من أهل الجنة، فليتظر إلى هذا». . . .

هذا الحديث الذى جاء بصيغة جديدة مجتزأة للإسلام، أتاح لبني أمية فصل الإسلام عن شؤون الحكم، واعتماد أداء الشعائر بدليلاً عن بقية الإسلام، وتحويل المسلم إلى مواطن مسلوب الإرادة يبحث عن خلاصه الفردي في الآخرة، دون أي مسؤولية له عن حياته وعن شؤون الدولة التي تقرر مصيره ومصير عياله. . . .

وقد نجح أبو هريرة في تعويض الكل بالجزء، فقد أسقط الحديث - بسوء نية - كل الأركان والقواعد الأخرى للإسلام، الجماعية منها، كقاعدة العدل، عدل الحاكم في الرعية، وعدل الناس في بعضها، وقاعدة الرحمة في الاتجاهات كافة، وقاعدة الأمر بالمعروف، وقاعدة النهي عن المنكر، اللتين تمتحان المسلم سلطة التدخل في الشؤون العامة، وتصوير الأمور، وعدم الركون والاستسلام لطغيان الحاكم، وكقاعدة مسؤولية المسلم عمّا كسبت يداه، التي يعني إقصاؤها تحويل المسلم إلى مواطن مكتوف اليدين، وأسير يدفع ظلماً ثمن ما كسبته أيدي بني أمية، وكقاعدة الدفاع عن المستضعفين في الأرض في مواجهة الظلم، التي أدى إقصاؤها إلى تحويل المسلم إلى نفر في جيوش بني أمية، يقاتل المستضعفين في الأرض دفاعاً عن الفرعون الذي أدانه الله، وكقاعدة المجادلة بالحسنى مع كل إخواننا في أرض الله، وقاعدة الإيمان بكل الرسل والكتب السماوية، وقاعدة حفظ حق المرأة وحق الطفل وحق اليتيم، وقاعدة حرية العقيدة، وقاعدة أن لا

تنام وجارك جائع، وقاعدة أن لا تزني، ولا تقتل، ولا تأكل أموال الناس بالحرام، وقواعد الوصايا العشر لسيّدنا موسى، ووصايا السيد المسيح، وقاعدة العمل بكتاب الله، كلّه دون اختصار واحتزال،

إنّ هذا المسلم الذي صنعه أبو هريرة على هوى معاوية، قد صار عمره الآن أربعة عشر قرناً دون أن يبلغ سن الرشد^(١) ..

والغريب، أنّ أبيا هريرة، حين نسبَ هذا الحديث الكاذب إلى النبي، تناسى - كرمى لعيني معاوية - أنه سبق أن قال حديثاً مناقضاً، حين نسب إلى النبي قوله: «أتدرونَ مَنْ المفلس؟»، قالوا: المفلس فيما مَنْ لا درهم له ولا متعة، قال «إنَّ المفلس من أمتي يأتي يوم القيمة بصلوة وصيام وزكاة، ويأتي وقد شتم هذا، وقدف هذا، وأكل مال هذا، وسفك دم هذا، وضرب هذا، فيُعطى هذا من حسناته، وهذا من حسناته، فإن فنيت حسناته قبل أن يقضى ما عليه، أخذَ من خطاياهم فطرحت عليه، ثم طُرح في النار»... أيّ الحديثين نصدق؟ أم نقنع أنّ أبي هريرة كان مكنته لاختلاق الأحاديث الكاذبة، تبعاً للأهواء والمصالح.... .

وبعد..... هذا هو أبو هريرة... وهذه أخلاقه... وهذا غيض من فيض جرائمها وأكاذيبه... وما أكثر أمثاله في تراثنا... .

هذا هو المصدر الأول، والأهم، الذي تستند إليه كتب الحديث

(١) الصادق النيهوم - الإسلام في الأسر.

المسماة صاححاً وستناً، حتى بات أغلب المسلمين اليوم يجحدون بآيات الله ويفضّلون عليها آيات أبي هريرة⁽¹⁾، دون أن نغفل أن المصادر الأخرى المعتمدة لدى كل فرق الإسلام لم تكن أفضل حالاً وأكثر مصداقية، وما كان تعرّضنا لأبي هريرة هنا إلا دراسة لأحد النماذج الرئيسية، وأكثر الباقين ليسوا أفضل حالاً . . .

فهل نصر على تحريف شرع الله المحكم في كتابه، استناداً إلى أحاديث تفنّن الكذبة في نسبها إلى النبي؟
أليس من المنطق التزام ما لا شك فيه، (القرآن)، بدلاً من العمل بما يمتليء شكّاً وتحوم حوله الشبهات؟ . . .

نختم، بقول الصادق النيهوم⁽²⁾: إنَّ الحديث ليس مصدراً الدين بل مصدراً السياسة، إنَّه مجرد حلٌّ توفيقيٌّ ابتكره الإقطاع ليكون «القرآن» مضاداً، مهمته أن يبيح ما حرم الله من تبرير حكم الطاغية، بموجب أحدادٍ من مثل: «إِنَّ اللَّهَ يُؤْمِنُ هَذَا الَّذِينَ بِالرِّجْلِ الْفَاجِرِ»، إلى توطيد سلطة الرجل على المرأة بأحاديث مربوطة أخرى، مثل قوله: «لَوْكُنْتَ أَمْرًا أَحَدًا أَنْ يسْجُدْ لِأَحَدٍ، لَأَمْرَتَ الْمَرْأَةَ أَنْ تَسْجُدْ لِزَوْجِهَا»، أو قوله: «النِّسَاءُ حِبَائِلُ الشَّيْطَانِ»، والثابت أن علم الحديث - رغم جانبه الإيجابي في حفظ كنوز من الحكمة النبوية - قد فتح الباب أمام كل من هبَّ ودبَّ لكي يستغل اسم رسول الله ﷺ في خدمة أغراض شخصية - وأحياناً رخيصة - وغير أخلاقية، فبائع الخواتم مثلاً يروي

(1) نيازي عز الدين - من حقائق القرآن المسكوت عنها.

(2) الصادق النيهوم - الإسلام ضد الإسلام.

عنه أنه قال: «اتختتموا بالحقيقة فإنه ينفي الفقر»، وبائع التمر يروي عنه قوله: «من تصبح كل يوم بسبع تمرات عجوة، لم يضره في ذلك اليوم سُمٌّ ولا سحر»، أمّا الحلاق فإنه يختار أن يروي عنه قوله: «جز الشّعر يزيد في الجماع»..

الإضاءة الخامسة

جنائية كتبة الأحاديث

الصحابح ليس صحاحاً .

البخاري نموذجاً

- «ما ضلّ الأمم قبلكم إلاّ بما كتبوا من
الكتب مع كتاب الله» .

حدیث شریف

يقول الله تعالى: «أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَمْ»⁽¹⁾.

ويقول: «أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْكِتَابَ يُتَلَقَّى عَلَيْهِمْ»⁽²⁾.

ويقول: «مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ»⁽³⁾.

ويقول: «وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْكِتَابَ يُتَبَيَّنُ فِيهِ كُلُّ شَيْءٍ»⁽⁴⁾.

ويقول: «وَلَقَدْ جَنَّبْنَاهُمْ بِكِتَابٍ فَصَلَّنَاهُ عَلَى عَلَيْهِ»⁽⁵⁾.

ويقول: «وَهَذَا صِرَاطٌ رَّبِّكَ مُسْتَقِيمًا قَدْ فَصَّلَنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَدْكُرُونَ»⁽⁶⁾.

وعن أبي سعيد الخدري عن النبي، أنه قال: «لا تكتبوا عني غير القرآن، ومن كتب عني غير القرآن فليسمحه، وحدثوا عنني ولا حرج، ومن كذب علي متعمداً فليتبوا مقعده من النار»⁽⁷⁾.

وعنه أيضاً: استأذنت رسول الله أن أكتب حديثه، فأبى أن يأذن

لي ..

(1) سورة الزمر، الآية: 36.

(2) سورة العنكبوت، الآية: 51.

(3) سورة الأنعام، الآية: 38.

(4) سورة النحل، الآية: 89.

(5) سورة الأعراف، الآية: 52.

(6) سورة الأنعام، الآية: 126.

(7) صحيح مسلم.

وعن زيد بن ثابت: أن النبي نهاناً أن نكتب حديثه . . .

وقد ورد النهي عن كتابة السنة على لسان عدد من (الصحابية) منهم أبو هريرة، وزيد ابن ثابت، وعبد الله بن عباس، وعبد الله بن عمر وبن العاص، وعبد الله بن مسعود⁽¹⁾.

وفي صحة وأهمية حديث «الكذب على النبي»، يقول يحيى محمد⁽²⁾ «إن لهذا الحديث خصوصية لا يدانيه فيها حديث آخر قط من حيث الصحة والتواتر، إذ ليس هناك خبر كثُرت طرق روایته وتخرجه كهذا الحديث، حتى صورة العلماء والحفاظ بأنه فاق حد التواتر، ولم يكن هناك حديث قط بلغ المدى الذي باغه

كان هذا النهي قراراً استراتيجياً، من أهم القرارات التي اتخذها النبي لتحقیص الدين الذي جاء مبشرًا به، وهو استند في قراره هذا إلى سبین أساسین على درجة كبيرة من الأهمية:

الأول: أمر الله، وهو قد استوعب وفهم مدلولات الآيات التي أوحى له ربه فيها بمرجعية القرآن لوحده منفرداً، حين خاطبه في أكثر من موقع في آيات قاطعة الدلالة أن الله قد فضل الكتاب بعلمه الجليل، لم يفترط فيه من شيء، أورد فيه آيات تفصيلية تکفي العباد، وتبيّن لهم كل ما يحتاجون إليه بالقدر الذي يريده لهم . . . بما لا يحتاج معه إلى إضافة أو توسيع «إليه اللہ یکافی عبدو»⁽³⁾

(1) إبراهيم فوزي - تدوين السنة.

(2) يحيى محمد - مشكلة الحديث.

(3) سورة الزمر، الآية: 36.

وجزم أن حديثه أحسن الحديث وأصدقه ﴿وَمَنْ أَصَدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثَه﴾⁽¹⁾، ثم قطع ﴿فَيَأْتِي حَدِيثُمْ بَعْدُ فَيُؤْمِنُونَ﴾⁽²⁾ ..

أكثر من ذلك، حذره الله أن حوله منافقين يزيفون أقوالاً عليه لم يقلها، ويفترون أحاديث ما جاء بها «ويقولون طاعة، فإذا برزوا من عندك بيّنت طائفةٌ منهم غير الذي تقول، والله يكتب ما يبيتون...»، وأمره بالإعراض عنهم وتفاديهم .. «فأعرض عنهم وتوكل على الله»⁽³⁾ ..

وما كان النبي إلّا طائعاً منقاداً لأمر ربه ..

الثاني: عبقرية فذة في قراءة واقع ومال الكتابين السابقين للقرآن، التوراة والإنجيل، مستندة إلى إشارات واضحة الدلالة ركز عليها الوحي الإلهي، فوردت في العديد من الآيات.

فالإله أعلن بوضوح أن الكتابين هما كتابان سماهيان أنزلهما على رسولييه موسى وعيسى، بذات الوضوح الذي أعلن فيه أن هذين الكتابين قد جرى تحريفهما والتلاعب بنصوصهما من قبل الأتباع، فلم تقتصر التوراة على الوصايا العشر والوحي الإلهي لموسى عليه السلام، بقدر ما حولها الأتباع إلى كتاب للتاريخ والسير والواقع والأحكام المدنية التفصيلية التي تعد على العباد أنفاسهم وترسم تحركاتهم وسلوكياتهم في أضيق الدوائر، في حين لم تقتصر الأنجليل على نصوص الوحي

(1) سورة النساء، الآية: 87.

(2) سورة المرسلات، الآية: 50.

(3) سورة النساء، الآية: 81.

الإلهي المتنزل على عيسى عليه السلام، وتحولت إلى كتب للسيرة تورد قصة المسيح وأفعاله ومعجزاته، أكثر مما ترتكز على آيات إلهية نقلها عليه السلام، وهي لم تفصل بين ما هو موحى له، وما هو من اجتهاده الخاص، في خلط متعمد لدور الإله والرسول.

من وجهة نظر القرآن، فقد كان تدخل الأتباع هو السبب الأساس في تشويه الأصل، واختفاء النص الإلهي خلف السيرة البشرية.

وهذا بالذات هو ما أراد محمد أن يجنبه رسالته، وهو قد وفق في الشكل، لكنه خسر رهانه في المضمون، كما سنرى . . .

وعلى امتداد قرن، التزم المسلمون بهذا النهي، وتشددوا في منع كتابة الأحاديث، إلى درجة التحريم الرسمي، مكتفين بتدوين النص الإلهي، وإن لم يتوقف الرواة الكاذبون عن قولها شفاهًا . . .

. . . ولم يصرّح بتدوين السنة حتى زمن الخليفة عمر بن عبد العزيز (99هـ - 101هـ)، والغريب أن المبرّ الذي سيق لتبرير مخالفته أوامر النبي بعدم التدوين، هو كثرة تداول الأحاديث الكاذبة المنسوبة إليه التي عمّت وانتشرت وطغت على الصحيح منها، دون أن يلتفت المصرّحون إلى أن هذا التصرّح سيفتح الباب لتدوين الصالح والطالح، وتشييه في كتب تداولها الأجيال القادمة، فتضليل الأمة كما حذر النبي . . .

وتسبّق المغرضون إلى نسب أحاديث إلى النبي تنسخ أحاديث المنع السابقة، لتبيّح التدوين وتصرّح به، بل وتشجّع عليه، فالفرصة باتت سانحة ولا بدّ من التقاطها واستثمارها . . .

وكان البخاري من أوائل من التقاطوا الفرصة، وتبعه الآخرون،
وسماها كتبهم صحاحاً وسنناً . . .

وعلى امتداد الألف ومائتي سنة اللاحقة، ظلَّ يردد الكثير من المسلمين، عن جهل وتلقائية غير مبررة، واجترار أعمى لما في كتب السلف، أن «صحيح البخاري» هو أصدق كتاب بعد القرآن الكريم، يليه بالقطع باقي الصحاح والسنن لرواية الأحاديث الآخرين، مثل: مسلم، وأبي داود، والترمذى، والنمسائى، وابن ماجة.

(الدكتور محمد أبو شهبة، أستاذ علوم القرآن والحديث بجامعة الأزهر وأم القرى، يذهب أبعد من ذلك، فينعت صحيح البخاري، ومعه صحيح مسلم، بأنهما «أصح الكتب البشرية على الإطلاق») . . . أي افتئات وتجنٌ على البشرية وعلومها هنا؟؟؟ . . . وكيف يتأنسذ هؤلاء الجهلة على أجيالنا؟ . . .

نقول: عن جهل، وهذه ليست سبباً، لأن قراءة واعية لهذه الكتب تؤكّد أن أكثرهم لم يقرأها قارءاً عاقلاً، يُعمل فكره الذي كرمه الله به في ما ضمّنته في صفحاتها، لأنّه أغلق عقله، تأسياً بالسلف وعملاً بأوامرهم، ألم يقل لهم ابن القيم «أحاديث العقل كلّها كذب»، كما قال لهم السمعاني «إنّ الطريق هو اتباع السلف والاقتداء بهم دون الرجوع إلى الآراء، أي العقل» وهذه مصيبة ودعوة إلى نبذ الكتاب الإلهي والالتزام بحكم الأموات، بالرغم من أنّ القرآن لم يخاطب إلا العقول، ولم يطلب الإيمان إلاّ بعد تفكّر وتدبر في آيات الله في الكون والأنفس.

هل نتجنّى هنا على تراث أربعة عشر قرناً؟ وهل نتهم بالجهل بضعة مليارات من المسلمين توارثوا هذه الكتب منذ القرن الهجري الثاني حتى اليوم، مضفين عليها قداسة موهومة؟ حاشا أن يكون هذا هو القصد

نحن هنا، نريد أن نكون من أتباعٍ من يدعون أن باب الاجتهد لا يزال مفتوحاً، دون أن تتبعهم في تكفيرٍ من يجتهد

وإذا كان السابقون قد اجتهدوا، فمن حقِّ اللاحقين أن يجتهدوا بدورهم، لا سيما وقد توسيع المعرف والمدارك، واجتهدوا في يأتي من باب حيوية الدين وصلاحيته لكل زمان ومكان، وقابلية مفاهيمه لمسايرة كل العصور والثقافات.. أليس هذا ما نجتَّه صباح مساء؟ . . .

ثم، إذا كانوا قد سمو كتبهم صحاحاً، فهل نحن ملزمون بتصديق صحتها كما وردت والإقرار بها كمصدر أساسى للشرع الإسلامي، والعمل بما أوردته مخالفًا للنص الإلهي المحكم؟.

من هذه الزاوية، نورد سؤالاً تراه مشروعًا يعكس حرص كل مسلم على صورة دينه العظيم، بعد أن بات ملحوظاً الإقبال الواسع لدى شعوب العالم غير المسلمة على التعرّف على هذا الدين، فبات القرآن مترجمًا إلى معظم لغات العالم، ومثله بعض كتب التراث الإسلامي الأخرى، وربما في مقدمتها كتب الحديث النبوي، كما بات دين الإسلام يُدرَّس في معظم مدارس العالم وجامعته. والسؤال: ما الذي يخرج به قارئٌ محайдٌ، منفتح العقل، راغب في المعرفة الصحيحة،

عن الصورة التي رسمها أصحاب الصدح عن الإسلام، وبالخصوص
عن نبئه محمد؟ . . .

وأخطر من ذلك، ما الذي سيخرج به قارئ منحاز، حاقد على
الإسلام، راغب في البحث في ثوابا التراث الإسلامي عمّا يشوه هذا
الدين، حيث يُعجزه القرآن، فيلقى ضالته في كتب الحديث؟ . . .

قبل هؤلاء، أليس من حق المسلم تنظيف تراثه، وإسقاط القداسة
الكافرة عن غير المقدس، والدفاع عن نبئه الكريم؟ . . .

ألم تثير بضعة رسوم اعتبرت مسيئة إلى النبي، نشرت في صحيفة
مغمورة، بلغة ليست من اللغات الحية، نقصد الدانمركية، ضجةً تردد
صادها في أصقاع العالم، فساهمت في تشويه للاطلاع عليها، بعد أن
كانت مغمورة ومحصرة؟ . . .

لَمْ نسارع إلى الدفاع عن نبئنا الكريم حين يبادر دانمركي مغمور
لرسم بعض صور عنده، وهو حق لنا، في حين نرفع إلى مرتبة التقديس
من رسم صورة مشوهة لهذا الرسول، كالبخاري وصحبه؟ . . .

البينة على من ادعى . . . وادعاؤنا أن البخاري ومسلم والنستاني
والترمذمي وأبا داود وابن ماجه، ومن نقل عنهم، رسموا للنبي الكريم
صورة النبي المشوش الذهن والتفكير، فنسبوا إليه أقوالاً متناقضة،
وروايات لا تصح أن تصدر عن النبي، ومقالات تحالف الكتاب الذي
حمل أمانة تبليغه للناس، وتناقض أحكام الشريعة الإلهية، وموافق لم
يكن فيها أميناً على الرسالة، ناهيك عن صورة الرجل الشبق جنسياً،
والرجل الذي تعافه النساء . . . حاشا نبئي الله عمّا يكذبون، كما ثبتوا

الإسرائييليات في ما سموه صاحبهم ليتلعها المسلمين السذج . . .

ونصر على القول إن ما جاءوا به في صاحبهم هو إساءة كبيرة إلى الدين القويم، ولا يختلف كثيراً عن التحريف الذي نتهم اليهود والنصارى بمارسته على كتبهم، دون أن ننسى تدوينهم لأحاديث كاذبة تشكيك في القرآن من حيث سقوط آيات منه واحتزاز سور فيه، وكذلك تبييتهم لأحاديث إسرائيليات في صاحبهم، مشاركين في جريمة تشويه الإسلام . . .

ألا يؤكد لنا علماء الحديث أنفسهم أن الغالبية العظمى من الأحاديث المنسوبة إلى النبي هي أحاديث آحاد، تفيد الظن ولا تفيد اليقين . . . فهل نصر على اتباع الظن، وقد نهانا الله عنه؟ . . .

﴿وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظنًا إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا﴾⁽¹⁾.

﴿إِنَّ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوِي الْأَنفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ بِنَّ رَبِيعٍ الْمَدْعَى﴾⁽²⁾.

﴿إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا﴾⁽³⁾.

﴿إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّهُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾⁽⁴⁾.

وأية حاجة لأحاديث البشر الظنية المشكوك فيها، في مواجهة حديث الله:

(1) سورة يومن، الآية: 36.

(2) سورة النجم، الآية: 23.

(3) سورة النجم، الآية: 28.

(4) سورة الأنعام، الآية: 116.

﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا﴾⁽¹⁾.

﴿فَإِنَّىٰ حَدِيثٌ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ﴾⁽²⁾.

﴿تِلْكَءَايَاتُ اللَّهِ تَتَلَوَّهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ فَإِنَّىٰ حَدِيثٌ بَعْدَ اللَّهِ وَأَيْتَهُمْ بِيُؤْمِنُونَ﴾⁽³⁾.

إنَّ اعتماد موثوقية كتب الحديث بالمطلق، واعتبارها أساساً ورثنا للشرع، هو تحريف صريح لكتاب الله، وحيث لم يتمكن أحد من تحريف نصوص الكتاب، فقد تم اللجوء إلى تشويه أحكامه بما يناسب إلى النبي، وهذه جريمة ما بعدها جريمة.

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا سَمَعُوا لِهَذَا الْقُرْءَانَ وَأَلْفَوْا فِيهِ لَعْنَكُمْ تَغْبُلُونَ﴾⁽⁴⁾.

فإذا كان هذا هو الادعاء، فأين البينة؟..

لابد من إيرادها، قبل أن يسارع ذو عقل متحجر إلى اتهامنا بالإساءة إلى ركن يعدّه أهم أركان الموروث الإسلامي، وإلى أننا ننحو منحى المستشرقين، وهذه تهمة جاهلة باطلة باتت متداولة في غياب حوار موضوعي عقلاني متزن..

البينة فيما سنستعرضه من أحاديث وردت في هذه الصاحب، ونحاول معاً تلمّس الصورة التي حاول هؤلاء نقلها إلينا عن قائلها، ومنهجه... .

(1) سورة النساء، الآية: 87.

(2) سورة المرسلات، الآية: 50.

(3) سورة الجاثية، الآية: 6.

(4) سورة فصلت، الآية: 26.

قبل ذلك، لا بد من توضيح بعض نقاط:

- النقطة الأولى: أن الجريمة الكبرى بدأت في وضع منهج التأكيد من سلامة الحديث وصحته، نقصد بذلك منهج الجرح والتعديل، أي إقصاء صحة متن النص ومدى توافقه، أو عدم توافقه مع القرآن، لمصلحة البحث في موثوقية السند، أي الرواية، بعد أن حُسِّمَ اعتبار كل صحابة النبي صالحين، أتقياء، ثقاتاً، صادقي القصد والنية، حريصين على الدين... وهي المغالطة التي أسست لإطلاق مشروع التحرير، وقد لمسنا بطلانها الذي ينقض المبدأ الأكثر إغراماً في الجهل، وهو مبدأ التواتر، أي ما اعتبره السلف بحكم الصحيح لتواتر نقله عن السابقين، دون أن يوضحوا لنا إشكالية أن يكون أول الناقلين كاذباً، كأبي هريرة وغيره... فهل يجعل التواتر من الأكاذيب مسلمات؟...

يقول يحيى بن معين: ما رأيت الصالحين يكذبون في شيء أكذب منهوم في الحديث...

أما كيف يكون الصالح كاذباً، أو الكاذب صالحًا، فهذا ما لم يكلف أحدٌ من الفقهاء نفسه عناء تفسيره لنا... ألم يتكتروا على جهلنا، وكفى؟...

- النقطة الثانية: إذا كان التأسيس لمنهج الجرح والتعديل سيئ الذكر لم يتم بسلامة نية، فإن العمل به اتصف هو الآخر بسوء نية وأهداف وغايات، تستغرب غيابها وفواتها على معظم فقهائنا طوال قرون.

وأبلغ دليل على ما نسوق هنا، هو اختلاف الأحاديث بين كتب

الصحاح والسنن، مما يظهر أن منهج الجرح والتعديل استُخدم انتقائياً من قبل كل منهم، تبعاً لميوله وغاياته وأهدافه... .

يقول الحكم النيسابوري في «المستدرك»: «العدد من أخرج لهم البخاري ولم يُخرج لهم مسلم بلغ 434 شيخاً، وعدد من أخرج لهم مسلم ولم يُخرج لهم البخاري بلغ 625 شيخاً... . أي إن هناك 1059 راوياً للحديث ضمتهما كلّ من البخاري ومسلم منفردین.. .

واللافت أن نقرأ، أن الحكم النيسابوري تبني شروط البخاري ومسلم في الرواة، لكنه وجد أنهما أهملاً الكثير من الأحاديث التي توافرت فيها شروطهما، فأوردتها وسمى كتابه «المستدرك»، أي الحاوي على ما فات على الشيفين وفق شروطهما بالذات... .^(١)

وقد روى البخاري أحاديث عن عكرمة مولى ابن عباس، الذي كذبه الكثيرون، قال سعيد بن المسيب لمولاه برو: لا تكذب عليّ كما كذب عكرمة على مولاه ابن عباس.. ، كما روى عن إسماعيل بن عبد الله الذي جرّحه النسائي، وقال عنه يحيى بن معين إله كذاب.. ، وعن زياد بن عبد الله العامري الذي قال فيه الترمذى إنه كان يكذب في الحديث، وعن الحسن بن مدرك السدوسي الطحان، الذي رماه أبو داود بالكذب، وعن أحمد بن صالح المصري الذي قال عنه النسائي إنه ليس بثقة، ورماه يحيى بن معين بالكذب، ولم يرو البخاري عن ابن جريج عالم مكة، واعتبره من الضعفاء، بينما روى له مسلم وغيره من

(١) د. بكر شيخ أمين، أدب الحديث النبوى.

أصحاب السنن . . كما لم يرو البخاري ولا مسلم عن الإمام الشافعى ، لأنَّه بزعمهما كان ضعيفاً في الرواية ، وإنَّ مذهبـه في مراـسـيل الصـحـابـة ليس حجـة ، ولـم يـرـوـ البـخـارـيـ عنـ الإـيـامـ أـبـيـ حـنـيفـةـ ، إـذـ اـعـتـبـرـهـ منـ الضـعـفـاءـ المـتـرـوـكـينـ (؟) . . .

المثال الأوضح حول انتقائية الكتبة للرواية تبعاً لموافقتهم ، هو اختلاف البخاري ومسلم في صحة الرواية عمن تشيعوا لعلي بن أبي طالب ، فالبخاري يعتبر كل من تشيع لعلي هو صاحب هوى غير موثوق ، ولا تجوز الرواية عنه حتى ولو كان من الصحابة ، وقد ذكر في صحيحه عن ابن سيرين أنَّه قال : «إنَّ عامة ما يروى عن علي بن أبي طالب هو الكذب» ، في حين لم يعتبر مسلم التشيع لعلي سبباً في تضليل الرواوى . . . وكذلك اختلافهما في الرواية عن الخوارج الذين لم يجوز مسلم الرواية عنهم في حين روى لهم البخاري . . .

وروى البخاري لمعاوية بن أبي سفيان ، خصم علي ، وخصص له باباً في صحيحه سمـاهـ «بابـ ذـكـرـ مـعـاوـيـةـ تـلـيقـهـ» ، في حين أن المؤرخين قالوا عنه إنَّهـ منـ المؤـلـفـةـ قـلـوبـهـمـ ، وـهـمـ الـذـينـ آـمـنـواـ بـلـسـانـهـمـ وـلـمـ يـؤـمـنـواـ بـقـلـوبـهـمـ (١)ـ .

يقول الطبرى إنَّ النبـيـ ، في غزوـةـ حـنـينـ ، قـسـمـ الـفـيـءـ مـنـ الغـنـمـ وـالـإـبـلـ ، فـأـعـطـىـ المؤـلـفـةـ قـلـوبـهـمـ ، مـنـهـمـ أـبـوـ سـفـيـانـ اـبـنـ حـرـبـ أـعـطـاهـ مـائـةـ بـعـيرـ ، وـابـنـهـ مـعـاوـيـةـ أـعـطـاهـ مـائـةـ بـعـيرـ . . .

(1) إبراهيم فوزي - تدوين ستة.

وقد أطلق الطبرى على هذا العطاء تعبير (الرسوة) : «إنما كانت المؤلفة قلوبهم على عهد النبي ، فلما ولى أبو بكر انقطعت الرسوة» وهي رسوة أباحها الله لنبيه لشراء مؤيدين للإسلام من زعماء قريش وبعض القبائل القوية في الحجاز ، الذين لم يدخلوا الإسلام عن قناعة ، وإنما تقرب لهم النبي بالأموال .

وقد اعترف النبي بذلك حين خطب بالأنصار الذين ساءهم عدم تخصيصهم بأي من غنائم حنين التي ذهب معظمها لсадة قريش والقبائل ، فقال : (أوجدتكم يا معاشر الأنصار في أنفسكم في لعنة من الدنيا تألفت بها قوماً ليسلموا ، ووكلتم إلى إسلامكم !؟) .

- النقطة الثالثة : تستمد مرجعيتها من نظرية المؤامرة ، وهي نظرية نجد من الغباوة إنكارها دائمًا ، بعد أن أقنعنا الغرب أننا من ضحاياها ، ليسهل عليه استغاباؤنا ..

أكثر كتب أحاديث النبي اعتباراً هو كتاب البخاري ، أي أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن المغيرة ابن بردزيه ، الجعفري ولاه ، البخاري محدثاً ، كما جاء في ترجمته ، وهو المولود ببخارى عام 194 هجري ، والذي قال عنه القسطلاني في مقدمته : أما تأكيله فسارط مسير الشمس ، ودارت في الدنيا ، فما جحد فضلها إلا الذي يتخطي الشيطان من المس (؟) ، ومن أهم كتبه وأعظمها قائمة هو «الجامع الصحيح» المعروف بـ صحيح البخاري ، فهو يعتبر أجل كتب الإسلام وأفضلها بعد كتاب الله تعالى .. هكذا ..

ابن بردزيه هذا هو من وضع للمسلمين أَجْلَ كتبهم وأفضلها، لا يفضله إِلَّا كتاب الله...؟ ويا للمقارنة....

بعد وفاة النبي، انتظر المسلمون مائتي عام.. قبل أن ينعم عليهم الله بابن بردزيه ليفصل لهم صحيح المنسوب من أحاديث لنبيهم من كاذبها... ولابد أن نلاحظ أن معظم كتبة الأحاديث المعتمدين (باستثناء مالك بن أنس) كانوا من خارج حدود المنطقة العربية، من خراسان وجوارها حسراً، البخاري من بخارى، مسلم من قشير، أبو داود من سجستان، الترمذى من ترمذ، النسائي من خراسان، ابن ماجه من قزوين، الحاكم والاسفرايني وابن حمدان وأبو بكر الاسماعيلي وأبو عوانة من نيسابور، أبو نعيم الأصبهاني وابن منجويه من أصفهان، ابن حبان من خراسان، أحمد بن حنبل من مرو، الحافظ الذهبي من تركمانستان، البرقاني من خوارزم، والغزالى من طوس...، أي كلهم من الموالي وأهل الذمة الذين جاءوا بخلفيات شعوبهم، فانتقموا من الإسلام وكتابه الذي يبرر للعرب حكمهم.

ولابد من ملاحظة أن المناخ الذي عمل في ظله البخاري، كان مناخ الدولة السامانية التي قامت في بعض ولايات ما وراء النهر واتخذت من بخارى عاصمة لها، خارجة على الخلافة العباسية العربية..

أليست ملاحظة جديرة بالانتباه، في ظل أهمية الموضوع؟

ولماذا زاد هؤلاء على ما أورده مالك بن أنس في «الموطأ»، (ولا نبرئ مالكاً هنا)، ومالك أقربهم لزمن النبي، إذ ولد سنة ثلاثة وتسعين

للهجرة، أي قبل ولادة البخاري بمائة عام؟! (ذكر أبو بكر الأمهرى أن جملة ما في موطاً مالك من الآثار عن النبي وعن الصحابة والتابعين ألف وسبعمائة وعشرون حديثاً، المستند منها ستمائة حديث، والم Merrill مائتان واثنان وعشرون حديثاً، والموقف ستمائة وثلاثة عشر حديثاً) . . .

صحيح أن هؤلاء لم يختلقوا من عندياتهم، لكنه صحيح أيضاً أنهم هم من وثق الأخلاق والأكاذيب، وهم من غش المسلمين الجهلة أن ما وثقوه هو الصحيح من أحاديث النبي، وما هي كذلك . . .

ولابد من التأكيد، أنتا لستنا، هنا، بقصد إنكار دور المسلمين من غير العرب، في تشكيل الثقافة الإسلامية، وبالتالي في ما عُرف بالحضارة الإسلامية، فلهؤلاء أدوارهم البارزة، وكان الإسلام هو الوعاء الجامع لثقافات الآخرين، أو هو النهر الذي صبّت فيه كلُّ جداول حضارات الآخرين، لتنتبح حضارة هائلة^(١)، ولكننا نقبل هذا الأمر في كلِّ أشكال العلوم والمعارف الدينوية، ونرفضه في ما يتعلق بهم واستيعاب وتغيير الأسس والمرتكزات القرآنية، وأبعاد الدور المحوري للنبي، المنسجم مع الرسالة، في نقاط لم تشوهه خلفيات خارجية طارئة . . .

ولعل أكثر ما يثير الاستغراب، ويوجي بمدلول خطير، هو ما يتناقله أتباع نظرية الاجترار الجاهل، وما أورده الكثير من المراجع والكتب، دون أن يثير لدى هؤلاء تساؤلاً بسيطاً حول مصداقية الرجل،

(١) فرهاد دفتری - المناهج والأعراف العقلانية في الإسلام.

الذى نقرأ أنه صنف كتابه من ستمائة ألف حديث، وكان يحفظ مائة ألف حديث صحيح بأسانيدها، ومائتي ألف حديث غير صحيح ..

ألا تثير الأرقام هنا الكثير من الشك؟ أم أن الجهل يعمي البصائر؟
كيف لرجل أن يحفظ ثلاثة مائة ألف حديث مع أسانيدها؟ ولماذا
نفترض السلف خوارق لطبيعة البشر؟ ..

هل جرب أحدُنا حفظ عُشر هذا الرقم؟

ثم، متى تستنى للنبي أن يقول هذا الكم الهائل من الأحاديث؟ وهو لم يتح له الحديث بشكل واسع إلا بعد هجرته إلى المدينة، أي على امتداد حوالي العشرين سنة، أي حوالي 3600 يوم، أي 87000 ساعة، نام ثلثها، وجهز السرايا وقاتل ريعها، وأكل وشرب ولقي نساءه عُشرها، وصلى بالمسلمين عُشرها، وقضى وحكم وأدار مجتمع المدينة عُشرها، وبقي له العشر من الوقت فقط ليفعل كل شيء آخر ويقول فيها حديثاً، أي 8700 ساعة في أكثر التقديرات مبالغة، وهو لم يكن يلقي الحديث تباعاً، أي يجلس فيلقي حديثاً إثر الآخر، وإنما كان الأمر يستلزم حدثاً يتطلب تدخله، أو سؤالاً يوجه إليه، فلو افترضنا أن كل حديث تتطلب نصف الساعة لوقوع الحديث وتعليق النبي عليه، لما تجاوز ما تحدث به السبعة عشر ألف حديث، ولو ضاعفنا الرقم لوصلنا إلى أربعة وثلاثين ألف حديث، وهو رقم يتجاوز الم نطاق المعقول، فمن أين حفظ البخاري مائة ألف حديث صحيح تتطلب حوالي 80 سنة من حياة النبي وفق سيرته التي أشرنا إليها؟ أي أربعة أضعاف الفترة منذ بداية الرسالة حتى لقي وجهه ربه الكريم ..

ولعل مجرد وجود ستمائة ألف حديث، منها أكثر من خمسمائة ألف حديث كاذب، حسب البخاري نفسه، هو مدعوة للشك، تدعوه إلى الرفض والاستنكار.. ثمَّ من قال إنَّ البخاري أجاد فرز الصحيح بين هذا الكم الهائل من الأكاذيب؟... وستثبت هنا أنَّه لم يفعل، ولا فعل الآخرون..

ولابدَ أن نشير أنَّ حمَى الاستخفاف بالأرقام الكبيرة، استغفالاً لعقول الناس، قد طالت فقهاء السنة والشيعة على السواء، فذهب فيها الفريقان إلى أبعد المحدود، في إسفاف لا يقبله عقل...

كما لابدَ من ملاحظة دلالة غريبة، تثير العجب، إذ نقرأ أنَّ (علماء الحديث) وضعوا ألقاباً لكلِّ من عمل بالحديث حسب نوع عمله، ودرجة إتقانه، وعلو رتبته، أشهرها:

1 - المبتدئ، 2 - المحدث، 3 - الحافظ (وهو الذي أحاط بما لا يقل عن مائة ألف حديث متناً وسندأ؟)، 4 - الحجة 5 - الحاكم... . . . والأخيران لا بدَ أن يحيطوا بأضعاف ما يحفظ الحافظ ليتقدماه...

- النقطة الرابعة: هي إجماع فقهاء السلف على اعتبار السنة مصدرأً ثانياً للتشريع، آية سنة؟، ليست السنة المؤكدة عن النبي، لكنها السنة التي برع الموالى في تجميعها عن السنة الكذبة، ووثقوها في كتبهم، وإن تباينت توثيقاتهم، والخطير في الأمر أنَّ هذه السنة لا تعامل كمصدر ثانٍ للتشريع، ولكن كمصدر أول وأساسي لدرجة أنها تنسخ بعض آيات القرآن..

لو سأّلت مسلماً عن أمير، لندر أن يجيبك عما في القرآن، ولسارع إلى إطلاق فتواه كحقيقة مقررة، فإن سأّلت عن المستند، أجابك ببعض كلمات متعرّثة، سماها حديثاً ونسبها إلى الرسول، ولا تأيد كلامه بأنه متواتر، أو في الصحاح، فإن جئته بحديث مخالف لما يريد، دون أن الصالح ذاتها، حاجتك بأنه ضعيف، أو هو حديث آحاد، دون أن تعرف أن الحديث الذي جاء به لم يكن كذلك، فإن ذكرت ما يخالفه من (آيات) في القرآن، تهرب من عجزه بأنّها منسوخة، لتفقا كلاً كما أمّام حافظ مسدود، فكلام الله منسوخ، وكلام أبي هريرة وغيره مؤكّد بالتواتر... وهذا هو حال كل النقاشهات التي ترتبط بالدين، لذا يكثر الاختلاف، ويطال كل جزئية، ومن النادر أن يتافق اثنان على أمر شرعي اتفاقاً مؤكداً، والعلة واضحة، إقصاء كلام الله المحكم غير المشكوك فيه، لمصلحة كلام تافه جاء به رجل كاذب، وموثق مغرض، ونسبة إلى رسول الله... .

﴿وَقَالَ الرَّسُولُ يَرَى إِنَّ قَوْمِي أَتَخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا﴾⁽¹⁾.

وعلى وفراة المؤسسات والمراكز الإسلامية، بسمياتها الرنانة، نجد التسابق قائماً بين الجميع على اجترار الأحاديث الكاذبة، والخروج بفتاوي مخجلة، تحرج الأتباع أمام الأغراب، دون أن نجد هؤلاء تداعوا لمرة واحدة، للقيام بدورهم في إعادة النظر في كتب الموروث الرائجة، لتنقيحها مما شابها من تعارض مع القرآن، ومن

(1) سورة الفرقان، الآية: 30.

أحاديث لا تفيد المسلم في دينه، ومن تناقضات لا تليق بالنبي الأعظم
محمد بن عبد الله . . .

كيف للعلماء والفقهاء المسلمين أن يتوارثوا ترك هذه الأمة تضييع في
خضم هذه الترeras؟ ومتى يحسون أن واجبهم تجاه ربهم ونبيهم يحتم
عليهم تنظيف الموروث المشوه، عسى أن تلقى الأجيال القادمة خيراً مما
لقينا؟ وهو مما نشك فيه، فها تحن نخرج بفتاوى لم يأت بها السابقون،
على امتداد أربعة عشر قرناً، فنفتني (من الأزهر) بوجوب إرضاع المرأة
لزملائها في العمل، لتسهيل الاختلاط، وقس على ذلك . . .

وبعد، دعونا نستعرض أمثلة على ما اتهمنا به هؤلاء الكتبة من
الموالى، بالإساءة إلى الرسول الكريم، بأحاديث موضوعة كاذبة، وإذا
لا يتسع المجال لإعادة النظر في كل الأحاديث، وهذا ليس هدفنا
هنا، فلنكتفي بالأحاديث الواردة في الصفحات الأولى من مختصر
«صحيح البخاري»، وما يقابلها في باقى «الصحاح والسنن»، وبعض
النماذج الأخرى ذات الدلالة، ومن شاء الاستزادة فليعكف على
القراءة الوعائية ليرى العجب . . .

وحيث لابد لاستعراض هذه النماذج من اتباع منهج محمد، تلافياً
لأن نتهم بالشطط، فإننا لن نتبع هنا منهجاً من ابتكرانا، لكننا سنعتمد
المنهج ذاته الذي وضعه علماء الحديث ذاتهم، فنحتاجهم بمنهاجهم . . .
يلخص لنا د. بكري شيخ أمين⁽¹⁾ ما سماه (دلائل وضع
الحديث)، فيقول:

(1) بكري شيخ أمين - أدب الحديث النبوى.

(أما دلائل كون الحديث موضوعاً فكثيرة، منها ما يعود إلى المتن، ومنها ما يعود إلى السنن، وقد وضع الجهابذة المحدثون (?) قواعد دقيقة، ومنهجاً علمياً كاملاً، وموازين في غاية الحساسية، بها يميزون الحديث الصحيح من الحديث المصنوع الموضوع . وأشهر هذه القواعد هي:

القاعدة الأولى: أن يعترف الواضع نفسه باختلاقه الحديث ، كما فعل عصمة بن نوح إذ أقر بوضعه على ابن عباس أحاديث في فضائل القرآن سورة سورة، وكما روى البخاري عن عمر بن صبيح قوله: أنا وضعت خطبة النبي .

(تهرب الكاتب هنا من إيراد مثال أبي هريرة الذي اعترف بكذبه في حديث جنابة الصائم الذي أوردهنا في الإضاءة الثالثة، وهذا ديدن معروف عن هؤلاء النقلة) .

(تزخر مساجدنا وتكتابانا وحسينياتنا وأسواقنا بملاءين الكتبيات التي تورد أحاديث تتحدث عن فضائل تلاوة بعض السور، هي ذات الأحاديث التي اعترف عصمة بن نوح بوضعها كذباً على لسان النبي، من مثل أن قراءة سورة الفاتحة شفاء من كل داء، وقراءة البقرة تطرد الشيطان ثلاثة أيام، وقراءة سورة الكهف تجلب السكينة وتعصم من فتنة الدجال، والإخلاص لغفران الخطايا خمسين عاماً، وسورة يس لغفران الذنوب وقضاء الحاجات، والحواميم لدخول رياض الجنة، وسورة الملك هي المانعة المنجية من عذاب القبر، وثلاث آيات من أواخر سورة الحشر تجعل قراءتها من يموت في يومه شهيداً . . . ، ٩٩ . . .

وقد على ذلك، كما لو كانت كلمات الله مطايياً لتحقيق أغراض
ومصالح شخصية، لا للتبصر بها...).

القاعدة الثانية: أن يعرض كلام الراوي على محك التاريخ، كأن
يتبيّن من مقارنة تاريخ ولادة الراوي بتاريخ ولادة الشيخ المروي عنه أنَّ
الراوي ولد بعد وفاة المروي عنه... .

القاعدة الثالثة: أن يكون نص الحديث مخالفًا للعقل والحس،
بحيث لا يقبل التأويل، مثل ما رواه ابن الجوزي من طريق عبد
الرحمن بن أبيه عن جده مرفوعاً للنبي، أن سفينة نوح طافت بالبيت
سبعاً، وصلت عند المقام ركعتين.. .

القاعدة الرابعة: أن يتضمّن الحديث ترتيب ثواب عظيم جداً على
عمل يسير لا جهد فيه، ولا تضحية تستوجب هذا الثواب، مما يشجع
على المعاصي والآثام، أو ترتيب عقاب عظيم على هفوة صغيرة كترك
مندوب أو فعل مكروره.. .

القاعدة الخامسة: أن يتضمّن الحديث لوناً من الدعاوة لشخص أو
بلد أو طعام أو شراب يخرج به عن الحد المعتاد في الكلام عن هذه
الأمور، كرواية حديث «الهريرة تشتدّ الظهر».. .

القاعدة السادسة: أن يكون راوي الحديث مشهوراً بالكذب، رقيق
الدين، لا يتورع عن اختلاق الأحاديث والأسانيد انتصاراً لهوى
شخصي (ألا تلمع شخصية أبي هريرة هنا؟)..... .

القاعدة السابعة: أن يتضمّن الحديث وقوع أمر علناً بمشهد جمهور
عظيم، مما يستلزم أن يُنقل نقاًلاً مستفيضاً على نطاق واسع، ولكنّه لا

يشتهر ولا يرويه إلا واحد أو اثنان، كحديث خالد بن خم.. (؟) ..
 الغريب أن الكاتب أورد هذا المنهج، ولم يعمل به، ويقي - هداه الله - مصرًا أن صحيح البخاري أصدق كتاب بعد القرآن. (؟) ..
 فلنستعرض.....

النموذج الأول: اللعب على التاريخ

عن ابن عباس، في قوله تعالى: ﴿لَا تُحِرِّكْ يَدَهُ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ﴾⁽¹⁾،
 قال: كان رسول الله يعالج من التنزيل شدةً، وكان مما يحرك شفتيه،
 فقال ابن عباس: فأنا أحركهما لكم كما كان رسول الله يحركهما، فأنزل
 الله تعالى: ﴿لَا تُحِرِّكْ يَدَهُ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ إِنَّ عَيْنَاهُ بِجُمْعٍ وَقَرْأَتُهُ﴾⁽¹⁶⁾
 قال: جمعه لك في صدرك وتقرأه، (إذا قرأتها فاتت قرآنها) قال: فاستمع
 له وأنصت، ﴿إِنَّ عَيْنَاهُ بِيَائِرٍ﴾، ثم إنَّ علينا أن تقرأه، فكان رسول الله
 بعد ذلك إذا أتاه جبريل استمع، فإذا انطلق جبريل قرأه النبي كما قرأه⁽²⁾.
 وتساءل:

- سورة القيامة كان ترتيب نزولها 31، أي في السنوات الخمس الأولى من الدعوة، فكم كان عمرُ ابن عباس قبلها؟ وهل شهد نزول الوحي على الرسول في بدايات الدعوة حين كان يحرك شفتيه، حتى أمكنه تقليده، إذ إن الرسول توقف بعد هذه السورة عن تحريك شفتيه.
 تخبرنا كتب السيرة أن ابن عباس ولد قبل الهجرة بثلاث سنين،

(1) سورة القيامة، الآيات: 16 - 17.

(2) البخاري 5 / مسلم 1004 / الترمذى 3329 / النسائي 934

وتوفي النبي وله ثلاث عشرة سنة . . . أي إنَّ سورة القيامة نزلت قبل ولادة ابن عباس بخمس سنين على الأقل ، ولم يشهد النبي يحرك شفتيه يوماً ، فكيف يستقيم الحديث؟ أم أنَّ الرواة استغلوا جهل المسلمين بتاريخ نبأه ورسالته ، فخلطوا الأمور .

- لماذا امتنع أبو داود وابن ماجه عن إيراد الحديث في سنتهما؟
- ألم يكن من الأنسب أن ينسب الحديث إلى ابن عباس عن أبيه مثلاً ، تلافياً للزلة التاريخية؟
- قبل كل ذلك ، أين هي الحكمة من هذا الحديث؟ وما الذي أضاف إلى الدين؟

هذا الحديث إذاً ، من الأحاديث الموضعية تبعاً للقاعدة الثانية التي أوردناها أعلاه ، فلماذا أخرجه البخاري ومسلم والترمذى والنمسائى؟ وهو ليس إلا نموذجاً لأحاديث كثيرة ، لا يتسع لها المجال هنا ، تلعب على التاريخ وتعاقب الأحداث ، مستخلفة عقول المسلمين ، ومطمئنة إلى جهلهم . . .

النموذج الثاني: استغفال العقول

* عن ابن عباس أيضاً: أن أبا سفيان بن حرب أخبره: أنَّ هرقل أرسل إليه في ركب من قريش . . . الخ حديث من أطول الأحاديث يتتجاوز متنه الصفحتين ، يشير في جزئه الأخير إلى أن هرقل اقتنع بالإسلام وبنبأة محمد ، وأسلم ودعا قومه الروم إلى الإسلام ، حيث يتابع: فإذاً هرقل لعظماء الروم في دسكرة له بحمص ، ثم أمر بباباها

فغلقت، ثم أطْلَعَ ف قال: يا معاشر الروم، هل لكم في الفلاح والرشد، وأن يثبت ملككم، فتباعدوا هذا النبي؟، فحاصلوا حيصة حمر الوحش إلى الأبواب، فوجدوها قد غلقت، فلما رأى هرقل نفرتهم وأيس من الإيمان، قال: رذوهن عَلَيْيَ، وقال: إني قلت مقالتي آنفًا اختبر بها شدتكم على دينكم، فقد رأيت، فسجدوا له ورضوا عنه، فكان ذلك آخر شأن هرقل ..⁽¹⁾

ونتساءل:

- لماذا لم يخبر أبو سفيان أحداً غير ابن العباس بهذه الرواية، فجاءت من مصدر آحاد؟ أما كان ليسمعها أكثر الصحابة، لا سيما وأبو سفيان من المؤلفة قلوبهم (التعبير اللطيف لوصف المشكوك في إسلامهم)، وكان يحتاج إلى إبراز دور معقول لنفسه بين المسلمين الآخرين.

- هل أسلم هرقل؟ وهل أراد دعوة قومه للإسلام؟ وهل هذه هي الطريقة المناسبة لدعوة قومه، ولم نقرأ أن هرقل كان غبياً لهذه الدرجة؟ وهل تراجع بهذه السهولة عن إسلامه؟ وهل مات كافراً بعد ذلك؟ وما شأن الروايات التي تتحدث عن حربه وقتاله للمسلمين؟ أين الصحيح وأين الكذب؟

- لماذا لم يورد النسائي وابن ماجه هذا الحديث في ستنهما؟
هذا الحديث هو إذاً حديث موضوع، تبعاً للقاعدة السابعة أعلاه،

(1) البخاري 7 / مسلم 607 / أبو داود 5136 / الترمذى 2718.

إذ لم يروها أصحاب أبي سفيان أو أصحاب هرقل الذين وجدوا في اجتماع عام كبير، كما لم ينقلها سوى ابن عباس... وهو أيضاً حديث موضوع، تبعاً للقاعدة الثالثة، إذ لا يقبله العقل والحس، فمن يصدق أن هرقل قد أسلم، لكنه أخفى إسلامه، وُقتل في مواجهة المسلمين؟...

* حديث صريح الكذب يستغفل عقولنا مرة أخرى، عن أبي هريرة أنه لما أقبل يريد الإسلام، ومعه غلامه، ضلّ كلّ واحد منهما عن صاحبه، فأقبل بعد ذلك وأبا هريرة جالس مع النبي، فقال النبي: «يا أبا هريرة، هذا غلامك قد أتاك» فقال: أما إنيأشهدك أنه حر...⁽¹⁾ الحديث يشير إلى لحظة قدوم أبي هريرة لإعلان إسلامه، أي في خبر.

ونسأل:

- 1 - هل كان لأبي هريرة غلام يخدمه؟ وقد عرفناه غلاماً خادماً لغيره.
- 2 - في خضم انشغال النبي بمعركة خيبر، وتوزيع الغنائم، متى وجد وقتاً للجلوس مع أبي هريرة؟.
- 3 - كيف رفع النبي الكلفة مع أبي هريرة سريعاً؟ وكيف عرف غلامه؟ هل يستحق الأمر معجزة إلهية هبطت على النبي؟
- 4 - أوضح دليل على الكذب، هو أن النبي خاطبه «يا أبا هريرة»،

ولا ندرى كيف عرف لقبه الخاص ولم يمض على لقائه به دقائق معدودات، ثم أن أبا هريرة يكذب نفسه، فهو يقول في مقام آخر: كان رسول الله يدعوني أبا هر، والناس يدعونني أبا هريرة، ولأن تكنوني بالذكر أحب إلي من أن تكنوني بالأنسى.. أي إننا أمام روایتین متناقضتين للمدّعى ذاته، فرأيهما تصدق؟ وهل فاتت هذه الحقيقة على البخاري أم؟

النموذج الثالث: صورة النبي مشوش الذهن

* عن عبد الله بن عمرو، عن النبي، قال: «المسلم من سلم المسلمين من لسانه ويده، والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه»⁽¹⁾ ..

ونتساءل:

- هل التعبير صحيح؟ هل كل من سلم المسلمين من يده ولسانه هو مسلم؟ أليس المسلم هو من وحد الله وأمن بالبعث وعمل صالحاً، كما أسلفنا؟، وهل نعتبر ثلاثة أرباع سكان الكرة الأرضية مسلمين لأنهم ببساطة لم يؤذوا المسلمين، من مثل أهل الصين واليابان والماو ماو والواغا دوغو؟

- لماذا لم يورد مسلم في صحيحه، والترمذى وابن ماجه في سنتهما هذا الحديث؟.

- ويرد المعنى في الشق الأول فقط، في صيغة أخرى، لراوي آخر،

(1) البخاري 10 / أبو داود 2481/ النسائي 5011.

هو أبو موسى إذ قال: «قالوا يا رسول الله، أيُّ الإسلام أفضَل؟ قال: مَنْ سَلِيمُ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ»⁽¹⁾ . مَرَّةً ثَانِيَةً لَسْنَا نَتَصَوَّرُ أَنَّ أَفْضَلَ الْمُسْلِمِينَ هُمْ مَنْ سَلَمَ مِنْهُمُ الْمُسْلِمُونَ، فَأَيْنَ التَّقْوَىُ وَالإِيمَانُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ، وَهُلْ يَنْزَلُ النَّبِيُّ، حَاشَاهُ، فِي هَذَا الْاخْتِرَالِ الْمُبَتَّسِرِ لِلَّدِينِ الْعَظِيمِ؟

كما نلاحظ أنَّ البخاري والنسائي اشتراكاً في إيراد الحديثين دون تحديد أيِّهما النصُ الصحيح، في حين تجثُب ابن ماجه كلاً الحديثين في سنته

- نلحظ تناقضاً واضحاً فيما يورد على لسان النبي، في الحديث الآخر: عن عبد الله بن عمرو، «أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ النَّبِيَّ: أَيُّ الْإِسْلَامِ خَيْرٌ؟ قَالَ: تُطْعَمُ الطَّعَامُ، وَتَقْرَأُ السَّلَامُ عَلَى مَنْ عَرَفْتَ وَمَنْ لَمْ تَعْرَفْ»⁽²⁾ .

وهنا اتفق خمسة من الرواة، وخالفهم أبو داود . . . ، ونتساءل: ما هذه المخطبة، وكيف يجيب النبي إجابات متناقضة عن السؤال ذاته؟ وهل احتار أَيُّ الْإِسْلَامِ خَيْرٌ أو أَفْضَلُ، فجاء بإجابتين غير متوافقتين؟ أم نجد من يقول: أَنَّ خَيْرَ الْإِسْلَامِ غَيْرَ أَفْضَلِ الْإِسْلَامِ . . . حاشا رسول الله

- هناك ما هو أكثر، فالحديث التالي يكشف عن تناقض آخر: عن

(1) البخاري 11 / مسلم 164 / الترمذى 2504 / النسائي 5014.

(2) البخاري 12 / مسلم 160 / الترمذى 5194 / النسائي 5015 / ابن ماجه . 3253

أبي هريرة، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ سُئِلَ: أَيُّ الْعَمَلِ أَفْضَلُ؟ فَقَالَ: (إِيمَانٌ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ)، قَيلَ: ثُمَّ مَاذَا؟ قَالَ: الْجَهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، قَيلَ ثُمَّ مَاذَا؟ قَالَ: حَجَّ مَبُورٍ⁽¹⁾.

وإذا لم يكن مهمًا أن أربعة من الرواة، مسلم والترمذى وأبو داود وابن ماجه أسقطوا الحديث ولم يوردوه، كما لم يكن مهمًا أن النبي حدد أفضليات وأولويات، وأسقط الإيمان بالبعث والعمل الصالح والصلة والزكاة والصيام...

لكن أين بات الصحيح؟ وهل نقبل تخيطاً مثل هذا ينسب إلى رسول الله؟

أي الإسلام أفضل؟، أي العمل أفضل؟ أي الإسلام خير؟ هل تحتمل ثلاث إجابات متناقضة من النبي؟.

وما هي الغاية من تصوير النبي بصورة شخص مشوش الأفكار، حتى فيما يتعلق بجوهر الدين وثوابته؟ هل النية صافية، أم أن الأمر مقصود؟ حاشا رسول الله..

* عن ابن عباس قال: قال النبي: «أَرِيتُ النَّارَ، فَإِذَا أَكْثَرُ أَهْلِهَا النِّسَاءَ، يَكْفُرُنَّ، قَيلَ أَيْ كُفُرٌ بِاللَّهِ؟ قَالَ: يَكْفُرُنَّ الْعَشِيرَ، وَيَكْفُرُنَّ الْإِحْسَانَ، لَوْ أَحْسَنْتَ إِلَى إِحْدَاهُنَّ الدَّهْرَ، ثُمَّ رَأَتْ مِنْكَ شَيْئًا، قَالَتْ: مَا رَأَيْتَ مِنْكَ خَيْرًا قَطَ»⁽²⁾.

(1) البخاري 26 / النسائي 5000.

(2) البخاري 29 / مسلم 2109 / أبو داود 1189 / النسائي 1492.

وتساءل:

- قد يكون هذا رأياً شخصياً لابن عباس، الذي عرفنا أنه لم يكن قد بلغ سن الحلم يوم مات النبي، أو لمن نسبه إليه، أو هو رأي دارج في حبته، أما أن يكون حديثاً عن النبي، فما لا يقبله العقل... فهل رأى النبي النار وفيها من يُعذَّب قبل يوم القيمة؟ وهل النار موجودة في مكان ما قبل قيام الساعة؟ وهل كفر العشير سبب للذهاب إلى النار؟ وأين رحمة الله، وشروطه الأخرى لدخول الجنة من الإيمان والعمل الصالح واجتناب الفواحش... الخ؟ وهل يختلف حساب النساء عن حساب الرجال لدى الإله العادل الرحمن الرحيم؟... ولماذا استغلال رسول الله في الإساءة إلى المرأة، وهو داعية الدين الذي يقول إنه أعزها وأكرمها؟

- أي الحديدين نكذب، هذا الحديث، أم الحديث التالي: عن أنس، عن النبي قال: «يخرج من النار من قال: لا إله إلا الله، وفي قلبه وزن شعيرة من خير... الخ»⁽¹⁾، فهل النساء ينكرن قول لا إله إلا الله وتعدم قلوبهن وزن شعيرة من خير؟ أم أن النبي رآهن في النار في لحظة نادرة، قبل خروجهن منها؟ أم أن الرواة كاذبون؟.

- أكثر من ذلك، هناك الحديث الثالث الغريب، المنسوب كذباً إلى أبي ذر قال: قال رسول الله: «أتاني آتٍ من ربِّي فأخبرني، أو قال: بشَّرني، أنه من مات من أمتي لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة»،

(1) البخاري 44 / مسلم 478 / الترمذى 2593 / النسائي 1641 - 5050.

قلت: وإن زنى وإن سرق؟، قال: «وإن زنى وإن سرق»⁽¹⁾. . فهل كفران العشير أسوأ عند الله من الزنى والسرقة، أم أن الأمر ينطبق على الرجال دون النساء، مما لا يتتسق مع عدل المولى عَزَّوجَلَّ؟ وإن كان هذا الحديث، هو الآخر، مما يتعارض مع كلام الله الذي قال:

﴿لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَنِيلٍ مِّنْكُمْ مَّنْ ذَكَرَ أَوْ أَنْتَ﴾⁽²⁾.

وقال:

﴿مَنْ عَمِلَ صَلِحًا يُنَذَّرُ أَوْ أَنْتَ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُخَيِّبَنَّهُ حَيَّةً طَيْبَةً وَلَنُجَزِّئَنَّهُ أَجْرَهُمْ بِإِحْسَانٍ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾⁽³⁾.

أكثر من ذلك، ألم يساوي الله بين الرجل والمرأة في التكليف والحساب، فقال:

﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالْخَشِعِينَ وَالْخَشِعَاتِ وَالْمُصْدِيقِينَ وَالْمُصْدِيقَاتِ وَالْعَصِيمِينَ وَالْعَصِيمَاتِ وَالْحَفِظِينَ فُرُوجُهُمْ وَالْحَفِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾⁽⁴⁾.

- أين هذا الحديث في سنن الترمذى وابن ماجه؟

- الأكثر غرابة، أن البخاري وصحبه يوردون الحديث مرّة ثانية، عن المصدر ذاته، أي ابن عباس، ولكن في سياق مختلف، إذ يرتبط

(1) البخاري 1237 / مسلم 272.

(2) سورة آل عمران، الآية: 195.

(3) سورة النحل، الآية: 97.

(4) سورة الأحزاب، الآية: 35.

هذه المرة بحادثة كسوف الشمس: «عن ابن عباس، ذكر حديث الكسوف بطوله، ثم قال: قالوا يا رسول الله، رأيناك تناولت شيئاً في مقامك، ثم رأيناك كعكعت؟» قال: «إنِّي رأيت الجنة فتناولت عنقوداً، ولو أصبته لأكلتم منه ما بقيت الدنيا، وأرَيْتُ النار، فلم أَرَ منظراً كاليوم قطُّ أفظع، ورأيت أكثر أهلها النساء» قالوا: يمَّ يا رسول الله؟ قال: «بِكَفَرْهُنَّ»، قيل: يكفرن بالله؟، قال: «يَكْفُرُنَ العَشِيرَ، ويَكْفُرُنَ الْإِحْسَانَ، لَوْ أَحْسَنْتَ إِلَى إِحْدَاهُنَّ الدَّهْرَ كُلَّهُ، ثُمَّ رَأَتْ مِنْكَ شَيْئاً، قَالَتْ: مَا رَأَيْتُ مِنْكَ خَيْرًا قَطًّا»⁽¹⁾... ولسنا نفهم لم يرد الحديث في موضع واحد، ألم يدقق البخاري وغيره في الأمر، فلا يأتون به بسياقين مختلفين . . .

تشيرنا ملاحظة أخرى، أنَّ آبا داود لم يورد هذا الحديث تكراراً، واكتفى بالأول، في حين أنَّ الترمذى وابن ماجه وجدا كلاً الحديثين غير صحيح فلم يوردا هما . . .

تحليل الأحاديث السابقة إلى القاعدتين الثالثة والرابعة السابقتين، للتأكد من أنها أحاديث موضوعة كاذبة لم يقلها النبي حاشاه . . .

أحاديث متعاقبة

وهي تتناقض أيضاً مع الحديث السابق، ومع بعضها البعض . . . والغريب أنها كلها منسوبة إلى أبي هريرة بالذات:

(1) البخاري 1053.

الأول يقول: عن أبي هريرة قال: قال رسول الله: «مَنْ يَقْمِ لِيَلَةً الْقَدْرَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفْرَانَهُ لَهُ مَا تَقدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ».

الثاني يقول: عن أبي هريرة قال: قال رسول الله: «مَنْ قَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفْرَانَهُ لَهُ مَا تَقدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ».

الثالث يقول: عن أبي هريرة قال: قال رسول الله: «مَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفْرَانَهُ لَهُ مَا تَقدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ».

- والسؤال الكبير هو: لماذا ننسب هذا التخبط إلى رسول الله؟ ما الذي يغفر ما تقدم من الذنوب؟ هل هو قيام ليلة القدر، أم قيام رمضان، أم صيام رمضان؟ هل قالها النبي كلها؟ وهل سمعها أبو هريرة ثلاثة مرات، كل مرة بصيغة مختلفة؟؟؟ هل نقول إن النبي كان ينسى ما يقول، حاشاه؟ أم نقول إن أبي هريرة كان ينسى ما تقول على لسان النبي؟ أم كان يتقصد الأمر؟ وأين أصحاب الصلاح من التدقيق في ما يشوه صورة النبي؟.

- اشتراك في إيراد الحديث الأول كل من البخاري ومسلم وأبي داود والنسائي، وفي إيراد الثاني كل من البخاري ومسلم والنسائي، وفي إيراد الثالث كل من البخاري ومسلم وأبي داود والنسائي وابن ماجه، فمن دقيق، ومن مخصوص، ومن نقل عن من، ومن المصيب ومن المخطئ؟ وأين المسلم من كل ذلك؟.

ونقول، إن الأحاديث الثلاثة كاذبة وموضوعة، تبعًا للقاعدتين الرابعة (ترتيب ثواب عظيم على عمل يسير)، والسادسة (أن يكون راوي الحديث مشهوراً بالكذب).....

حديث آخر:

* يكشف تناقض الأحاديث الثلاثة السابقة، ويزيد من الشك في صحتها، «عن أبي سعيد الخدري قال: إِنَّه سمع رسول الله يقول: «إِذَا أَسْلَمَ الْعَبْدُ فَحَسِّنْ إِسْلَامَهُ، يَكْفُرُ اللَّهُ عَنْهُ كُلُّ سَيِّئَةٍ كَانَ زَلَفَهَا، وَكَانَ بَعْدَ ذَلِكَ الْقَصَاصُ، الْحَسْنَةُ بِعْشَرِ أَمْثَالِهَا إِلَى سَبْعِمَائَةِ ضَعْفٍ، وَالسَّيِّئَةُ بِمِثْلِهَا إِلَّا أَنْ يَتَجَوَّزَ اللَّهُ عَنْهَا»⁽¹⁾.

ونتساءل:

- يشرط النبي هنا حسن الإسلام بما يتطلبه ذلك من التزام، لغفران الذنوب، فكيف اكتفى في الأحاديث السابقة بقيام ليلة القدر، أو صيام رمضان، أو قيامه؟ وأين الصحيح؟ أم أن النبي عاد إلى نسيان ثواب الإيمان.. حاشاه؟..

- ألا ينطبق حسن الإسلام على النساء، أو حتى قيام رمضان، أو صيامه، أو قيام ليلة القدر بالحد الأدنى، فيغفر الله لهنّ كفaran العشير، فلا تمتلى النار بهنّ؟.. هزلت..

حديث آخر:

* عن طلحة بن عبيد الله يقول: جاء رجل من أهل نجد إلى رسول الله ثائر الرأس، يسمع دوي صوته ولا يفقه ما يقول، حتى دنا فإذا هو يسأل عن الإسلام، فقال رسول الله «خمس صلوات في اليوم والليلة» فقال هل على غيرها؟ قال «لا إلّا أن تطوع» قال رسول الله «وصيام

(1) البخاري 41 / النسائي 5050 - 1641.

رمضان» قال: هل على غيره؟، قال: «لا إلّا أن تطوع»، قال: وذكر له رسول الله الزكاة، قال: وهل على غيرها؟ قال: «لا إلّا أن تطوع»، قال: فأدبر الرجل وهو يقول: والله لا أزيد على هذا ولا أنقص، قال رسول الله: «أفلح إن صدّق»⁽¹⁾.

ونتساءل:

- لماذا التصوير الدرامي والموسيقى التصويرية في مقدمة الحديث، هل السؤال عن الإسلام يستلزم ثوران الرأس، ودوّي الصوت، وكل هذه الجلبة؟

- سؤال الرجل بسيط، ومبرر، وهو موجه إلى رسول الله، الذي تتوقع منه إجابة وافية شاملة تشرح للرجل ولننا ما هو الإسلام، في اختصار بسيط لكل ما ورد في كتاب الله عن جوهر هذا الدين العظيم . . ولكن، ألا يفاجئنا هذا الجواب المسطوح، المبتور، المشوّه للدين، إذ استثنى الإيمان بالله ويرسله، والعمل الصالح، وصلة الرحم، والأخوة، والتسامح . . . الخ، وكيف فات النبي أن يذكر له الشهادتين، والحج إلى بيت الله؟ ألم يخبرنا رواة الأحاديث أن أركان الإسلام هي خمسة؟ فما الذي دفع النبي إلى اختزالها بثلاثة؟ . . .

- هل يعني هذا أن النبي، أجاز للرجل الإبقاء على أخلاقه الجاهلية وسيرته في النهب والسلب ووأد البنات، واستباحة الأعراض، وعدم النطق بالشهادتين . . الخ، ما دام صلى وصام

(1) البخاري 46 / مسلم 100 / أبو داود 3252 - 392 - 391 / النسائي 457 - 5043 - 2089

وزكي؟ أليس معظم مسلمي اليوم هم على هذه الشاكلة، وكأنهم عملوا بهذا الحديث دون سواه؟

- ألا يتناقض هذا الحديث مع كل الأحاديث التي أشرنا إليها سابقاً، والتي هي متناقضة فيما بينها أصلاً؟

- هل اكتملت صورة النبي المشوش، غير العارف بجوهر دينه وثوابته، الصورة التي أراد رواة الحديث إيصالها إلينا عن خير البرية؟ . . . يبدو أنه لا يزال لديهم الكثير . . .

* حديث آخر :

يزيد الطين بلة، إذ نرى النبي، يعطي مرة أخرى إجابة متناقضة، عن ابن عباس قال: إن وفد القيس لما أتوا النبي قالوا: يا رسول الله، إننا لا نستطيع أن نأتيك إلا في الشهر الحرام، وبيننا وبينك هذا الحي من كفار مصر، فمررتنا بأمير فصل، تخبر به من وراءنا، وندخل به الجنة، وسألوه عن الأشربة، فأمرهم بأربع ونهاهم عن أربع، أمرهم بالإيمان بالله وحده، قال: أتدرون ما الإيمان بالله وحده؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: «شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة، وصيام رمضان، وأن تُعطوا من المغنم الخمس»، ونهاهم عن أربع: عن الحنتم، والدباء، والنمير، والمزفت. . . وقال: احفظوهنَّ وأخبروا بهنَّ من ورائكم⁽¹⁾.

ولا داعي لأن نتساءل هنا، فالامر بات واضحأ، وصرنا أمام

(1) البخاري 53 / مسلم 5178 / أبو داود 1599 / الترمذى 5046.

صورة مقصودة لنبي كلّ يوم هو في رأي . . . أفلح الرواة . . . ونعم صحاحهم . . . ألا يردد أغبياؤنا أن صحيح البخاري أصدق كتاب بعد القرآن؟ ربما لأن معظمهم لم يقرأه، ومعظم من قرأه لم يفهمه . . . أنسنا نتعامل مع أدبيات ديننا كالبغال التي تدير الطواحين؟ ومن هم الصنم البكم العمى الذين لا يفقهون؟

صدق الله العظيم . . .

كان هذا استعراضاً سريعاً لأول خمسين حديثاً وردت في صحيح البخاري، وما يقابلها لدى الآخرين، وحيث لا يمكن الإطالة باستعراض جميع الأحاديث على التالي، دعونا نمرّ على بعض المقتطفات السريعة، ونترك التدقيق في كل أحاديث الصحاح والسنن، ومطابقتها مع كلام الله والعقل، للفقهاء والعلماء، أليس هذا دورهم؟ . . .

النموذج الرابع: صورة النبي غير الأمين على الرسالة

عن عائشة قالت: سمع النبي رجلاً يقرأ في المسجد، فقال: «كَلَّا اللهُ أَذْكُرْنِي»، لقد أذكروني كذا وكذا آية، أسقطتهنّ من سورة كذا وكذا». . . وفي رواية أخرى عن عائشة ذاتها قالت: تهجد النبي في بيتي، فسمع صوت عباد يصلّي في المسجد، فقال: «يا عائشة، أصوات عبادٍ هذا؟» قلت: نعم، قال: «اللهم ارحم عباداً فقد أذكروني . . . إلخ»⁽¹⁾.

(1) البخاري 2655 / مسلم 1837 / أبو داود 1331.

ها نحن أمام صورة مرعبة لرسول الله الذي ينسى .. وينسى ماذا؟
 كلام الله وأياته، فيُسقط سهواً بعض الآيات، ولو لا مصادفة سماعها
 من أحد المصلين لما جاءت في القرآن، أي لوصل إلينا القرآن
 ناقصاً .. أيصدق أحد أن محمداً لم يكن أميناً في نقل الوحي، أو
 حريضاً عليه؟ أو أنَّ الله لم يلتزم وعده للنبي بقوله: «سُفِرْتَكَ فَلَا
 تَشْكُ»؟، أليس هذا الحديث مما يرفض عقل المسلم تصديقه بحق نبيه
 وكتابه؟

ألا تنطبق عليه القاعدة الثالثة لمخالفته للعقل والحس؟

أليس كذبة كبيرة، أريد بها تصوير رسول الله، عن عمد بهذه
 الصورة، والإيحاء بأنه ربما نسي آيات أخرى لم يتفق وجود من يذكره
بها، مما يُحتمل معه أن القرآن الذي بين أيدينا ناقص؟ .. ولو حاجنا
 أعداء الدين بهذا الحديث لتأكيد رأيهم في نقصان القرآن وبطلانه،
 فيما إذا نجح لهم؟ نجزم القول أنَّ البخاري وصحبه تعمدوا ترويج هذه
 الصورة، لأن قراءة متأنية لعبارات الحديث تدل على كذبه، كيف؟

1 - ما دام مسلمقرأ هذه الآيات، فهذا يعني أن محمداً قام
 بإعلانها لأتباعه، فحفظوها وتداولوها، وبالتالي فهو أدى أمانته ولم
 يسقطها مما أعلن من الوحي ..

2 - ما معنى أن يقول النبي: أُسقطهنَّ من سورة كذا وكذا؟، هل
 يعني أنه لم يقرأها على المسلمين؟ قطعاً لا، فهم حافظون لها، بدليل
 أن عباداً قرأها، هل يعني أنه أُسقطها من التدوين؟ ومحمد لم يكن
 يدون في كتاب واحد مجموع في قرطاس، كان يقرأ على أتباعه،

ويكتب أكثر من واحد ما يقرأه ويلقيه، فـأين من معنى لـأسقطهن؟ ومن ماذا أـسقطهن ما دمن مـحفوظات في صدور المسلمين كـكل الآيات والـسور؟

3 - يتـشدق مـمتهـنـو تـبيـض الرـجـالـ، بـأنـ الـبـخـارـيـ كانـ يـدـقـقـ فـي رـجـالـ السـنـدـ وـسـلـوكـيـاتـهـ إـلـىـ درـجـةـ كـبـيرـةـ . . . فـإـذـاـ كـانـ ذـلـكـ صـحـيـحاـ، فـلـمـاـذـاـ لـمـ يـدـقـقـ فـيـ صـحـةـ النـصـ وـالـمـتـنـ، وـمـدـىـ مـعـقـولـيـتـهـ، وـقـبـلـ هـذـاـ مـدـىـ مـلاـعـمـةـ نـسـبـهـ إـلـىـ الرـسـوـلـ دـوـنـ إـلـاسـاءـ إـلـيـهـ . . . وـمـنـ الـمـسـيـءـ إـلـىـ الرـسـوـلـ هـنـاـ؟ـ رـاوـيـ الـحـدـيـثـ شـفـاهـاـ، أـمـ مـدـوـنـ الـحـدـيـثـ وـمـبـثـتـهـ فـيـ كـتـابـ عـدـهـ الـجـهـلـةـ صـحـيـحاـ وـتـدـاـولـوـهـ أـرـبـعـةـ عـشـرـ قـوـنـاـ؟ـ . . .

4 - يـقـولـ اللهـ تـعـالـىـ: «إـنـ الـلـهـيـنـ يـكـسـمـونـ مـاـ أـنـزـلـاـ مـنـ الـبـيـنـتـ وـالـهـدـىـ مـنـ بـعـدـ مـاـ بـيـنـتـهـ لـلـنـاسـ فـيـ الـكـتـبـ أـوـلـيـكـ يـلـعـبـهـمـ اللـهـ وـيـلـعـبـهـمـ الـلـعـبـوـتـ»⁽¹⁾ فـهـلـ نـلـحـظـ هـنـاـ اـتـهـامـاـ لـلـرـسـوـلـ، بـكـتـمـانـ بـعـضـ الـكـتـابـ، يـعـرـضـهـ لـلـعـنـةـ اللـهـ وـالـلـاعـنـيـنـ؟ـ حـاشـاـ رـسـوـلـ اللـهـ، وـبـشـرـ ماـ جـاءـوـ بـهـ . . .

النموذج الخامس: صورة النبي الشبق

اشترـكـ الـبـخـارـيـ وـالـنـسـائـيـ فـيـ إـخـرـاجـ هـذـاـ الـحـدـيـثـ، عـنـ أـنـسـ قـالـ: كـانـ رـسـوـلـ اللـهـ يـدـورـ عـلـىـ نـسـائـهـ فـيـ السـاعـةـ الـواـحـدـةـ مـنـ الـلـيـلـ وـالـنـهـارـ، وـهـنـ إـحـدـيـ عـشـرـةـ، وـفـيـ روـاـيـةـ: تـسـعـ نـسـوةـ، قـيلـ: أـوـ كـانـ يـطـيقـ ذـلـكـ؟ـ، قـالـ: كـنـاـ نـتـحـدـثـ أـنـهـ أـعـطـيـ قـوـةـ ثـلـاثـيـنـ . . .

واـشـتـرـكـ الـبـخـارـيـ وـمـسـلـمـ وـأـبـوـ دـاـودـ وـالـتـرـمـذـيـ وـابـنـ مـاجـهـ فـيـ نـسـبـ

(1) سورة البقرة، الآية: 159.

هذا الحديث إلى عائشة، قالت: كان النبي يقبل ويباشر وهو صائم، وكان أملوككم لإربه

واشتراك البخاري ومسلم وأبو داود في إخراج هذا الحديث عن أبي هريرة، وقد عرفناه قبلًا، قال: أقيمت الصلاة وعدلت الصفوف قياماً، فخرج إلينا رسول الله، فلما قام في مصلاه، ذكر أنه جنب، فقال لنا: «مكانكم»، ثم رجع فاغتسل، ثم خرج إلينا ورأسه يقطر، فكبير فصلينا

.

آية صورة للنبي هنا؟ وأي إسفاف في تصويره؟، ونتساءل:

- كان النبي يدور على نسائه كل يوم، لوصلهن والاطمئنان إليهن، ولكن، هل كان يضاجعهن، كلهن، يومياً، حسبما يوحى الحديث عن قوته في الجماع؟ . . .

- هل يرفع من مقام النبي مقدراته على مضاجعة إحدى عشرة امرأة، أو حتى تسع نساء، في ساعة واحدة؟ . . .

- هل كان النبي شبيقاً إلى هذه الدرجة؟ فلا يفوت ساعة من نهار دون مضاجعة كل نسائه، ألم نقرأ أنه خصّص لكل منها يوماً؟ . . .

- لماذا يعطيه الله قوة ثلاثين رجلاً في الجماع؟، ولم لم يعطه إياها في قتال المشركين مثلاً؟، وهل إكرام الله لعبده لا يصح إلا بهذه

- صدقنا أنه كان يقبل وهو صائم، وفيها أحاديث أخرى، كحديث أم سلمة، أمّا كيف نصدق أن يباشر وهو صائم؟، ألا يفسد صيامه؟ وهل هذه رخصة لنا لمباشرة نسائنا خلال الصيام؟ ثم، ألا يضبط النبي

نفسه حتى موعد الإفطار؟ أيَّ مَثْلٍ وأيَّةٍ قدْوَةٍ يتركها لنا هنا؟ . . . حاشاه . . . وكذبوا . . .

- والكارثة أن إحدى الفضائيات التي تناجر بالدين أوردت هذا الحديث إجابة عن سؤال حول مشروعية المباشرة خلال الصيام، فأباحت ذلك، لكنها اشترطت أن يكون المباشر شيئاً (؟) لا شاباً، معززة فتواها بحديث آخر عجيب . . . يا لابتلاء الإسلام؟.

- كانت عائشة الوحيدة التي تزوجها النبي بكرأً، أي هي لم تصافع رجلاً قبله، فكيف عرفت أنه (أملككم لإربه)؟ هل نلحظ هنا تلميحاً إلى عفاف أم المؤمنين الصالحة؟ أم هو إسقاط على، وتأكيد لحادثة الإفك؟ . . .

- كيف ينسى النبي أنه ضاجع تواً، بين صلاتين، وأنه جنب؟ فيأتي إلى الصلاة جنباً، ولا يتذكر إلى أن تقوم الصلاة وتستقيم الصفوف، ولا يجد غضاضة في أن يطلب من أتباعه التسمّر في أماكنهم ليذهب للاغتسال ثم يعاود الصلاة . . . هل هذه صورة تليق بالنبي؟ . . . ولو حدث هذا الأمر، فلماذا لم يذكره باقي المصليين، وهم كثر بالطبع؟ ولماذا انفرد به أبو هريرة؟!! . . .

- هل نصدق حديث القرآن عن النبي وقيامه الليل مع أصحابه، وانشغالهم بالجهاد، أم نصدق هذه الروايات السفيهية؟ . . .

مرة أخرى، يشترك البخاري ومسلم وأبو داود وابن ماجه، في نسب حديث إلى عائشة، في المقام ذاته، ولعل الرواة وجدوا في عائشة بغيتهم فنسبوا إليها الخصوصيات، والحديث أنها قالت: كانت

إحدانا إذا كانت حائضاً، فأراد رسول الله أن يبادرها، أمرها أن تتذر في فور حيضتها، ثم يبادرها، قالت: وأيكم يملك إربه كما كان النبي يملك إربه؟ :

- ألم ترد أحاديث مناقضة بعدم مباشرة الحائض ومضاجعتها مضاجعة كاملة؟، وذكر ملك الإرب يشير إلى مضاجعة مكتملة الأركان..

- ما الذي يضطرّ النبي لمباشرة الحائض ولديه تسع زوجات؟ هل يفقد السيطرة على نفسه متى حضرت المرأة؟.. حاشاء..

- مرّة ثانية، كيف عرفت عائشة أنه كان أمّلك لإربه من باقي الرجال؟ ..

- هل يخالف النبي كلام الله الذي بلغه للمسلمين: «وَسَأَلُوكُنَّكُمْ عَنِ الْمَحِيطِ قُلْ هُوَ أَذْنِي فَأَعْتَزِلُ النِّسَاءَ فِي الْمَحِيطِ وَلَا تَقْرِبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهَرْنَ»⁽¹⁾ وهل كان مقصوداً إبراز هذه الصورة بالذات عن النبي؟ ..

ألا تنطبق هنا القاعدة الثالثة على هذه الأحاديث الكاذبة الموضوعة؟ ..

النموذج السادس: صورة مناقضة/النبي رجل تعافه النساء: أورد البخاري ثلاثة أحاديث متتابعة توحّي بصورة مشوّهة غير مقبولة للنبي، لا تتفق مع أخلاقه وسيرته:

(1) سورة البقرة، الآية: 222.

ال الحديث 5254: عن عائشة، أنَّ ابنة الجنون، لما دخلت على رسول الله ودنا منها، قالت: أَعُوذ بالله منك، فقال لها «قد عذت بعظيمِ الحقيقة بأهلك».

ويؤكّد الرواية مَرَّةً أخرى، من مصدر آخر . . .

ال الحديث 5255: عن أبي أُسْيَد قال: «خرجنا مع النبي حتَّى انطلقنا إلى حائط - أي بستان - يقال له الشوط، حتَّى انتهينا إلى حائطين فجلسنا بينهما، فقال النبي: اجلسوا هاهنا، ودخل وقد أتَى بالجونية فأنزلت في بيته نخل في بيته أميمة بنت النعمان ابن شراحيل ومعها دايتها حاضنة لها، فلما دخل عليها النبي قال: هبِّي نفسك لي . . . قالت: وهل تهبِّ الملكة نفسها للسوق؟ فأهوى بيده يضع يده عليها لتسكن، فقالت: أَعُوذ بالله منك، فقال «قد عذت بمعاذ» ثم خرج علينا فقال: «يا أبا أُسْيَد، اكسها رازقين، وألحقها بأهلهَا . . .»

أية صورة هذه؟ . . . النبي يحاول نكاح امرأة، فترفضه وتشتمه باحتقار، وتجعل منه شيطاناً فتستعيذ بالله منه . . .

ولا يقف الأمر عند هذا الحد، فقد رأينا أنَّ الجنونية التي رفضت النبي واستعادت بالله منه، أُنزلت في بيته أميمة بنت شراحيل، وهناك حصلت الواقعة، إلا أنَّ البخاري يريد إقناعنا أنَّ النبي لم يكتف بصدّ الجنونية وردها له، فانقلب إلى أميمة بنت شراحيل ذاتها، وهو ما يخبرنا به الحديث التالي للحاديدين السابقين . . .

ال الحديث 5256: عن سهل وأبي أُسْيَد قالا: تزوج النبي أميمة بنت

شراحيل، فلما أدخلت عليه، بسط يده إليها، فكأنها كرهت ذلك، فأمر أباً أسيداً أن يجهزها ويكسوها ثوبين رازقين ..

يبدو أبو أسيد شاهد الحادثتين، في إيحاء بحدوثهما تباعاً، والثبي ترفضه الأولى وتستعيد بالله منه، فينقلب إلى الثانية التي تبدي له كرهها ونفوراً.

أيّ الصور نصدق؟ .. أم نرفضها كلها محتقظين بصورة النبي الذي أقرَّ الله له بأنه على خلق عظيم؟ ..

ألا تنطبق هنا القاعدة الثالثة، في مخالفة هذه الأحاديث للعقل والحسن، فتصنفها في خانة الأحاديث الكاذبة الم موضوعة، عملاً بقواعد (فقهاء) الحديث أنفسهم؟ ..

النموذج السادس: تشبيت الإسرائيليات

رأينا في الإضاءة السابقة، المتعلقة بأبي هريرة وجريمته في نشر الإسرائيليات التي لقنه إياها كعب الأحبار، كيف ساهم كتبة الأحاديث في تشبيت هذه الجريمة فيما سموه صحاحهم وسننهم، لترسيخ اتهام الرسول بما ادعاه المشركون من أنَّ القرآن إنما يلقنه إياه أخبار اليهود ورهبان النصارى، ونضيف هنا نماذج أخرى ..

فقد أورد البخاري، ومسلم، والترمذى، وأبو داود، حديثاً منسوباً إلى عبد الله بن عمر، قال: صلى بنا النبي العشاء في آخر حياته، فلما سلم قام فقال: «أرأيتم ليلتكم هذه، فإنَّ رأس مائة سنة منها لا يبقى منْهُ هو على ظهر الأرض أحد» في نسخ لقول منسوب إلى

السيد المسيح في إنجيل متى 32:24 «الحق أقول لكم، لا يمضي هذا الجيل حتى يكون هذا كله، السماء والأرض تزولان، ولكن كلامي لا يزول»، فإذا يجمع الباحثون أنَّ متى كتب إنجيله للعبرانيين، وربما لهذا نسب إليه ما لا يجوز لرسول أن يقوله، لا سيما وقد كذبه الأيام، فما الذي يبرر للبخاري وصحبه قبول إيراد وثبتت هذا الحديث على لسان محمد، خاصة إذا لاحظنا أنَّ أولهم - البخاري - ولد في العام 194 هجري، أي بعد حوالي ثمانين سنة من الموعد الذي ادعى الرواذي الكاذب أنَّ محمداً حدد ليوم القيمة... .

حديث آخر منسوب إلى أبي موسى، ورد لدى البخاري ومسلم، عن النبي أنَّه قال: «مثُل ما بعثني الله به من الهدى والعلم، كمثل الغيث أصحاب أرضاً، فكان منها نقية قبلت الماء، فأنبتت الكلأ والعشب الكثير، وكانت منها أجادب، أمسكت الماء، فنفع بها الله الناس، فشربوا وسقوا وزرعوا، وأصحاب منها طائفة أخرى، إنما هي قيعان لا تمسك الماء، ولا تثبت الكلأ، فذلك من فقه في دين الله ونفعه ما بعثني الله به، فعلم وعلَّم، ومثل من لم يرفع بذلك رأساً ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به»... . والحديث منسوخ عن قول منسوب إلى السيد المسيح في إنجيل متى 13:13..... والأمثلة كثيرة.

الجريمة الأخطر بحق الرسول

اختلاق قصة زواجه بعائشة أية السادسة

لعل الموضوع الأكثر إحراجاً لنا، هو ما يثيره الآخرون من دهشة واستغراب، واستنكار لواقعة زواج النبي من عائشة بنت أبي بكر، وهي لما تبلغ السادسة من عمرها، وهو في عمر تجاوز الخمسين، والدخول بها وهي في سن التاسعة، وهو استغراب يثور حتى لدى المؤمنين بمحمد ورسالته، يصل إلى حدود الاستنكار المبطن، مع عجز عن التبرير المنطقي والمعقول

فمن جاء بهذه الرواية، وسوقها، وحوّلها إلى حقيقة ثابتة ورواية دارجة؟

بداية، لم يتتسائل أحدٌ من أتباع محمد، لمَ لم يرد ذكر لهذه الواقعة في موطن مالك، وممالك من أهل المدينة لا من الموالي (العربي الوحيد بين كتب الأحاديث)، وهو أقرب إلى زمن الرسول والصحابة، إذ ولد عام 93 هجري، قبل مائة سنة من ولادة البخاري ومسلم وأشباههما؟ .

هل حصلت الواقعة، كما وصلت إلينا، ولم يعرف بها أهل المدينة؟ أم لم يسمع بها مالك؟ أم أنها رواية كاذبة لفقت بعد مائة سنة أخرى بقصد الإساءة إلى رسول الله؟ .

أول من أورد هذه الأكذوبة، ووثقها، وعمّها، كان البخاري، وتبعه مسلم، فقد أوردها البخاري في باب «تزويج النبي عائشة وقدومها المدينة، وبناته بها»⁽¹⁾، بالنص التالي (مختصرًا): حدثني فروة بن أبي المغراة، عن علي بن مسهر، عن هشام، عن أبيه، عن عائشة، قالت «تزوجني النبي وأنا بنت ست سنين، فقدمنا المدينة، . . . ، فأسلمتني إليه وأنا يومئذ بنت تسع سنين». . . بعدها تردد أحاديث كاذبة أخرى حول لعبها بالعرائس والدمى، وجلب النبي للبنات الصغيرات للعب معها وتسليتها. . . الخ.

يكشف لنا هذه الأكذوبة الخطيرة الباحث إسلام البحيري في دراسة له في مجلة اليوم السابع المصرية، وتلحظ من الردود والتعليقات أنه سبق معالجة هذا الأمر من قبل المؤرخ حسين مؤنس، وكذلك الكاتب محمد التاجي في كتابه «سيرة النبي العربي»، ونقبس بتصرف الشواهد التي أوردها البحيري لتفنيد هذه الأكذوبة الخطيرة:

الاتفق أمّهات كتب التاريخ والسيرة المُؤصلة للبعثة النبوية (الكامل - تاريخ دمشق - سير أعلام النبلاء - تاريخ الطبراني - البداية والنهاية - تاريخ بغداد - وفيات الأعيان - وغيرها كثير) على الخط الزمني لأحداث البعثة النبوية، كال التالي: بدأت البعثة في عام 610 م، واستمرّت في مكة ثلاثة عشرة سنة، وكانت الهجرة إلى المدينة في عام 623 م، ووفاة النبي بعد عشر سنوات في العام 633 م . . . والمفروض - تبعًا لرواية البخاري - أنَّ النبي تزوج عائشة قبل الهجرة

(1) الحديث 3894.

للمدينة بثلاثة أعوام، أي في عام 620م، الموافق للعاشر من بدء الوحي؛ وكانت تبلغ من العمر ست سنوات، ودخل بها في نهاية العام الأول للهجرة، أي في نهاية عام 623م وكانت تبلغ تسع سنوات، مما يعني أنها ولدت عام 614م، أي في السنة الرابعة من بدء الوحي حسب البخاري، وهذا كذب وافتراء ووهم كبير... كيف؟...

1 - تقول كل المصادر سابقة الذكر، إن ذات النطاقين أسماء بنت أبي بكر كانت تكبر اختها عائشة بعشر سنوات، وتجمع هذه المصادر دون اختلاف بينها، أن أسماء ولدت قبل الهجرة بسبعة وعشرين عاماً، أي إن عمرها لدى بدءبعثة النبيّة عام 610م كان 14 عاماً، مما يعني أن عمر عائشة لدى بدءبعثة كان أربع سنوات، وولادتها كانت عام 606م، ومؤكدة ذلك بحساب يسيط أنه حين عقد عليها النبيّ في مكة في العام العاشر منبعثة كان عمرها 14 سنة، وهاجر بعد ثلاث سنوات، ودخل بها بعد ذلك في نهاية العام الأول وبداية الثاني من الهجرة، مما يجعل من عمرها حين دخل بها 18 عاماً، هي السن الحقيقية التي تزوج فيها النبيّ الكريم عائشة، وليس تسع سنوات كما افترى البخاري...

2 - تؤكد المصادر التاريخية السابقة، بلا خلاف بينها، أن أسماء بنت أبي بكر توفيت بعد حادثة شهيرة مؤرخة ومثبتة، هي مقتل ابنها عبد الله بن الزبير على يد الحجاج عام 73هجري، وكانت تبلغ من العمر 100 عام، مما يؤكّد أن عمرها وقت الهجرة كان 100 - 73 = 27 عاماً، في تطابق مع عمرها المذكور صراحة في المصادر

التاريخية، وأنّ عمر عائشة التي تصغرها بعشر سنوات كان 17 عاماً حين الهجرة، و18 عاماً حين دخول النبي بها . . .

3 - يجزم الطبرى بيقين فى كتابه «تاریخ الامم» أن كل أولاد أبي بكر قد ولدوا في الجاهلية، قبلبعثة، في تأكيد آخر على ولادة عائشة في العام الرابع قبلبعثة . . .

4 - يذكر ابن كثير في كتابه «البداية والنهاية» عن السابقين في الإسلام «ومن النساء . . . أسماء بنت أبي بكر، وعائشة وهي صغيرة، فكان إسلام هؤلاء في ثلاثة سنين، ورسول الله يدعو في خفية، ثم أمر الله رسوله بإظهار الدعوى»، أي إنّ عائشة أسلمت قبل إظهار الدعوى في السنة الرابعة من بدء الوحي، فلو أنها ولدت - حسب افتراء البخاري - عام 4 من بدء الوحي، لكان معنى ذلك أنها أسلمت قبل أن تولد، أو أنها كانت رضيعة حين أسلمت عند جهر النبي بالدعوة، وهذا تحريف ينافي كل الأدلة السابقة بأنها ولدت عام 4 قبل بدء الوحي، وكان عمرها 8 سنوات لدى العجهر بالدعوة، وهو ما يتافق مع الخط الزمني الصحيح للأحداث، وينافي رواية البخاري . . .

5 - أخرج البخاري نفسه، أن عائشة قالت: «لم أعقل أبي إلا وهو يذينان الدين، ولم يمر علينا يوم إلا يأتينا فيه رسول الله طرفي النهار بكرة وعشية، فلما ابتنى المسلمون خرج أبو بكر مهاجرًا قبل الحبشة» . . .

والثابت أنّ الهجرة إلى الحبشة كانت عام 5 منبعثة، وكانت عائشة تعقل وتدرك إسلام أبيها وزيارات النبي اليومية لبيتهم . . .

فلو كانت ولدت عام 4 منبعثة - كما افترى البخاري - فهل تعقل وتدرك رضيعة ابنة سنة واحدة؟ أم أن عمرها الصحيح حينذاك - في العام 5 منبعثة - كان حوالي التاسعة؟ . . .

6 - هل من مزيد؟ .. نعم.. أخرج أحمد في مسنده، عن عائشة قالت: «لما هلكت خديجة، جاءت خولة بنت حكيم امرأة عثمان بن مظعون فقالت: يا رسول الله، ألا تتزوج؟، قال من؟، قالت: إن شئت يكراً، وإن شئت ثيباً، قال: فمن البكر؟، قالت: أحب خلق الله إليك، عائشة ابنة أبي يكرا».

ونسأله: هل كانت خولة لتهوله لتعرض على النبي يكراً جاهزة للزواج لو كانت عائشة طفلة في السادسة من عمرها، كما افترى البخاري؟ أم أنها كانت حينها في الخامسة عشرة حسب كل الروايات التاريخية سابقة الذكر؟ ..

7 - أخرج أحمد أيضاً عن خولة بنت حكيم حدثنا طويلاً عن خطبة عائشة، المهم فيه أن أم رومان (زوجة أبي يكراً وأم عائشة) قالت: إن مطعم بن عدي (وهو كافر) قد ذكرها على ابنه جبير (وهو كافر أيضاً وحارب المسلمين في بدر وأحد)، والله ما وعد أبو يكراً وعداً قط فأخلفه.. الخ.. والتيمة معروفة أن آباً يكراً، لما خطب النبي عائشة منه، تخلص من وعده لمطعم الكافر... .

والسؤال: كان أبو يكراً أول من أسلم، فلو كانت عائشة قد ولدت عام 4 بعدبعثة - كما يدعى البخاري أفاله كان أبو يكراً ليعطي وعداً لكافر فمن يسمون المسلمين العذاب بتزويج ابنته؟، أليس هذا دليلاً

آخر أن عائشة ولدت قبلبعثة، وأن الوعد كان قبل إسلام أبي بكر؟؟

8 - أخرج البخاري ذاته (ولَا تدرِّي كيْف ينَاقض نَفْسَه صِرَاراً)، عن عائشة قالت: «لَقَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ بِمَكَّةَ، وَإِنِّي جَارِيَةُ الْعَبِ»، «بِلَ السَّاعَةِ مَوْعِدِهِمْ وَالسَّاعَةِ أَدْهَى وَأَمْرَ».. المعلوم أنَّ سورة القمر نزلت في السنة الرابعة منبعثة، فلو صدقنا رواية البخاري تكون عائشة إما أنها لم تولد بعد، أو أنها رضيعة حديثة الولادة عند نزول السورة، ولكن عائشة تقول: كنت جارية العب.. فكيف تكون لم تولد بعد؟.. إن الحساب المتواافق مع الأحداث يؤكد أنَّ عمرها عام 4 منبعثة حين نزول سورة القمر، كان 8 سنوات، وهو ما يتتفق مع عبارة: كنت جارية العب ..

9 - في تناقض آخر، أخرج البخاري ذاته، أنَّ رسول الله قال: «لَا تُنكِحِ الْبَكْرَ حَتَّى تُسْتَأْذِنْ»، قالوا يا رسول الله وكيف إذنها؟، قال: أن تسكُت؟... فكيف يقول الرسول الكريم هذا وي فعل عكسه؟ فالحديث الذي أورده البخاري عن سن عائشة عند زواجهها، ينسب إليها أنها قالت: كنت ألعب بالبنات - العرائس، ولم يسألها أحدٌ عن إذنها في زواجهها، وكيف يسألها وهي طفلة صغيرة جداً لا تعي معنى الزواج؟، وحتى موافقتها في هذه السن لا تُتَّسِّج أثراً شرعاً، لأنَّها من غير مكلف ولا بالغ ولا عاقل..

الليس اتهاماً من البخاري للنبي الكريم بقول ما لا يلتزم به؟... جريمة البخاري هذه، التي ابتلعها المسلمون السُّلْجُوقُون، بكل بساطة،

أسست لشرع ليس من شرع الله، بل من شرع الغرائز المقيمة، بات الأكثر تداولًا لدى معظم المسلمين، هو إباحة الزواج من صغيرات لم يبلغن، ولو كان الزوج شيخاً، تحت ذريعة أنها سنة من سنن الرسول، وما هي كذلك، هذه الجنایة نراها في السعودية بوضوح أكثر من غيرها من باقي الدول الإسلامية، بحيث باتت ظاهرة مقلقة تتطلب المعالجة، مع الإشارة إلى أننا لم نجد من يتبع سنة الرسول الصحيحة والثابتة، حين تزوج من خديجة الأكبر منه بخمسة عشر عاماً، كما قيل لنا في ذات الكتب والمراجع ..

والأخطر أن ابتلاع هذه الجريمة وقبولها لم يتم من قبل المسلمين السذج فحسب، ولكن أيضاً من قبل من نعدهم أئمة وعلماء وفقهاء، وضعوا أساس شرعتنا المشوّه ..

فهام كبار فقهائنا، وقد انطلت عليهم الكذبة، يستندون إليها فيذهبون في تفسيراتهم، التي باتت ملزمة لنا، إلى ما لا يقره شرع الله، إذ أباحوا الزواج من صغيرة، لم تحضن، تتبعاً لترهات وأكاذيب البخاري، بل وحددوا عدتها حين الطلاق، نلمح ذلك في تفسيراتهم للآية 4 من سورة الطلاق:

﴿وَالَّتِي يُؤْنَى مِنَ الْمَحِيطِ مِنْ يَسَايِكُرٌ إِنْ أَرْبَسْتَ فَعَدَهُنَّ ثَلَاثَةَ أَشْهُرٍ
وَالَّتِي لَمْ يَحْصُنْ وَأَوْلَتُ الْأَمْكَالَ أَجْهَمُهُنَّ أَنْ يَضَعُنَ حَلَمُهُنَّ وَمَنْ يَتَّقِيَ اللَّهَ يَجْعَلُ لَهُ
مِنْ أَثْرَيِهِ يُسْرًا﴾ ..

وحيث نلاحظ أن الله تعالى قد قسم، بكلّ وضوح، الزوجات هنا إلى مجموعتين:

الأولى: مجموعة النساء اللائي يشنن من المحيض وتعدين سن الولادة، وهؤلاء عدتهن ثلاثة أشهر . . .

الثانية: مجموعة الحوامل بشكل واضح وبين ، مع اللائي لم يحضرن لاضطراب في دوراتهن الشهرية ، بما قد يُشك في حملهن (يُسمى انقطاع الحيض ، طيباً ، بالضمى ، أو الأمينوروفيا Amenorrhea ، ويحصل نتيجة الحمل ، أو الرضاع ، أو نقص الوزن ، أو اضطرابات الغدد ، أو اضطرابات الجهاز التناسلي ، أو مشاكل التغذية مثل البوليميا - شراهة الأكل - والأنوروكسانروفزا - الامتناع عن الأكل ، أو الرياضة العنيفة ، وقد يستمر انقطاع الحيض لستة أشهر) ، وهؤلاء عدتهن حتى وضع الحمل ، أو معاودة الحيض وانتظام الدورة . . .

الغريب أن ابن كثير والطبرى والقرطبي والجلالين ، ممَّن نعدهم أئمة كباراً وعلماء ومفسرين ، نحتضن كتبهم ونعمل بها ، قد تجاهلوا إعجاز القرآن في شموله لحالات فيزيولوجية للمرأة قبل أن يكتشفها الطب الحديث بأربعة عشر قرناً ، وذهبوا كلهم ، بتأثير كذبة البخاري ، إلى تفسير: «اللائي لم يحضن» بالبنات الصغيرات اللائي لم يبلغن سن البلوغ والحيض ، دون أن يفتروا لنا كيف تحمل مَنْ لم تصل إلى البلوغ ، ومخالفين اللغة والمنطق بإخراج عبارة مَنْ لم يحضن من مجموعتها ، والجملة الواقعـة فيها ، وإعادة لصقها بالمجموعة ، والجملة السابقة . . .

فما الذي يسود لدى المسلمين اليوم ، شرع الله ، أم جنایات البخاري وصحابـه؟ . . .

الواقع يقول، وبشواهد كثيرة تعداد بالآلاف، وربما بالملايين على مدى حوالي اثنى عشر قرناً، أنَّ جنائيات البخاري وصحبه، لا شرع الله، هو ما يسود المجتمعات الإسلامية.

وللتدليل على حجم الجريمة وبشاعتها، وتعارضها مع العقل والذوق ورحمة الله، نكتفي هنا بمثالين حديثين من اليمن السعيد... .

الأول نشره موقع سيريا نيوز نقاً عن وكالات أنباء، في شهر نيسان 2010، تحت عنوان «العنف الجنسي ينهي حياة قاصر يمنية بعد أربعة أيام من زواجهما»، يقول الخبر:

توفيت فتاة يمنية في الثالثة عشرة من العمر بسبب نزف حاد ناجم عن تعرضها للعنف الجنسي وذلك بعد أربعة أيام فقط من تزويجها عبر ما يعرف بزواج البدل كما أعلنت منظمة حقوقية يمنية... .

وقال «منتدي الشقائق العربي لحقوق الإنسان» في بيان إن الطفلة إلهام مهدي شواعي العسي توفيت الجمعة في 2 الجاري بسبب تمزق كامل في الأعضاء التناسلية ونزف حمّيٍّ طبقاً لتقرير طبي صادر عن مستشفى الثورة، وذلك بعد أن تم زفافها يوم الاثنين 29 آذار/مارس.

وكانت الطفلة إلهام، وهي من محافظة حجة شمال غرب صنعاء، زوجت ضمن ما يعرف بزواج البدل، إذ زُوِّجت إلى زوجها الثالثي مقابل تزويج اخت زوجها إلى أحد أفراد عائلتها... .

واعتبر منتدى الشقائق أنَّ الطفلة إلهام شهيدة العبث بأرواح الأطفال في اليمن ونموذجاً صارخًا لما يشرعه دعوة عدم تحديد سن الزواج من قتل يطال الطفلا الصغيرات». ودعا المنتدى الذي يدافع

خصوصاً عن حقوق المرأة إلى أن تتحول الطفلة إلهام إلى رمز يؤكد
 بشاعة الجريمة والمخاطر التي تتعرض لها الطفلات الصغيرات بسبب
 الزواج المبكر . . .

وكان الجدل تصاعداً أخيراً في اليمن حول ظاهرة تزويج الفاقيرات
 وهي ظاهرة منتشرة خصوصاً في المناطق الريفية، وقد نظمت تظاهرات
 طالب بتحديد سن دنيا للزواج، بينما نظمت تظاهرات أخرى ضد ذلك
 بدعم من التيارات الدينية المتشددة . . . وكان البرلمان اليمني أقر العام
 الماضي مشروع قانون يضع حدأً أدنى لسن الزواج هو 17 عاماً للنساء
 و18 عاماً للرجال، إلا أن نواباً من عدّة أطياف سياسية قدّموا إلى
 رئيس البرلمان طلباً لإعادة مناقشة القانون .

ولم تتم المصادقة على هذا القانون الذي يعول عليه من أجل الحد
 من ظاهرة تزويج الأطفال . . . ويرى الإسلاميون أن الإسلام لم يحدد
 سنآ للزواج، ويذدرعون بأن النبي محمد تزوج عائشة وهي في التاسعة
 من العمر . . . وتزويج الفتيات وهن في سن الطفولة أمر شائع في اليمن
 الذي تحكمه التركيبة القبلية، ويحظى فيه الإسلاميون بنفوذ كبير،
 خصوصاً في المناطق الريفية، وكانت هيئة علماء اليمن التي يرأسها
 رجل الدين المتشدد والنافذ عبد المجيد الزنداني أصدرت بياناً حدد
 مشروع القانون، واعتبرت أن تحديد سن الزواج يعني «تحريم ما أباحه
 الله . . .» ويطلق المجتمع المدني والصحافة على الفتيات اللواتي يتم
 تزويجهن في سن الطفولة اسم «عرائس الموت» ولا سيما بعدما توفيت
 فتاة عمرها 12 عاماً بينما كانت تضع مولودها الأول في آيلول / سبتمبر
 الماضي . . .

أما الثاني، فنشره موقع سوريا الآن، في شهر آذار/مارس 2010، تحت عنوان «أول طفلة يمنية يتم تطليقها.. زوجي مارس معي الجماع بكل قوّة وعنف، ولم توقفه صرخاتي» يقول الخبر: كشفت الطفلة نجود علي عن الأحداث المؤلمة التي تعرضت لها حينما كانت زوجة لرجل يمني يبلغ الثلاثين من العمر، في حين كانت في سن التاسعة، وأوضحت ما تعرضت له من عنيف جنسي وضرب عنيف أثناء قيام زوجها بممارسة الجماع معها، وذلك في كتاب تم نشره في الولايات المتحدة الأمريكية بعنوان «أنا نجود.. عمري عشرة أعوام ومطلقة» حيث ترجمته إلى الانكليزية المخرجة السينمائية خديجة المسلمي، بعد أن كتبته الصحفية الفرنسية ديلفين مينوي، وتم نشره في فرنسا العام المنصرم، كما يخطط العديد من دور النشر العالمية لنشر الكتاب بعد أن حظي باهتمام عالمي بالغ... .

وقد تناولت الصحف العالمية قضية الطفلة نجود باهتمام كبير بعد أن نشرته صحيفة «يمن تايمز» للمرة الأولى كطفلة عروس.

تقول الطفلة نجود في الكتاب إن زوجها أخرجها من المدرسة واصطحبها إلى منزل عائلته في إحدى القرى اليمنية، وهناك مارس معها الجماع بشكل عنيف، وأردافت قائلةً: مهما كنت أصرخ لم يأت أحد لمساعدتي، كان الأمر مؤلماً بدرجة كبيرة، وكنت وحيدة في مواجهة الألم... . وحينما سمع لها زوجها بزيارة أسرتها في مدينة صنعاء، هرولت سريعاً نحو سيارة أجرة، وطلبت من سائقها التوجه بها إلى المحكمة... .

أليس من حق الطفليتين، إلهام ونجد، الادعاء ضد البخاري وصحابه، لما طالهما وملائين قبلهما على امتداد قرون، بسبب جريمة شيعة مغرضة سوقها الموالي تحت مسمى ستة رسول الله، حاشاه..

لابد أن نكتفي، وأن نتوقف... وأن نطلب من كل مسلم يخشى الله ويقدّر نبيه، لا أن يحاكم البخاري وصحابه، فهذا فات أوانه منذ أئمي عشر قرناً، ولكن أن يحاكم كتبهم، التي رأيناها تزخر بالأحاديث الموضوعة وفقاً لمنهج هم وأضعوه، وأن يتوقف عن تسميتها صحاحاً، وأصدق الكتب بعد القرآن، وأن يضعها حيث تستحق، وأن تتوقف المطابع عن طباعة هذه الجرائم بحق الله ودينه ونبيه، إنقاذاً للأجيال القادمة من هذه الأمة المبتلة، وقبل كل هذا أن يتوقف علماؤنا عن اجترار ما سموه فقهآً من هذا الموروث الأسود، الذي سوقوه علينا على أنه ستة رسول الله... حاشا رسول الله عما يجرمون...

قبل أن نختتم، دعونا نتبين حجم جنائية البخاري و أصحابه على عقول الأجيال، من خلال شيخ الظلام الجدد الذين باتوا منتشرين على الفضائيات ومواقع الانترنت التي يستخدمها العالم لنشر العلم والثقافة، وتستخدمها لتكريس التخلف والجهل، فعلى موقع (طريق الإسلام) - زاوية (موسوعة الفتوى)، ورد سؤال يقول: قرأت حديثاً في صحيح البخاري، لا أصدقه وأعتقد أنه غير صحيح، رقم 234 الكتاب 4 مجلد 1... وقد انبرى للإجابة عنه من دعاه الموقع بالمفتي عبد المتنان البخاري، الذي أسهب في الرد، نقبس بعضًا منه، يقول «فأولاً يجب على المسلم أن يعلم أنَّ صحيح الإمام البخاري وصحيح

الإمام مسلم رحمهما الله تعالى، يعتبران أصح كتابين بعد كتاب الله تعالى (؟)، وما فيهما من الأحاديث الثابتة عن النبي صلى الله عليه وسلم كلها صحيحة يجب على المسلم الإيمان بها وتصديقها والعمل بمقتضاهما، ولا يجوز للمسلم أن يشك فيها، أو يقول عنها لا أصدقه وأعتقد أنه غير صحيح... لأن الواجب على المسلم الانقياد والتسليم لأوامر الله ورسوله وأخبارهما، وتصديق كل ما ورد في الكتاب والسنة من الأخبار والأحكام والرضا بها جملة وتفصيلاً، ويجب على المسلم إذا أشكل عليه شيء أن يتهم فهمه وعقله (؟)، ثم ليبادر لسؤال أهل العلم (؟) المتخصصين في هذا المجال، ولا يجوز للمسلم أن يعمد عقله في رد نصوص الكتاب والسنة، ومن رد أمر الله ورسوله أو خبراً من الأخبار الواردة في الكتاب والسنة بعد علمه أنها حق وصدق (؟)، ولكن بعقله لم يتقبله، فإنه بعد التبيين له ونصحه وإصراره على رأيه يكفر كفراً أكبر، مُخْرِجاً عن الملة، وكذا مثله من شك فيهما مجرد شك... .

ولنلاحظ أمرين خطيرين، أولهما التسليم بصحة الأحاديث الواردة في الصلاح، دون نقاش أو إعمال للعقل الذي أمرنا الله بإعماله، واعتبار إعمال العقل أو حتى مجرد الشك كفراً أكبر يُخرج من الملة، وثانيهما اعتبار ما ورد في الصلاح سنة صحيحة عن النبي، وربطها بالكتاب أي القرآن، بما يخفف المسلم الجاهل من أن تشكيكه في الصلاح تشكيك بالقرآن ذاته... فيا لهول كارثتنا... .

(أتيح لي أخيراً الحصول على نسخة من كتاب زكرييا أوزرون القييم

«جناية البخاري».. إنقاذ الدين من إمام المحدثين»، وكتاب «تحرير العقل من النقل»، وقراءة نقدية لمجموعة من أحاديث البخاري ومسلم» لسامر الاسلامبولي وفيهما إضافات موقعة في هذا المجال، الأول حول البخاري، والثاني حول البخاري ومسلم، وأرى الرجوع إليهما مثرياً لمن شاء الاستزادة، ويبقى كتاب يحيى محمد «مشكلة الحديث» الذي استعنت بإحدى فقراته، لاطلاعي المتأخر عليه، من أوسع وأشمل الدراسات في هذا المخصوص).

الإضاءة السادسة

لا ناسخ ولا منسوخ

يقطع القرآن باتهام اليهود والنصارى
 بتحريف نصوص كتبهم، وإذا لم يتمكن
 المسلمين من تحريف النص القرآني،
 فقد لجأوا إلى التلاعب فيه بالتأويل
 وتأسيس مدارس الهدم

ظهرت مدرسة «الناسخ والمنسوخ» حين بدأ التلاعب في النص القرآني لمصلحة تحقيق غايات وأهداف، لا علاقة لها بالتشريع والعقيدة، بقدر ما تخدم غايات وأغراضًا أيديولوجية وسياسية، بالإضافة إلى محاولة الخروج من هازق التعارض والتناقض الذي وقعت فيه المدارس الفقهية المتعارضة بسبب فهمها الخاطئ للنص الإلهي، ولم يكن من ذكرٍ لناسخ أو منسوخ طوال حياة النبي، وإن ظهر فجأة، بعد وفاته، بعض الأحاديث المختلفة لتعزيز هذه المدرسة، التي بدأت تباشيرها يوم السقيفة، وتعززت في خلافة عثمان، لتترسخ بعد موقعتي الجمل وصفين، وتكتمل أركانها في العهدين الأموي والعابسي.

كان لا بد، أولاً، من وضع الأساس لهذه المدرسة، فكيف يجوز اعتبار بعض كلام الله في كتابه المحكم منسوخاً، وبالتالي إسقاط بعض أحكامه وحدوده، وكأن الله كان يجهل عواقب الأمور، فغير هذه الأحكام بعد أن تبيّن له عدم ملائمتها للواقع؟.. وكيف يمكن التوفيق بين النسخ والتعديل والتبديل والإلغاء، وبين الاعتقاد بقدام القرآن وأزلية النص المحفوظ في كتاب مكتون؟.. ألا يفترض توقيع رفض المسلمين لهذا الكفر؟ بلـ... ولكن كان لدى المؤسسين ثلاثة عناصر، توفر أرضيةً ومناخاً للتأسيس والتعيم:

أولها: جهل الجموع الغفيرة من المسلمين حديثي العهد بالإسلام، واستعدادهم لتقبّل كل ما يقدّم لهم تحت عنوان العقيدة.

وثانيها: ركون هؤلاء المسلمين إلى بعض مَنْ كانوا من معاصرى النبي، كأبي هريرة وغيره، مَمَنْ افترضوا مصداقيتهم وصدقهم، دون مناقشتها وتأكيدها.

وثالثها: سطوة الحاكم فوق الأرضية، المرتبطة ببعد إلهي، خليفة رسول الله، وأمير المؤمنين، ألم يعتقدوا أنَّ الله طالبهم بإطاعة أولي الأمر، بقدر إطاعة الله والرسول، دون أن يفهموا المقصود بأولي الأمر؟، والحاكم استخدم فقهاء السلطان لديه لتعزيز مقولاته . . .

جاء فقهاء السلطان هؤلاء، أولاً، بوجود ناسخ ومنسوخ في القرآن، يشمل آيات الأحكام والحدود، مستندين إلى آيات في القرآن، يمكن التلاعب بمدلولاتها لتعزيز المعنى، ما دام الجاهل يقبل تفسيرَ مَنْ يظنه عالِماً فقيهاً لكلام الله . . . وحين لم يكُفِ ذلك، أي لم تتوافر لهم آيات يمكن التلاعب بمدلولاتها، جاءوا بجناية أكبر، قالوا إنَّ السنة تنسخ القرآن، أي إنَّ أحاديث النبي التي نقلوها هم عنـه، والأصح نسبوها إليه، يجوز أن تلغي بعض الأحكام، وتضع أحكاماً بديلة، وإذا كان الله يُعْلِمُ قد قال: «وَإِنَّا لَمْ لَهُ لَتَفِظُونَ»، فليس في الأمر مشكلة، إذ يمكن اعتبار حفظه بالقرآن والسنة (٩٩) . . . ألم يقل مكحول «القرآن أحوج إلى السنة من السنة إلى القرآن»، ويقل يحيى بن أبي كثیر «السنة قاضية على الكتاب، ليس الكتاب قاضياً على السنة» (٩٩) وإذا قال الله :

﴿لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَتِيهِ﴾، فيجوز هنا استثناء النبي من هذه الـلا، تحت ذرائع الوحي وتلبيس النبي ثواباً لم يلبسه... .

ومن عارض هذه المدرسة، فالتهمة جاهزة، فقد قال أبو جعفر النحاس: وهذا القول (أي إنكار النسخ) عظيم يقول إلى الكفر.....^(١).

فهل نكفر هنا، ونتهم أحداً، أو نتجنى؟ ربما، ما لم نتمكن من إثبات وجهة نظرنا.....
دعونا نناقش الأمر... . .

أ - نسخ القرآن بالقرآن

وهو الشق الأول في أسس المدرسة، ويعني أن تأتي آية فتننسخ آية قبلها أو حتى (بعدها؟)... . .

فلنتحرّ هل يمكن إثبات مبدأ النسخ بآيات من القرآن الكريم، وما هي الآيات التي استندوا إليها لوضع الأساس اللازم لهذه المدرسة؟!
ولكن قبل ذلك، لنعرّج قليلاً على معنى كلمة (آية) كما وردت في القرآن، ما الذي سماه الله «آية»؟ هل هي حسراً الجزء من السورة القرآنية؟ بمعنى عبارة أو جملة من كلمات القرآن، فقط أم أن لها معانٍ أخرى... لستعرض:

(١) أبو جعفر النحاس - الناسخ والمنسوخ في القرآن.

آية في المعجم هي:

العلامة أو الأمارة، وهي العبرة «فَالْيَوْمَ نُنْهِيَكُ بِيَدِنَا لِتَكُونَ لِمَنْ حَلَّفَكَ إِلَيْهِ»⁽¹⁾

وهي المعجزة: «وَجَعَلْنَا أَبْنَاءَ سَرَّابِينَ وَأَمْمَاتِ مَائِيَةٍ»⁽²⁾.

وهي من القرآن، جملة أو جمل يؤثر الوقف في نهايتها، (وهذه لم تكن من كلام العرب، لا شرعاً ولا ثراً، وإنما أحدثت لاحقاً بعد الإسلام ودرجت حتى يومنا هذا، والشاهد أننا لا نجد في لسان العرب قبل الإسلام، أو في معجمهم اللغوي، أي استخدام لكلمة آية على أنها عبارات وجمل، فليس من آيات تشكل قصيدة شعرية، أو نصاً منشراً، على العكس نجد استخدامها محصوراً بالمعنى الآخر، الأمارات والدلائل الربانية غير اللفظية، كما وردت لدى الشاعر الجاهلي ليبي في قوله:

والماء والنيران من آياته

فيهنَّ موعظةٌ لمن لم يجعلِ
أما الاستخدام اللاحق لكلمة آية، في بعض القرآن وبعده على أنها جملة أو عبارة، فهو استخدام مجازي جاء من منطلق أن كل جملة أو عبارة من جمل القرآن وعباراته، هي بحد ذاتها آية ودليل وأمارة على وجود الخالق وجلاله، لا من منطلق أنها معنى مرادف حيثما وردت، كما فهمها فقهاؤنا المستنيرون (؟) وفرضوها علينا واستخدموها في تلقيق مبدأ النسخ). . .

(1) سورة يونس، الآية: 92.

(2) سورة المؤمنون، الآية: 50.

ولنأخذ من القرآن الكريم مثلاً:

وردت كلمة «آية» مفردةً وجمعًا في سورة البقرة وحدها، عشرين

مرةً . . .

مرتان يجادل البعض بأنها تحتمل فيهما معنى «الجمل والعبارات من كلام الله»، وذلك في الآيتين: ﴿رَبَّنَا وَابْعَثْتِ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَنْذُرُهُمْ إِيَّاهُمْ أَيْتِكَ وَعِلْمُهُمُ الْكِتَابُ وَالْحِكْمَةُ﴾⁽¹⁾ و: ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْكُمْ يَنْذُرُهُمْ إِيَّاهُنَا وَرِزْكُهُمْ وَعِلْمُهُمُ الْكِتَابُ وَالْحِكْمَةُ وَعِلْمُكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا قَاعِدِينَ﴾⁽²⁾، وهذا سرد عليه.

ونقول إنَّ معناهما الأصح هو العلامات أو الأمارات، أي من الدلائل ما يثبت النبوة والرسالة، بأن يسرد قصص من سبق من الأمم ويذكر بآيات الله في خلقه (يتلو آيات)، ثم يعلم الكتاب والحكمة، وهذا حكم لأن المعنى الأول يفيد بتكرار لا داع له، فإذا كانت الآيات هي جمل الكتاب، فهل يقول: يتلو جمل الكتاب ويعلم الكتاب؟

يؤكِّد ذلك، في السورة نفسها، أنَّ الله يُعرِّجُ سرد قصص بنى إسرائيل وطالوت وجالوت وداود، ثم أردد بعدها: ﴿إِنَّكَ أَيَّنتُ اللَّهُ تَشْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾⁽³⁾.

وثمان عشرة مرةً بمعنى العالمة، الإشارة، المعجزة، بشكل واضح

وصريح :

(1) سورة البقرة، الآية: 129.

(2) سورة البقرة، الآية: 151.

(3) سورة البقرة، الآية: 252.

﴿كَذَلِكَ يُنْهِي اللَّهُ الْمُؤْمِنَ وَرِبُّكُمْ إِذَا نَبَّأْتُهُمْ لَعْنَكُمْ يَعْقِلُونَ﴾⁽¹⁾.

﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَحْمَةً لِلنَّاسِ وَالنَّهَارِ وَالنَّهَارُ الَّتِي بَخْرَىٰ فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَنْجَى بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَيَقُولُ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَائِرَةٍ وَتَقْرِيبِ الْيَمِينِ وَالشَّاهَدِ الْمَسْعَدِيِّ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَكُلِّ دَائِرَةٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾⁽²⁾.

﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الظَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَرِقَبَةٌ مِمَّا تَرَكَ أَهْلُ مُوسَىٰ وَأَهْلُ هَرُودَ تَحْمُلُهُ الْمَلَائِكَةُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾⁽³⁾.
 ﴿وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ﴾⁽⁴⁾.

﴿فَاصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَتِ لَكُمْ تَنفَعُونَ﴾⁽⁵⁾.

﴿سَلَّ بَيْنَ إِسْرَوِيلَ كُمْ إِاتَّنَهُمْ مِنْ آيَاتِنِّي بَيْنَهُ﴾⁽⁶⁾ (فلق البحر، رفع الجبل، إنزال المن والسلوى) الخ

أي المعاني بات أقرب إلى العقل؟ وهل يمكن الركون بالمطلق إلى أن معنى الآية دائمًا، وحيث وردت، هو جملة أو عبارة؟ ولو كان ذلك

(1) سورة البقرة، الآية: 73.

(2) سورة البقرة، الآية: 164.

(3) سورة البقرة، الآية: 248.

(4) سورة البقرة، الآية: 259.

(5) سورة البقرة، الآية: 266.

(6) سورة البقرة، الآية: 211.

لَمَا قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ الشُّعْرَاءِ: ﴿إِنَّا نَزَّلْنَا عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ عَالِيَّةً فَقَطَّلَتْ أَعْنَقَهُمْ لَمَّا خَضَبُوهُ﴾⁽¹⁾ ..

وأوضحها أكثر ما يكون الإيضاح في سورة العنكبوت: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْهِ مِائَةً مِنْ رَبِيعٍ﴾ (أي معجزات) قُلْ إِنَّمَا الْأَيَّتُونَ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾⁽²⁾ ، فلو كانت الآيات هي عبارات القرآن لقرأها عليهم كلما أنزلها الله عليه، ولما قالوا ما قالوه .. .

وقد أكد الله ذلك مراراً، فقال في سورة الإسراء، متحدثاً عن المعجزات التي طلبها المشركون من النبي: ﴿وَمَا مَنَعَنَا أَنْ تُرِسِّلَ إِلَيْنَا كَذَّابٌ بِهَا الْأَوَّلُونَ﴾⁽³⁾ .. وفي سورة يونس: ﴿وَيَقُولُونَ لَوْلَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْهِ مِائَةً مِنْ رَبِيعٍ قُلْ إِنَّمَا الْغَيْبُ لِلَّهِ﴾⁽⁴⁾ .. وغيرها كثير .. .

ولنلاحظ أن الله تعالى ، حين تحدث عن العبارات والجمل ، أي مكونات النص في القرآن ، سماها سورة :

﴿وَإِنْ كُثُرْتُمْ فِي رَبِيعٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأَنْتُمْ فُسُوقُ مِنْ مِثْلِهِ﴾⁽⁵⁾ ..

﴿أَمْ يَقُولُونَ أَفْتَرَهُ اللَّهُ قُلْ فَأَنْتُمْ فُسُوقُ مِثْلِهِ﴾⁽⁶⁾ ..

وفي موقع آخر أشار إليها بتعبير «كلمات» :

(1) سورة الشعرا، الآية: 4.

(2) سورة العنكبوت، الآية: 50.

(3) سورة الإسراء، الآية: 59.

(4) سورة يونس، الآية: 20.

(5) سورة البقرة، الآية: 23.

(6) سورة يونس، الآية: 38.

﴿أَفَنَظَّمُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فِرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَمَ اللَّهِ ثُمَّ يُخَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾⁽¹⁾.

﴿وَيَسْمَحُ اللَّهُ أَلْبَطَلَ وَيَعْلَمُ الْحَقَّ يَكْلِمُهُ﴾⁽²⁾.

﴿وَأَقْتَلُ مَا أُوحَى إِلَيْكَ مِنْ كِتَابٍ رَّيْكَ لَا مُبْدِلَ لِكَلِمَتِهِ﴾⁽³⁾.

ويتعبر «قول»، في موقع أخرى:

﴿إِنَّا سَلَّقَنَا عَيْنَكَ قَوْلًا نَّيَّلًا﴾⁽⁴⁾.

﴿الَّذِينَ يَسْتَعِمُونَ الْقَوْلَ فَيَسْتَعِمُونَ أَحَسَنَهُ﴾⁽⁵⁾.

وللتوضيح الصورة، نأتي بتعريف الناسخ والمنسوخ، حسب أبي جعفر النحاس، أحد عتاة هذه المدرسة، يقول:

- الناسخ هو المخالف للمنسوخ من جميع جهاته، الرافع له، المزيل لحكمه . . .

وقد وردت في القرآن الكريم: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ كُلُّ﴾⁽⁶⁾، أي يقصي أو يلغى أو يبطل.

فهل ينطبق هذا التعريف على ما جرى استخدامه، أم ينافقه تماماً؟ . . . سنرى

(1) سورة البقرة، الآية: 75.

(2) سورة الشورى، الآية: 24.

(3) سورة الكهف، الآية: 27.

(4) سورة المزمل، الآية: 5.

(5) سورة الزمر، الآية: 18.

(6) سورة الحج، الآية: 52.

يستند مؤسسو مدرسة الناسخ والمنسوخ - فيما وصلنا - إلى آيتين) وردتا في القرآن:

الأولى في سورة البقرة: «مَا تَنْسَخُ مِنْ آيَةٍ أَوْ تُنسِهَا تَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلَهَا أَتَمْ تَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ»⁽¹⁾.

فهل قصد الله تعالى، نغير من جملة أو عبارة؟ أم قصد علامه بعلامة، أو معجزة بمعجزة، أو حتى أحكاماً بأحكام، ألم تغير المسيحية بعض الأحكام السائدة لليهودية، وغير الإسلام بعض أحكامهما؟.

ثم لاحظ أن الله اتبعها بقوله: (ألم تعلم أن الله على كل شيء قادر) أيعقل أنه عنى قدرته على تغيير عبارات وجمل؟، وهذه بمقدور أي كان، لا تحتاج إلى قدرة الله بجلاله، فكيف يستخدمها الله في مقام إثبات وتأكيد قدرته؟

أكثر من ذلك، هو اتبعها بقوله: «أَتَمْ تَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُنْ مَّلِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ»⁽²⁾، تأكيداً على تصرفه بالآيات في ملكه في السموات والأرض، لا في جمل في كتاب . . .

ولسنا نفهم، لماذا لم يقس هؤلاء الفقهاء، كلمة (آية) هنا، على الكلمة ذاتها في موقع أخرى من القرآن؟، كما في قوله في سورة الزخرف، متحدثاً عن ملائكة فرعون:

(1) سورة البقرة، الآية: 106.

(2) سورة البقرة، الآية: 107.

فَوَمَا تُرِيهِمْ مِنْ آيَةٍ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أَخْتَهَا⁽¹⁾.

هل قصد جملة أكبر من جملة، أو أطول...؟

هل يقول الإله العظيم ذلك؟...؟

إن قراءة هذه (الآية) في سياق (الآيات) السابقة لها 105 واللاحقة لها 107، وليس اقتطاعها من السياق كما فعل فقهاء السلطان، يجعل من معناها أن العلامات الدالة على نبوة الأنبياء يمكن أن يغيرها الله، بما هو أفضل منها في الدلالة، أو يأتي على الأقل بما يماثلها، ولا يمكن أن يحتمل أبداً معنى العبارات والجمل..

ثم هل يغير الله عبارات بمثلها؟ ما الجدوى في ذلك؟ ..

الثانية في سورة التحل: «وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَحَكَّانَ آيَةً وَاللهُ أَعْلَمُ بِمَا يَزِيلُ فَالْأُولَا إِنَّمَا أَنْتَ مُقْتَرِنٌ بِلَّا أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ»⁽²⁾.

بدل الشيء، في المعجم: غير صورته، وبالشيء: جعله مكانه... أي أزلنا الشيء ووضعنا شيئاً آخر محله..

وفي هذا المعنى، كان يتوجب أن يزيل الله الجمل والعبارات ويوضع محلها جملأً وعبارات أخرى، لأن يبقيها في محلها ويأتي بغيرها في مكان آخر، لأن هذا ينافق: (بدلنا آية مكان آية).

ولنلاحظ أن الله لم يقل: «إذا استبدلنا» واستبدل في المعجم: جعل بدلاً منه..... فلما؟.

(1) سورة الزخرف، الآية: 48.

(2) سورة التحل، الآية: 101.

ولنلاحظ أيضاً أنَّ الله تعالى قال:

﴿سَتُرِيكُ فَلَا تَقْنِعُ ﴾⁽¹⁾ ٦ إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّمَا يَعْلَمُ الْجَهَرُ وَمَا يَخْفِي ﴾⁽¹⁾
وقال: ﴿وَلَئِنْ شِئْنَا لَنَذَهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾⁽²⁾.

والآية الأخيرة تأكيد واضح على أنَّ الله لم يشاً أن يُذهب شيئاً مما أوحى لرسوله ..

فلو أراد الله نسخ بعض العبارات والجمل، مما أوحى به لرسوله، لذهب بها، ولما تركها، متذكرين أن جبريل عليه السلام كان يراجع القرآن مع الرسول كل رمضان، أما كان ليشطب ما لم يعد سارياً من الأحكام، وما لم يعدل له حاجة من مثاث الآيات التي يحاولون إقناعنا بأنَّها باتت منسوخة؟.

لكنه يُرَجِّلُ ، لم يفعل

ومع ذلك، حاول فقهاء النسخ اللعب والتحايل على هذه النقطة، بتوليف روايات تخالفها، وتحاول إثبات العكس، إذ نجد أنَّ ابن الجوزي قد أورد: وقد كانَ جماعة من الصحابة يحفظون سورة وأيات فشلت عنهم، فأخبرهم النبي أنَّها رُوعَت.

وذكر غيره، على ذمة النحاس ذاته، فقال: تنزل الآية وتُتلى في القرآن، ثم تنسخ فلا تُتلى في القرآن، ولا تثبت في الخط، ويكون حكمها ثابتًا (؟).

(1) سورة الأعلى، الآيات: 7/6.

(2) سورة الإسراء، الآية: 86.

في استخفاف كبير بعقول المسلمين، الذين لا يستطيعون فهم الغاية من إلغاء الآية من التلاوة، مع إيقاع حكمها ثابتاً معمولاً به... .

وفي حديث منسوب لابن عباس قال: خطبنا عمر بن الخطاب فقال: كَنَا نقرأ: «الشيخ والشیخة إذا زَنِيَا، فارجموهما البتة بما قضيَا من اللذة»، ولو لا أَنِّي أَكْرَهَ أَنْ يقال زاد عمر في القرآن لَزَدْتُه.

والحديث الأخير لا يمكن أن يصح، وكذبه مفضوح لمن امتلك عقلاً، فالمتأمل فيما سميت (آية الرجم)، أي قول: والشيخ والشیخة إذا زَنِيَا فارجموهما البتة، يجدها تفتقر إلى أبسط مقومات البيان القرآني، فهل هي عامة في كل شيخ وشیخة؟ أم خاصة بالشيخ المحسن؟ أم أن الشاب المحسن يدخل معه؟ أم أنها خاصة في اللفظ عامة في المعنى فتشمل كل محسن ومحسنة؟ وما مقاييس الشیخوخة؟ هل هي سن اليأس عند النساء؟ وتجاوز سن الإثرة عند الرجال والنساء؟ أم ماذا؟، إن ما يطرحه هذا النص من مشاكل على القرآن نفسه وتناقضاته واختلافاته، ليكشف أنه من عند غير الله، وأنه ليس قرآنًا ولا علاقة له بكلام الله... (١).

ثم، هل كان بمقدور أيّ كان، عمر أو غيره أن يزيد في القرآن؟

على أننا إذا تجاوزنا ذلك، وجارينا فقهاء النسخ، وقبلنا، جدلاً، صحة هذه الأحاديث، فهذا يعني أنه إذا كان ثمة (آيات) نُسخت، فقد جرى حذفها في حينه من قراءة القرآن، ومن آية صحف كتبت فيها،

(١) د. مصطفى بو هندي - التأثير المسيحي في تفسير القرآن.

وبالتالي لم يجر تدوينها في المصحف الذي بين أيدينا، والذي دون فيه هو ما ثبت دون نسخ، فكيف نجد في هذا المصحف آيات منسوخة؟ أليس استخفافاً بالعقل ما يريد أنصار مدرسة الناسخ والمنسوخ إقناعنا به؟ .

أكثر من ذلك، كانت الوسيلة الأساسية للرسول في نشر دعوته وتبليغ كلام الله هي «الإعلان على الملاّ»، الذي كان بمثابة الجريدة الرسمية له، ولو وجد الرسول فيما أوحى له جبريل نسخاً، لأعلنه على الملاّ، وأذاعه للعمل به والتزامه، ولا تزورونا كتب الحديث بأي حديث صحيح محدد يتناول إعلان الرسول لأن آية ما قد نسخت آيات سابقة... .

هل من نتيجة نخرج بها هنا؟ نعم، (آيات) القرآن المثبتة فيه لا تنسخ بعضها بعضاً، ولا ناسخ ولا منسوخ في كتاب الله المحمّك.. .

﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِعَقِصِ الْكَتَبِ وَكُفَّارُكُمْ بِعَقِصِ فَمَا جَزَاءُهُمْ مَنْ يَفْعَلُ
ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا بِرِزْقٍ﴾ في الحجّة الدنيا وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ يُرْدُونَ إِلَى أَشَدِ
الْعَذَابِ﴾⁽¹⁾.

أما التناقض والتعارض في بعض (الآيات)، والذي كان الأساس لإطلاق مفهوم النسخ، فهو تعارض وتناقض وهمي، لم يوجد إلا في عقول هؤلاء الفقهاء، نتيجة قصور كبير في فهمهم وإدراكهم لكلام الله، فالله جلّ وعلا أنزل أحكاماً متباعدة لتتوافق مع ظروف وحالات

(1) سورة البقرة، الآية: 85.

مختلفة، في مجتمعات مختلفة ومتغيرة على الدوام، وطلب من عباده التزام الحكم الذي يتواافق مع واقع كلّ منهم، فهو قال:

﴿الَّذِينَ يَسْتَعِنُونَ بِالْقَوْلِ فَيَسْتَعِنُونَ أَحْسَنَهُمْ﴾⁽¹⁾، وقال ﴿وَأَتَيْعُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِّنْ رَبِّكُمْ﴾⁽²⁾، وعبارة «أحسن ما أنزل» لا يمكن أن تعني أنّ هناك عبارات أحسن من عبارات، وبالتالي هناك عبارات أسوأ من عبارات في التنزيل الحكيم، حاشا الله عن ذلك، ولكنها يجب أن تعني أنّ هناك أحكاماً أحسن لظرف ما، وأنسب للتطبيق على حالة ما، وهذا تكمن عظمة وشمولية الدين . . .

لتؤكد هذه النقطة، وزيادة في إيصالها، نعود إلى كتاب الله للرد على أنصار مدرسة الناسخ والمنسوخ في اعتبارهم لنزول القرآن على مراحل، على امتداد ثلاثة وعشرين عاماً، كأحد تسويغات النسخ، بما أورده الله ﷺ حول الواح موسى التي نزلت عليه دفعه واحدة، لا على مراحل، لنجد أنّ الله استخدم التعبير ذاته حول التوراة الذي استخدمه حول القرآن ﴿وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَّوْعِظَةً وَنَقْصِيًّا لِكُلِّ شَيْءٍ فَخَذُهَا يَقُوَّةً وَأَمْرَ قَوْمَكَ يَأْخُذُهَا يَأْخُسِنَاهَا . . .﴾⁽³⁾.

إنّ عدم استيعاب وفهم هذه النقطة، كان هو الأساس لتورّط الفقهاء في هذا التضليل . . .

والغريب أنّ فقهاء هذه المدرسة اختلفوا في تحديد عدد الآيات

(1) سورة الزمر، الآية: 18.

(2) سورة الزمر، الآية: 55.

(3) سورة الأعراف، الآية: 145.

الناسخة والأيات المنسوخة فقال السيوطي إنها 20 (آية)، والبغدادي إنها 66، والنحاس إنها 134، وابن سلامة إنها 213، وابن حزم إنها 214، ومكي إنها 255 أي إن (الأيات) المنسوخة يمكن أن تجمع في سورة أطول من كل سور القرآن عدا البقرة . . . تخيلوا شطب 255 (آية) من القرآن لعدم الحاجة إليها كونها باطلة وغير سارية المفعول . . .

إن مقارنة الأعداد السابقة توحّي بمصيبة ومهزلة كبيرتين، في أن واحد، فقرآن السيوطي (؟) وفقهه يقرّ بأيات محكمة عددها 235 آية، أكثر مما يقرّها قرآن مكي (؟) وفقهه (255 - 20 = 235)، و194 آية محكمة أكثر مما يقرّها قرآن ابن حزم (؟) وفقهه . . . وهلمّ جراً . . دون أن يعرف المسلم أيّ قرآن يتبع . . أليست هذه جريمة ما بعدها جريمة؟ . . أكثر من ذلك، إن مجرد اختلافهم قد يوحي باحتمال وجود (آيات) أخرى، لا ندرى عددها، قد تكون منسوخة، وهذه كارثة كبيرة، وختامية على التنزيل الحكيم . . .

ثم، إن اختلافهم هو دليل بحد ذاته، أن النسخ ليس من عند الله، ولا يوجد في كتابه، تصديقاً لقول الله: «وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ أَخْتِلَافًا كَثِيرًا»⁽¹⁾.

فكلّ ما هو من عند الله، لا باب للاختلاف فيه . . .

هنا رأينا تهافت المبدأ الذي أؤسّست عليه المدرسة، ولكن لا يحتمل أن التطبيق قد يأتي بشيء آخر، يغيّر الصورة؟ أم أنه سيؤكّد

(1) سورة النساء، الآية: 82.

مقولتنا؟، لا بد من دراسة بعض النماذج، كما وردت في كتب الناسخ والمنسوخ، وإعطاء الطرف الآخر حقه في الجدال..

النموذج الأول: تغيير القبلة

صلى النبي في مكة متوجهاً إلى بيت المقدس تبعاً لآثار الأنبياء قبله، وتابع ذلك في المدينة لستة عشر شهراً، دون أن يرد فيما نزل من القرآن طوال هذه الفترة، ما يحدد أو يغير من هذه القبلة، ثم نزلت الآية: ﴿قَدْ رَأَى نَفْلُكَ وَجْهَكَ فِي السَّمَاءِ فَنَوِيْتَكَ قِبْلَةً تَرْضَهَا فَوَلَّ وَجْهَكَ شَطَرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوْلُوا وَجْهَكُمْ شَطَرُ﴾⁽¹⁾ هل هذا دليل على نسخ الآيات؟.

نقول: ما الذي نسخته هذه الآية؟ هل كان هناك آية سابقة حددت القبلة، فجاءت هذه ونسختها؟ الجواب: لا لم يكن هناك آية)، فما الذي ننسخ إذا؟ ..

ما ننسخ هو فعل النبي باتخاذ القبلة إلى بيت المقدس، بمبادرة منه اقتداء لآثار سابقيه من الأنبياء، مثلما أبطل الله وأد البنات، وكثيراً من ممارسات امتدت من الجاهلية، دون أن يكون هناك آيات سابقة فيها، فإذاً لا آية منسوخة هنا، بل (فعل) منسوخ ومبطل... وبالتالي لا علاقة للناسخ والمنسوخ في القرآن بهذه الآية.

هذا النموذج يتكرر في حالات كثيرة، يعتبرها هؤلاء الفقهاء نسخاً

(1) سورة البقرة، الآية: 144.

وما هي بذلك... مثل (الآية) في سورة المجادلة التي حرمَت الظهار الذي كان فعلاً سائداً في الجاهلية، أي قول الرجل لزوجته: أنت على كفْلِهِ أُمِّي، فتحرم عليه، وبقيها معلقة، فنزلت (الآية): ﴿وَالَّذِينَ يُظْهِرُونَ مِنْ نِسَاءِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحَرِّرُ رَبْقَةٌ مِّنْ فَكِّ إِنْ يَمْسَأَ﴾⁽¹⁾، وهذه أيضاً اعتبروها ناسخة، رغم عدم وجود (آية) سابقة تحلل أو تبيح الظهار، وهي نسخت فعلاً أو عادةً سائدة، ومثله كثير، ألم يأت الإسلام بنظام جديد للحياة، يلغى معظم ممارسات الجاهلية، فنسخ مجتمعاً وأقام مجتمعًا جديداً، وحتى نسخ أحكاماً سابقة على نزول القرآن وجاء بأحكام جديدة، فكيف نبرر القول أن (آيات) نسخت (آيات)؟... .

النموذج الثاني: (آيات) منسوبة بالاستثناء بعدها؟

توسيع مدرسة الناسخ والمنسوخ، لتشمل بالنسخ ما هو غير ذلك... كيف؟ لنقرأ سورة العصر:

﴿وَالْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ الْإِنْسَنَ لَفِي خَسِيرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّابِرِ ﴿٣﴾﴾.

العبارات متراقبة وجميلة في هذه السورة القصيرة، فالإنسان خاسر إلا إذا عمل صالحاً وتواصى بالحق والصبر... . فكيف تلاعب بها رواد مدرسة النسخ لتحقيق غرضهم؟ قالوا: إن الجملة الأولى نسخت أي أبطلت بما بعدها... إلَّا الَّذِينَ... وهذا الاستثناء عدوه نسخاً، فلم تسلم حتى أقصر سور من عبيتهم.

(1) سورة المجادلة، الآية: 3.

تريدون مثلاً آخر، قالوا:

إنَّ (الآية 173) في سورة البقرة: **﴿إِنَّا حَرَمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ﴾** منسوخة بالاستثناء (بالجملة) التي بعدها مباشرة: **﴿فَمَنِ اضطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾** وقالوا: صار حكم من اضطر منسوحاً وفي غير المضطر محكماً، فهل هذا نسخ أم تأكيد للقاعدة مع استثناء المضطر لطفاً من الله؟؟

ويورد النحاس - في هذا النموذج - ثلاثة وعشرين موضعًا نسخت بالاستثناء كهماين سورتين، لا مجال للإطالة في عرضها، ومن شاء فليرجع إلى كتابه.

لكتنا نشير إلى ما قاله ابن الجوزي⁽¹⁾ حول النسخ بالاستثناء، يقول: (وقد زعم قوم، أنَّ المستثنى ناسخ لما استثنى منه، وليس هذا بكلام من يعرف ما يقول، لأنَّ الاستثناء إخراج بعض ما شمله اللفظ، وليس ذلك بنسخ، وكذلك التخصيص) ... وابن الجوزي هنا ينعت النحاس بمن لا يعرف ما يقول، ولا ندرى بما كان النحاس سينعت ابن الجوزي لو عاش بعده ...

النموذج الثالث: (آيات) منسوخة بما بعدها

وهنا تزداد الغرابة، حين نجد (آيات) متصلة بعضها ببعض، لكنَّ اللاحق منها ينسخ السابق ...

يقولون إنَّ (الآية 183 من سورة البقرة): **﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامَ كَمَا**

(1) ابن الجوزي - تواسخ القرآن.

كتب على الذين من قبلكم) منسوخة (بآيتين) وردتا بعدها في السورة ذاتها، الأولى (آلية 185):

﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ﴾ والثانية (آلية 187): ﴿أَجَلَ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الرَّفِيقُ إِلَيْنَا يَنْسَأِكُمْ﴾.

أي نسخ هنا، هل أبطلت (الآياتان) اللاحقتان (آلية) الأولى، أم أكدتها بتفصيل واضح؟

فكل الأقوام كتب الله عليها الصيام كجزء من العقيدة، كل منها بطريقة و بتقويم محددين، وحدّد للمسلمين أن توقيتهم هو في شهر رمضان، وبين أن مضاجعة الأزواج جائزه بعد الإفطار، فما الذي نسخ ماذا؟

هل يقصدون طريقة الصيام، وهي غير مشار إليها في (آلية) الأولى أصلًا؟ .

النموذج الرابع: (آيات) منسوخة الطرفين، محكمة الوسط

يورد الزركشي في «البرهان في علوم القرآن»، قال ابن العربي: ومن أغرب آية في النسخ قوله تعالى: ﴿فَوْخِذُ الْقُرْآنَ وَأَتْرِهِ بِالْعِرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجِنِّيلِيْنَ﴾ أولها وآخرها منسوخان، ووسطها محكم ..

إذا كان الحال كذلك، فهل من يدلنا كيف نقرأ القرآن؟ ..

ثم إن النسخ، لو جاريناهم، لا يصح لجزء من آية، وإنما يجب أن يطالها كلها، على اعتبار سكتنا عن فهمهم المغلوط لقول الله ﴿مَا نَسَخَ مِنْ آيَةٍ﴾، فهو لم يقل: «ما نسخ نصفاً أو ثلثاً أو جزءاً من آية» . . .

النموذج الخامس: (آيات) أكثر من ناسخة.. ماسحة

يذكر النحاس أنَّ (آية السيف)، وهي قوله تعالى: «فَإِذَا أَنْسَخَ الْأَكْهَرَهُ الْحَرَمَ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدُوكُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوهُمْ كُلُّ مَرْضَدٍ»⁽¹⁾ هذه (الآية) نَسَخَت مائة وثلاثة عشر موضعًا من القرآن موزعة في خمسين سورة، تخيلوا العدد، هذه (الآية) البلدوذر مسحت 113 آية، منها على سبيل المثال: «وَلَا يُحِدِّلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا يُأْلِقُ هُنَّ أَحْسَنُ»⁽²⁾ أي بات يفترض أن لا تجادل أهل الكتاب بالحسنى، بل نقاتلهم في كل الأحوال، ودون جدال، علماً أن الله والرسول ميّزا دائمًا بين (المشركين) وبين أهل الكتاب، سواء في الموقف منهم أو في التعامل معهم، ومع أنَّ (الآية) ذاتها تذكر المشركين لا أهل الكتاب فكيف تنسخ تلك هذه؟ . . . ومنها أيضًا: «لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ» . . .

الأكثر غرابة هو القول الذي أورده الزركشي عن ابن العربي أن (هذه الآية نسخت 114 آية، ثم صار آخرها ناسخًا لأولها)، وهي قوله: «فَكُلُّ تَائِبٍ وَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَتُوا الزَّكَوَةَ فَخَلُوَ سَيِّئَهُمْ . . . ، وَنَسَاءُ: كَيْفَ تَنسَخَ آيَةً 114 آيَةً، ثُمَّ تُصْبِحُ ذَاتَهَا مَنْسُوخَةً؟، وَإِذَا اعْتَدْنَا أَنَّ نَسَخَ النَّسَخَ هُوَ إِبْطَالُهُ، فَهَلْ نَعُودُ إِلَى أَنَّ الْآيَاتِ الْمَائِةَ وَأَرْبَعَ عَشْرَةَ لَمْ تَعْدْ مَنْسُوخَةً، لَأَنَّ نَاسِخَهَا قَدْ تُسَخَّنَ؟

(1) سورة التوبه، الآية: 5.

(2) سورة العنكبوت، الآية: 46.

وقس على ذلك من تحريف . . .

ثُرى ما الذي بقي من القرآن، وكيف نقرؤه؟ هل نشطب (الآيات) المنسوخة؟ وهل تستقيم المعانى إذا فعلنا ذلك ؟؟؟ . . .

تخيل أن تقرأ سورة البقرة، مستثنية منها أربعة وثلاثين موضعاً منسوخاً، وسورة النساء المليئة بالأحكام، وفيها اثنان وعشرون موضعاً منسوخاً، وسورة العصر المكونة من آيتين فقط بعد القسم، إحداهما منسوخة، والأخرى ناسخة؟ .

حول هذه التماذج والتخطيط الحاصل لدى الفقهاء، يفيدنا الرجوع إلى أحدهم وهو السيوطي⁽¹⁾، يقول:

(إنَّ الَّذِي أَوْرَدَهُ الْمُكْثُرُونَ أَقْسَامًا: قَسْمٌ لَيْسَ مِنَ النَّسْخِ فِي شَيْءٍ، وَلَا مِنَ التَّخْصِيصِ، وَلَا لَهُ بِهِمَا عَلَاقَةٌ بِوْجُوهٍ . . . وَقَسْمٌ هُوَ مِنْ قَسْمِ الْمُخْصُوصِ لَا مِنْ قَسْمِ الْمَنْسُوخِ . . . وَقَسْمٌ رَقَعَ مَا كَانَ عَلَيْهِ الْأَمْرُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، أَوْ فِي شَرَائِعِ مِنْ قَبْلِنَا، أَوْ فِي أُولَى الْإِسْلَامِ وَلِمَ يَنْزَلَ فِي الْقُرْآنِ كَابِطًا نَكَاحَ نِسَاءِ الْأَبَاءِ وَمُشْرُوعَةِ الْقَصَاصِ وَالْدِيَةِ وَحَصْرِ الطَّلاقِ فِي الْثَلَاثَةِ؛ وَهَذَا إِدْخَالٌ فِي قَسْمِ النَّاسِخِ قَرِيبٌ، وَلَكِنْ عَدْمُ إِدْخَالِهِ أَقْرَبُ، وَهُوَ الَّذِي رَجَحَهُ مَكْيٌ وَغَيْرُهُ وَوَجَهُوهُ بِأَنَّ ذَلِكَ لَوْ عَدَ فِي النَّاسِخِ لَعَدَ جَمِيعَ الْقُرْآنِ مِنْهُ، إِذْ كَلَّهُ أَوْ أَكْثَرُهُ رَافِعٌ لِمَا كَانَ عَلَيْهِ الْكُفَّارُ وَأَهْلُ الْكِتَابِ. قَالُوا وَإِنَّمَا حَقُّ النَّاسِخِ وَالْمَنْسُوخِ أَنْ تَكُونَ آيَةً نَسْخَتْ آيَةً . . . فَإِذَا عَلِمْتَ ذَلِكَ فَقَدْ خَرَجَ مِنَ الْآيَاتِ الَّتِي أَوْرَدَهَا

(1) السيوطي - الإنegan في علوم القرآن.

المكثرون الجمُّ الغفير مع آيات الصفح والعفو إن قلنا إن آية السيف لم تنسخها ..

أخيراً، أليس غريباً عجيباً أنَّ ما اعتبروه (آيات منسوخة) لا تزال تُقرأ في الصلاة؟، فإذا كان الحكم قد نُسخ فيها فـأي معنى لقراءتها وتعبد الله بها؟ وهل يُعبد الله بـالفاظ معانيها ساقطة؟ بل أيَّ معنى لبقائها في القرآن، وأيَّ فائدة في تلاوتها؟؟؟

نقول إنَّ القرآن لا يأتيه الباطل من فوقه ولا من تحته.. فكيف قبل أنَّ الباطل والمبطل، أي الناسخ والمنسوخ، موجودان في متنه؟

ب - نسخ القرآن بالسنة

كما أسلفنا، حين لم تتوافر لرواد مدرسة الناسخ والمنسوخ (آيات) كافية لنسخ أحکام لم تتناسب سلاطينهم، جاء بعضهم بجناية لا مثيل لها على الإسلام، فخرجو بـكفر بـيْن، السنة تنسخ القرآن، أي إن أحاديث النبي يمكن أن تنسخ (آيات) القرآن وتبطل أحکامه، رغم أن القرآن محكمٌ متفق عليه، محفوظ من الله: «وَلَا إِلَهَ لَهُ حَفْظُونَ»، بينما الأحاديث غير متفق عليها، ومعروف الدس والاختلاق والكذب في بعضها، فكيف ينسخ ما هو مشكوك فيه، ما هو محفوظ من الله؟.....

لا مشكلة لديهم، فالغاية تبرر الوسيلة عندهم.. ويمكن استخدام بعض (الآيات) في القرآن، وتطويع معانيها ومدلولاتها لخدم الغرض، ما دامت الجموع جاهلة وقابلة.

فـإلام استندوا؟ قالوا: «وَمَا أَنْتُمْ بِرَسُولِيْنَ فَحَذِّرُهُ وَمَا هُنَّكُمْ عَنِّيْ»

فَانْتَهُوا⁽¹⁾، مع أن هذه (الآية) تتحدث عن توزيع الغنائم والفيء لا عن الأحكام، فالنص الكامل للأية يقول: ﴿مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرْبَىٰ فَلَلَّهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَأَيْنَ أَتَيْتُمْ كَيْ لَا يَكُونُ دُولَةٌ بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِرَسُولِيْ فَخَدُودُهُ﴾ (وما أتاكم الرسول فخذوه أعطاكم من الفيء، حسب تفسير الجلالين) وما نهاكم عنه فانتهوا واتقوا الله إن الله شديد العقاب.

و(الآية): ﴿فَلِيَحْذِرَ الَّذِينَ يُحَالِقُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا⁽²⁾﴾.

مع أن عدم مخالفته أمر الرسول لا علاقة لها باعتبار كلامه فوق كلام الله، والنبي لم (يأمر) بتقديم كلامه على وحي ربه . . . و: ﴿فَلَا وَرِبَّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ إِنَّمَا شَجَرَ يَنْهَمْ﴾⁽³⁾، مع أن الواضح هنا تحكيم النبي في الخلافات بين الناس، ولستنا نفهم علاقتها بكلام الله و(آياته)، ولم نسمع أن خلافاً شجر بين المسلمين على القرآن استلزم تحكيم النبي فيه.

أما في (الآية): (فرُدُوهُ إلى الله والرسول) فنلاحظ أن الله لم يقل فردوه إلى الله أو الرسول، أي إن الأساس هو ما يأتي عن الله، أما مهمة الرسول فهي الإنذار والتبلیغ لا أكثر ولا أقل.

هل هذه (الآيات) التي استندوا إليها مقنعة لغير الجاهل؟ وهل

(1) سورة الحشر، الآية: 7.

(2) سورة النور، الآية: 63.

(3) سورة النساء، الآية: 65.

يأتينا الرسول بما يلغى أحكام الله، أو ينهانا عما أراد لنا الله؟ أليست مهمة الرسول هي التبليغ ونقل الرسالة وتوضيح ما يلزم فقط؟ ألم يحدد الله دوره؟ :

﴿إِنَّ أَنَّ إِلَّا نَذِيرٌ﴾، ﴿إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنذِرِينَ﴾.

﴿وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾، ﴿فَإِنْ تَوَلُّوا فَإِنَّمَا عَلَيْكُمُ الْبَلَاغُ﴾، ﴿وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ﴾.

أكثر من ذلك، يؤكد الإله حكمه في ما يحتمل خلافاً، فيقول في سورة الشورى: ﴿وَمَا أَخْلَقْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ﴾، لم يقل: فحكمه إلى الله أو الرسول، في تحديد واضح للأدوار، لا مجال للخلط فيه لمن امتلك ذرة عقل..

أم أنهم اعتبروا كل هذه (الآيات) منسوبة، لا يعتد بها؟ ..

وكيف للنبي أن يأتي بما ينسخ القرآن؟، وهو العاجز أن يأتي بمثله، كما حسم الله ﴿قُلْ لَئِنْ أَجْتَمَعَتِ الْإِنْسَانُونَ عَلَى أَنْ يَأْتُوْنَ يَمْثِلُ هَذَا الْقُرْءَانَ لَا يَأْتُوْنَ يَمْثِلُهُ﴾⁽¹⁾، فهل يأتي بما ينسخه؟ ..

أم يأمر الله رسوله أن يقول: ﴿قُلْ مَا يَكُوْنُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقَائِي نَقْسِي﴾⁽²⁾؟، مع أنهم جاءوا بفتوى عجيبة لهذه (الآية) فقالوا: لم ينسخه من تلقاء نفسه بل بوحي من غير القرآن، تخيلوا أن الوحي ينزل بالأحكام بما هو قرآن وما هو غير قرآن، فيختلط الأمر وتضل

(1) سورة الإسراء، الآية: 88.

(2) سورة يونس، الآية: 15.

الأمة... أليس هذا اتهاماً للقرآن بالنقص الذي يستلزم الاستكمال أو التعديل من قبل النبي؟!.

ثم، إنَّ في كتب الحديث أحاديث عديدة تبين أنَّ ما كان يتحدث به النبي عن غير طريق جبريل كان من اجتهاده، ولم يكن وحياً من الله تعالى، كالحديث الذي رواه البخاري ومسلم وأبو داود عن رجلين جاءا يختصمان إلى النبي وليس بينهما بيعة، فقال النبي : (إنكما تختصمان إلىَّي وأنا بشر، ولعلَّ بعضكم أحن بحجه من بعض، وإنما أقضي بينكما على نحو ما أسمع)، وفي رواية أبي داود: (إنما أقضي بينكما برأي في ما لم ينزل علىَّ، فمن قضيتُ له من حقٍّ أخيه فلا يأخذه، فإنما أقطع له قطعة من نار) . . .

أليس هذا دليلاً على أن النبي يعلن أن حكماته ليست كأحكام الله التي جاءت في القرآن؟ . . . كما هي أعماله وممارساته ليست بالضرورة وحياً من الله، ألم يقبل مشورة أصحابه في غزوة بدر حين نزل بهم منزلًا، فسألهم بعضهم: أعن أمير من الله نزل بهم هذا المنزل، أم هو الرأي والمكيدة؟، فقال: بل هو الرأي والمكيدة، فأشير عليه حينئذ أن يمضي بال المسلمين عن هذا المنزل الذي لم يكن يلائم خطط الحرب، حتى ينزل بهم في المنزل الملائم قرب الماء . . .

ثم ألم يقل الله في سورة الحاقة متحدثاً عن الرسول: ﴿تَنْزِيلٌ مِّنْ رَّبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (أي الكتاب) ﴿وَلَوْ لَقُولَ﴾ (أي محمد) ﴿عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَفْوَابِ﴾ ﴿لَأَخْذَنَا مِنْهُ إِلَيْنِ﴾ (أي لعقابنا بقوه) ﴿ثُمَّ لَقَطَنَا مِنْهُ الْوَيْنَ﴾ (أي لقطعنا

نياط قلبه) ﴿٤٦﴾ فَمَا يَنْكُرُ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزَنَ (أيًّا لَمَا استطاع أحدٌ منكم منع عقابنا عنه) ﴿٤٧﴾ وَإِنَّمَا لِذِكْرِهِ لِتَنْتَقِينَ ﴿٤٨﴾ .⁽¹⁾

بعد هذا الوعيد الصريح، هل كان النبي ليقبل أن يدعى أحدٌ أنه تقول على ربه، وأبطل (آيات) من كتابه المحكم؟...
وإذا كان هذا الوعيد والإنذار موجهين إلى النبي، فأيُّ وعيد، وأيُّ إنذار لغيره من التابعين؟؟

النموذج الأسطع، والأخطر

إبان الخلاف بين علي ومعاوية على الخلافة، ظهرت المقوله المنسوبة إلى عبد الله بن سبأ بوصاية علي، أي إنَّ النبي وصَى لعلَّي بعده، فاستنفر معاوية مَنْ حوله، لإبطال هذه المقوله، خوفاً من تأثيرها على المسلمين، وجاء بحديث عن أهل المغازي (؟)، أي العسکر الذين قدموا من الجزيرة إلى الشام، دون تحديد، منسوباً إلى النبي، هو حديث: (لا وصيَّة لوارث الشهير)، الذي يعني أنَّ المتوفى لا يجوز أن يوصي لأحد من ورثته، مما حفَّ على معاوية الذي استثمر الحديث للعب بعقول الجهلة من المسلمين، وترسَّخ هذا الحديث طوال العصر الأموي، ثم أكَّده العباسيون، حيث أَنَّه يخدمهم في مواجهة أبناء عمومتهم آل علي... .

هذا الحديث نسخ (آيات) صريحة في القرآن، وأحد الأحكام

(1) سورة الحاقة، الآيات: 43/48

والحدود التي أمرنا الله بالتزامها، وجعل مصير من يتعداها ويخالفها إلى النار.. وهي (الآيات) من سورة البقرة: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدُكُمُ الْمَوْتَ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا لِلْوَالِدَيْنَ وَالْأَقْرَبَيْنَ يَالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُنَفِّعِينَ﴾⁽¹⁾ .. والتي تفرض حدًّا من حدود الله، تماماً (كالآية) بعدها التي تحدثت عن حدًّ آخر هو الصيام: ﴿يَاتَاهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَنَقُّونَ﴾⁽²⁾.

كما نسخ (آيات) المواريث في سورة النساء، التي فضل فيها توزيع الإرث، بعد تنفيذ الوصية وسداد الدين: (من بعد وصيّة.. أو دين) وكررها خمس مرات... و(الآية) في سورة المائدة التي أرشدنا فيها إلى كيفية التوصية قبل الموت: ﴿إِذَا حَضَرَ أَحَدُكُمُ الْمَوْتَ حِينَ الْوَصِيَّةِ﴾⁽³⁾، انظر بحثنا «الوصية للوارث».

وهو - أي الحديث - نسخ أيضاً حدثاً آخر للنبي، يؤكّد (الآيات) السابقة، ويسجّم معها، وهو الحديث الذي نقله عبد الله بن عمر، عن النبي قال: «ما حُقُّ امرئ مسلم، له شيء يوصي فيه، يبيت ليلاً، إلا ووصيته مكتوبة عنده»، وحديثه الآخر الذي حدد فيه مقدار الوصية، حين عاد سعد بن أبي وقاص في مرضه، فقال: (الثلث، والثلث كثير)... . . .

تصوروا، حديث من ثلاث كلمات، جاء به معاوية وزبانيته، يلغى

(1) سورة البقرة، الآية: 180.

(2) سورة البقرة، الآية: 183.

(3) سورة المائدة، الآية: 106.

وينسخ كلًّا هذه (الآيات) والأحاديث المتفقة معها، أليست مصلحة السلطان، وسطوته، أهم من أحكام الله لديهم؟!.

ونشير إلى أنَّ المحاكم الشرعية في أكثر البلاد العربية والإسلامية، لا تزال حتى يومنا هذا تأخذ بهذا الحديث، وترفض أية وصية، فأيُّ جنائية هذه؟ مع العلم أن الشافعي واضح أسس الفقه الستي أنكر نسخ الحديث للقرآن.

لنتهِ الجدال.. كانت سورة المائدة من أواخر السور التي نزلت قبل وفاة النبي، فهي السورة الثالثة قبل الأخيرة (بعدها التوبة والنصر فقط)، واستهلَّها في (الآية) الثالثة منها بقوله: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيَتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾، ولهذا أعطى الله فيها أحكاماً نهائية، وفصل ما يتعلّق بالحلال والحرام والمعاملات والطعام والشراب والزواج والعبادات والحكم والقضاء والشهادات وإقامة العدل..

في هذه السورة، يحذرنا الله من الحكم بغير ما أنزل، ويكرر التحذير أربع مرات:

﴿وَمَنْ لَئِنْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكُفَّارُ﴾⁽¹⁾.

﴿وَمَنْ لَئِنْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾⁽²⁾.

﴿وَمَنْ لَئِنْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾⁽³⁾.

(1) سورة المائدة، الآية: 44.

(2) سورة المائدة، الآية: 45.

(3) سورة المائدة، الآية: 47.

﴿أَفَحُكْمُ الْجَهَلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنَ مِنَ اللَّهِ حَكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقَنُونَ﴾⁽¹⁾.

أليست هذه (الآيات) واضحة وصريحة في الأمر باتباع أحكام الله،
ومَنْ أَحْسَنَ مِنَ اللَّهِ حَكْمًا .. .

ولو حاججنا أنصار مدرسة الناسخ والمنسوخ بحججهم ومنطقهم،
لجاز لنا أن نقول: ألا تنسخ هذه (الآيات)، وهي أواخر ما نزل من
القرآن، (الآيات) التي استندوا إليها في تبرير النسخ؟ ولندعهم
للحظة أن الله لم يقل في (الآيات) الأربع: بما أنزل الله
والرسول، ولكن بما أنزل الله، فقط .. .

وللتذكرة ما فصل الله في سورة الأنعام:

﴿أَفَتَرَى اللَّهُ أَنْتَفِي حَكْمًا وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا وَالَّذِينَ مَا تَيَّبَّهُمُ الْكِتَابُ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنْزَلٌ مِّنْ رَّبِّكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُونُنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾⁽²⁾، وما أكده في (الآية) اللاحقة: «وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدَلًا لَا مُبْدِلَ لِكَلِمَتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ»⁽³⁾ وصدق الله العظيم.

بعد هذا، هل يجوز لعاقل أن يُنكر من كلام الله شيئاً، بحججه أنه
منسوخ؟ وهل مقوله الناسخ والمنسوخ هي مما يقبله عقل
المسلم؟ .. .

أَلْسَنَا نِسْمَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى بِتَحْرِيفِ كِتَبِهِمْ؟، وَأَلْسَنَا نِحْوَنِ حُوْهُمْ

(1) سورة المائدة، الآية: 50.

(2) سورة الأنعام، الآية: 114.

(3) سورة الأنعام، الآية: 115.

هنا ، فإذاً يتعدّر علينا تحرير النص ، نلجمًا إلى التأويل والأحاديث غير المؤوثقة لتحرير أحكام الله ؟؟

ألا يتوجّب على المسلم العاقل أن يبحث عن المعانى الصحيحة (آيات) يريدون إيهامه أنها تعارض بعضها بعضاً ، بدلاً من الاستسلام للنقل والموروث عن فقهاء السلاطين :

﴿وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكْيَنَةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي ءَادَائِهِمْ وَقَرَاءَتِهِمْ﴾⁽¹⁾ .

﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبِ أَفْنَاهَا﴾⁽²⁾ .

إن قراءة كل آيات القرآن ، وربطها بظروف تنزيلها ، وتدبر معانيها الصحيحة ، بعد سقوط وتهافت مفهوم الناسخ والمنسوخ ، هو السبيل إلى فهم الرسالة ، كما أراد لنا الله أن نفهمها ونعيها . . .

وأول ما يتوجّب علينا إدراكه أن آيات السيف لم تنسخ (آيات) الخطاب والمجادلة بالحسنى لإخواننا المسلمين أتباع الشرائع السماوية الأخرى . . .

وغير ذلك كثير مما حلّلنا وحرّمنا تحت مسميات باطلة كالمنتذوب والمكره وأباطيل السلف الأخرى . . .

(1) سورة الإسراء ، الآية : 46.

(2) سورة محمد ، الآية : 24.

الإضاءة السابعة

الوصيّة للوارث

نموذجًا

فَرَضَ اللَّهُ عَلَى الْمُسْلِمِينَ مَجْمُوعَةً مِنَ الْأَحْكَامِ، فِي سُورَةِ الْبَقْرَةِ، أُورِدَتْهَا بِصِيغَةِ: كُتُبٌ عَلَيْكُمْ، أَحَدُ هَذِهِ الْأَحْكَامِ هُوَ وَاحِدٌ مَمَّا اعْتَبَرَ أَحَدًا (الْأَرْكَانَ) الْأَسَاسِيَّةَ لِلإِيمَانِ بِشَرْعَةِ مُحَمَّدٍ، وَهُوَ الصِّيَامُ:

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُنْتُمْ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ كَمَا كُنْتُمْ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقَوْنَ﴾⁽¹⁾.

وَهَذَا فَرَضٌ قَطْعَيُّ الدِّلَالَةِ، لَا تَجُوزُ مُخَالَفَتُهُ، بِاستِثنَاءِ الشُّرُوطِ الَّتِي حَدَّدَهَا الإِلَهُ لِلْحَالَاتِ الْخَاصَّةِ كَالسَّفَرُ وَالْمَرْضُ وَالْعَذْرُ وَالْبَدْلُ.

الْحُكْمُ الْأَخْرَانُ لِلذَّانِ وَرَدَ فِي السِّيَاقِ ذَاتِهِ مُتَقَدِّمًا حُكْمُ الصُّومِ، تَبَاعًا، هَمَا الْقَصَاصُ فِي الآيَةِ 178:

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُنْتُمْ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى﴾.

وَالْوَصِيَّةُ فِي الْآيَتَيْنِ 180/181، وَهِيَ هُنَا مَوْضِعُ بَحْثِنَا . . .

﴿كُنْتُمْ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدُكُمُ الْمَوْتَ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًا عَلَى الْمُتَقْبِلِينَ ﴿١٨٠﴾ فَمَنْ بَدَلَهُ بَعْدَمَا سَمِعَهُ فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ إِنَّ اللَّهَ سَيِّعُ عِلْمَهُ﴾.

يَقُولُ عُمَرُو خَالِدٌ فِي كِتَابِهِ: «خَوَاطِرُ قُرَآنِيَّةً»: إِنَّ هَذِهِ الْمُحَاوِرَةِ الْثَّالِثَةِ الْمُتَتَابِعَةِ - الْقَصَاصُ وَالْوَصِيَّةُ وَالصِّيَامُ - هِيَ سِيَاجٌ يُحْمِي

(1) سُورَةِ الْبَقْرَةِ، الآيَةُ: 183.

المنهج، ذُكِرَت بطريقة متراقبة ومدهشة لا تشيه طريقة البشر في الشرح والعرض.

فالوصية فرضٌ، كما الصيام والقصاص، وهي فرض على المؤمن حذده الله للوالدين وللأقربين الذين هم بالأساس من الوارثين حكماً.

والخطاب، يا أيها الذين آمنوا، لا يا أيها الناس، لأن التزام الفروض والحدود جزءٌ من الإيمان، كما أن ذلك حقٌ على المتقين، أي شرط للتقوى أكَّد عليه في الآيات ذاتها . . .

وحيث فصل الله المواريث في سورة النساء، أكَّد على أسبقية الوصية على قسمة الميراث بكلفة أشكاله:

﴿إِنَّمَا يُحِبُّ اللَّهُ مَا يُوصِّيُكُمْ (وَوِصْيَةُ اللَّهِ فَرِضٌ وَأَمْرٌ وَحْدٌ) فِي أَنْ تُنْذِرُوكُمْ لِلَّذِي كُرِّمْتُمْ بِهِ إِذْ أَنْتُمْ إِنَّمَا تَرَكُونَ مَا تَرَكْتُمْ إِنْ كَانَتْ وَجْهَةُ فَلَهَا الْيُقْسِفُ وَلَا يَرْبُو يَلْكُلُ وَيَجْرِي مِنْهُمَا السُّدُسُ إِنْ كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ (منَ الْبَنِينَ أَوِ الْبَنَاتِ) فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَكُمْ وَلَدٌ وَوَرِثَتْهُ أُبُوهُمْ فَلَا يُؤْتُمُ الْأُلْثَلِثُ فَإِنْ كَانَ لَهُمْ إِخْوَةٌ فَلَا يُؤْتُمُ السُّدُسُ إِنْ بَعْدَ وَصِحَّةِ يُوحِي يَهُآ أَوْ دَيْنٍ مَا بَأْذَكُمْ وَإِنْ تَأْوِلُمُ لَا تَدْرُونَ أَيْمَنَمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا فَوِصِلَكُمْ مِنْ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْمًا حَكِيمًا﴾ (1).

يوصينا الله، ويؤكِّد أنها فريضة، أن تنفذ الوصية ونسد الدين، قبل القسمة بين الوارثين . . . وفي تفصيل واضح، يشمل المرأة والفرد والجماعة بحكم التوصية، نتابع :

(1) سورة النساء، الآية: 11.

﴿وَلَكُمْ نِصْفٌ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ﴾ (أي نساؤكم) إن لَمْ يَكُنْ لَهُ بْرَأْسٌ
 وَلَدٌ فَإِنْ كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمُ الْرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ
يُوصَىٰ بِهَا أَوْ دِينٍ وَلَهُنَّ الْرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَكُمْ وَلَدٌ
 فَإِنْ كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثُّمُنُ مِمَّا تَرَكْتُمْ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ
يُوصَىٰ بِهَا أَوْ دِينٍ وَإِنْ كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كُلَّهُ (أي لا والده ولا
 ولد) أَوْ امْرَأً وَلَهُ أَحَدٌ أَوْ أُخْتٌ فِي الْكُلِّ وَاحْدَاهُ مِنْهُمَا الْشَّدُّسُ فَإِنْ كَانُوا
أَكْثَرُ مِنْ ذَلِكَ فَهُمْ شَرَكَاءُ فِي الْكُلُّ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَىٰ بِهَا أَوْ دِينٍ
غَيْرِ مُضَارٍ (بأن يوصي أكثر من الثالث، كما ورد في الحديث) وَصِيَّةٌ
مِنْ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلَيْهِ حَلِيمٌ ١٢ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يُطِيعُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ
يُدْخِلُهُ جَنَّتِي تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَلِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ
الْقَوْزُ الْعَظِيمُ ١٣ وَمَنْ يَعْصِي اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودُهُ يُدْخِلُهُ
نَارًا خَلِدًا فِيهَا وَلَمْ يَعْزَلْ عَذَابُ مُهِيمٍ ١٤ .⁽¹⁾

والكلام هنا عن حدود يُجزى من يُطعها، ويعاقب عاصيها
 ومتعدديها بنار جهنم، دون إشارة إلى احتمال المغفرة فيها، فالحدُّ
 صريحٌ وملزمٌ لا مراعاة فيه . . .

فالله يُحَمِّلُهُ ، كَتَبَ وَفَرَضَ علينا الوصية، ثُمَّ أمرنا بإعطائهما
 الأسبقية على التوزيع الشرعي للميراث، وجعل من ذلك حدًّا ملزماً
 يفصل بين مآلنا إلى الجنة أم النار.

وحيث أنَّ الله يُحَمِّلُهُ أراد أن يكون هذا الحد واضحاً لا لبس فيه،

فقد فصل فيه بأكثـر مما فصل في حكم الصلاة مثلاً، لارتباطه بالعلاقة بين العباد بعضهم ببعض، فجاء في سورة المائدة بأدق التفاصيل عن كيفية التوصية والإشهاد على الوصية:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا شَهَدُوكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدُكُمُ الْمَوْتَ حِينَ الْوَصِيَّةِ أَئْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنْكُمْ (من المؤمنين) أَوْ أَخْرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ (إن لم يتوفـر مؤمنان) إِنْ أَنْتُمْ ضَرِبُتُمْ فَأَصْبِرُوكُمْ مُّصِيبَةُ الْمَوْتِ تُحْسِنُهُمَا مِّنْ بَعْدِ الْمَوْتِ فَيُقْسِمَانِ يَأْتِيَهُ إِنْ أَرْبَسْتَ لَا نَشَرِّى بِهِ ثَنَانًا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَلَا تَكْتُمْ شَهَدَةَ اللَّهِ إِنَّا إِذَا لَمْنَا الْآتِيَّينَ ﴾⁽¹⁾ وتتابع الآياتان اللاحقتان التفصيل أكثر.

وهو يُعرِّجُكُمْ يخص الزوجة بوصية:

﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّونَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِأَزْوَاجِهِمْ﴾⁽²⁾.

(آيات) عديدة في ثلاث سور من القرآن، في تفصيل واضح، تجاوز تفصيل أي حد آخر من حدود الله.....

وقد أمرـنا الله يُعرِّجُكُمْ بأخذ الإسلام بأحكامـه كلـها، وحدـرـنا من أخذ جـزء وترـك جـزء آخر، كما فعل اليـهـود:

﴿أَفَقْتُمُونَ بِعَيْنِ الْكَتَبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضِهِ﴾⁽³⁾.

ولـم يـقـتـ النبي تـأـكـيدـ هذا الـأـمـرـ، فـخـاطـبـ المـسـلـمـينـ، فـي حـدـيـثـ عبدـ اللهـ بنـ عمرـ - إنـ صـحـ - بـقولـهـ: (ماـ حـقـ اـمـرـيـ مـسـلـمـ، لـهـ شـيـءـ

(1) سورة المائدة، الآية: 106.

(2) سورة البقرة، الآية: 240.

(3) سورة البقرة، الآية: 36.

يوصى فيه، يبیت ليلتين إلا ووصیته مكتوبة عنده⁽¹⁾، وهو وضع تقديرًا للوصية، في حديثه لسعد بن أبي وقاص، حين عاده مريضاً - إن صحّ - بقوله: «الثالث، والثالث كثیر»⁽²⁾.

قيل إنَّ النبي لم يوصِ بمال، وهو اعتبر أنَّ الأنبياء لا يورثون: «نحن الأنبياء لا نورث، مالنا صدقة» وهذه تخص الأنبياء، إن صحّ الحديث، لكن، ألم يوصِ بالتزام كتاب الله؟ ..

نستحضر رواية ذات مدلول كبير، حول التزام المسلمين ممَّن صاحب النبي، بالوصية عملاً بالنص الإلهي، إذ تورد كتب السيرة هذا النص: ... (يقول عبد الله بن الزبير بن العوام أنه غداة مقتل أبيه الزبير في يوم الجمل، وبعد أن سدد ديونه، ونفَّذ وصيته قسم تركته، وكان له أربع نسوة، فأصاب كل امرأة ألف ألف ومائتا ألف درهم، وكان جميع ماله خمسين ألف ألف ومائتي ألف دينار...؟؟.).

فإذا كان هذا هو فهم وتطبيق المسلمين القريبين من النبي لمبدأ الوصية، فهل التزم المسلمون بعد ذلك بحدود الله، وأوامر نبيه؟

لعل من المثير للاستغراب والاستنكار، أنَّ معظمهم خالف وعمل بعكس ذلك، في عصيان الله ورسوله وتعدُّ للحدود في الوصية، رغم تهديدهم ب النار جهنم... .

نقول معظمهم، لأنَّ هذا العصيان بات من مذاهب أهل السنة، أما الشيعة فالالتزاموا النص ..

(1) أخرجه البخاري.

(2) أخرجه البخاري.

وعلى امتداد أربعة عشر قرناً، حُرِّم ملليارات من المسلمين أتباع المذهب الشيعي من إطاعة الله في حد من حدوده، بالوصية قبل موتهم، ومن فعلها، رفضت المحاكم الشرعية في معظم البلدان الإسلامية الاعتراف بوصيته، ضاربة عرض الحائط بكتاب الله، مما ألجأ الكثير من المسلمين إلى عقود البيع دون مقابل، للتخلص من عنت هذه المحاكم ورفضها الامتثال لحدود الله (فعلها جدي لأمي، وحيدته).

فما مستند الشرع السائد والموروث في مخالفة حدود الله المؤكدة تكراراً في القرآن والحديث؟

الإجابة توحّي بمهرزلة تدعو إلى الرثاء لحال الفقه الإسلامي المتوارث والمبتلي.

حين بدأ الخلاف بين عليٍّ ومعاوية بن أبي سفيان، حول الحكم والملك، وانتشرت دكاكين الدعوة لهذا الطرف أو ذاك، أحدث عبد الله بن سباء، اليهودي، (حسب بعض المصادر) القول بوصية النبي بالإمامية لعليٍّ من بعده: (قبل أن يتمادي بالقول في الوهية على)، مضيفاً بعداً قدسيّاً على حقّ عليٍّ، لم يكن يحتاج إليه لحقّه البين في الخلافة، فكان لا بدّ للطرف الآخر أن يتصدّى للأمر، لا بنكران وصيحة النبي لعليٍّ، وإنما بنقض مبدأ الوصية من أساسه، وهنا استعان معاوية الذي استثمر كل قواه في تحقيق أهدافه، دون أن يردعه رادع عن الإساءة إلى المقربين من الرسول وأهل بيته وبيت عليٍّ، ببعض (الصحابة)، مستغلًا سلطوته وضعفهم، لنسب أحاديث إلى الرسول تنقض الوصايا المفترضة.

فجاءوا بحديث عن الأسود قال: ذكروا عند عائشة أنَّ علياً كان وصيًّا، فقالت: متى أوصى إليه؟، وقد كنت مسندته إلى صدري، فدعنا بالطست، فلقد انخنت في حجري، فما شعرت أنَّه مات، فمتي أوصى إليَّ؟⁽¹⁾.

وحيث أنَّ عائشة كانت طرفاً في الخلاف مع عليٍّ، فقد خشي أن لا يؤخذ بقولها، فكان الأحكام نقض المبدأ من أساسه، فجاء فقهاء معاوية بالحديث الغريب، الأشهر الذي أُسند إلى (أهل المغازي؟) ناسين إلى النبي أنَّه قال «لا وصية لوارث»....

وقد ورد هذا الحديث، عن مصدر آحاد، هو عمرو بن خارجة، أنَّ رسول الله قال في حجَّة الوداع: «أيها الناس، إنَّ الله أذى إلى كلَّ ذي حقٍّ حقه، وإنَّه لا تجوز وصيَّة لوارث».... أخرجه الترمذى في سننه، والنسائي في سننه، وأحمد في مسنده، دون أن يخرجه الآخرون، ولنلاحظ أنَّ النبي خاطب الناس في حجَّة الوداع، فكيف لم يروه غير عمرو بن خارجة، ولم يرد في الخطبة المعروفة، وهي آخر ما خاطب به محمدٌ أتباعه علانية وجهاً؟.

ثلاث كلمات كانت كافية، بحكم الجهل وسطوة معاوية، لإلغاء (آيات) عديدة من كلام الله في محكم كتابه، وأحاديث أخرى للنبي، وشطب حد من حدود الله ..

ولتعزيز الأمر أكثر، ظهرت مدرسة «الناسخ والمنسوخ»، دون التفات إلى قول الله بأنَّ لا مبدل لكلماته، (وقد فضلنا ذلك في الإضاعة

(1) أخرجه البخاري.

السابقة)، فاعتبر فقهاء السلطان أنّ سورة المواريث في آية النساء نسخت حكم الوصيّة، مع أنّ أكثرَنا جهلاً يلحظ أنّها أكَدتها ولم تنسخها، وكيف ينسخ الله حكماً وثُقَّه (كتُبَ عليكم) وجعله (حقاً على المتّقين)؟.

وجاء آخرون أكثر إسفافاً، فقالوا بأنّ السنة، أي الحديث، تنسخ القرآن؟، وأقصىت (الآيات) والحديث الأول للرسول : (ما حَقٌّ امرئ مسلم، له شيء يوصي فيه، يبيت ليلترين إلا ووصيته مكتوبة عنده) لمصلحة «لا وصيّة لوراث»، فكان هذا مستنداً لحكم آل أمية (الطلقاء) الذي امتد 91 عاماً، ولم ينقضه فقهاء السلطان الآخرون في العهد العباسي لأنّه يعمل لمصلحتهم في مواجهة أبناء عمومتهم، آل علي، كما لم يجرؤ فقيه صالح على نقضه على امتداد القرون اللاحقة.

هل يمكن تصور أننا لا نزال محكومين بفقهه، بُنيَ على كذبة استلزمها صراع لا دور لنا فيه، ولم يعد يعنينا، مخالفين حدود الله، بعصيان نبّهنا أن عقابه نار جهنّم.

وكيف ننصر إلى مئات الفقهاء الذين يحاضرون علينا يومياً، على شاشات الفضائيات، مالئين البرامج الدينية زعيقاً وصرراخاً، مكتفين بالنقل دون العقل؟ أليست مهمتهم إعمال عقولهم (إن كان لهم عقول تتجاوز مساحة الفتاوي المخزية التي يتحفوننا بها)، وتصحيح هذه الكارثة ومثيلاتها التي تنعكس على حياة كلّ مسلم؟.

تخيلوا أحدنا حضرة الموت، ولديه أمْ عاجزة تحتاج إلى رعاية، أو ابنٌ مريض، أو أختٌ أو بنتٌ عانس، أو عدة أبناء صرف على

أكبرهم فأنهوا تعليمهم، وأمنن لكل منهم سكناً وعملاً، وبقي بعض الصغار يحتاجون إلى الرعاية والتعليم والمساندة في ترتيب أمور حياتهم، مما يستلزم التوصية لهم بحاجتهم، والأمثلة الأخرى كثيرة موجودة في واقعنا... فهل من المعقول أن يكون الحل في التلاعب والتحايل والدوران على القوانين وتروير عقود البيع الوهمية، في حين لدينا شرع الله الذي أقصيناها كرمى لخلاف عليٍّ ومعاوية الذي فات عليه أربعة عشر قرناً؟

ولماذا نهمل الآية:

﴿وَمَا أَخْلَقْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبِّ عَلَيْهِ تَوَكَّلُتُمْ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾⁽¹⁾

أليس المسلمين هم الأمة الوحيدة التي لا تعمل بالوصية؟

ثم، أليس من الواجب أن تتحرك الحكومات، وال المجالس النيابية، لتصويب التشريع، والعودة إلى شرع الله الصحيح، ورفع الظلم عن أهل هذا الدين، دون أن ننسى دور المثقفين ووسائل الإعلام في التوعية والتأثير حتى يسود الحق، ويعود المسلم إلى الرشد والعمل بكلام ربِّه:

﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدُكُمُ الْمَوْتَ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا وَلَوْلَدَيْنِ وَالْأَقْرَبَيْنِ بِالْمَعْرُوفِ حَقًا عَلَى الْمُتَقِينَ ﴿١٨٠﴾ فَمَنْ بَدَأَهُ بَعْدَمَا سَعَمَ فَإِنَّهَا إِثْمٌ عَلَى الَّذِينَ يَبْدُلُونَهُ إِنَّ اللَّهَ سَيِّعُ عَلَيْمٌ﴾⁽²⁾

(1) سورة الشورى، الآية: 10.

(2) سورة البقرة، الآيات: 180 و 181.

جنابية الأئمة والفقهاء

﴿لَا يَمْسِحُونَ إِلَّا مُطَهَّرُونَ﴾ [الواقعة: 79]

(فقه التحريف في لمس المصحف الشريف)

نموذج مخجل أول

- «إِنَّمَا أَفْعَلُوا عَابِرَاتٍ هُنَّ ضَالِّيْنَ ﴿٦٩﴾ فَهُمْ عَلَىٰ

عَذَابِهِمْ يَبْرُغُونَ ﴿٧٠﴾ وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ

الْأُولَائِنَ ﴿٧١﴾» [الصفات: 69-71]

- «أَمْ لَهُنَّ شَرِكُّوْنَا شَرَعُوا لَهُمْ بَيْنَ الْأَيْنِ

مَا لَمْ يَأْذِنْ بِهِ اللَّهُ وَلَوْلَا كَلِمَةُ الْفَصْلِ

لَقُضَىٰ بِهِمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ

أَلِيمٌ» [الشورى: 21]

- «إِنَّمَا أَخَافُ عَلَىٰ أَمْنِي الْأَئِمَّةِ الْمُضْلِّيْنَ»

حديث شريف

نشر أحد الواقع الالكترونيه الإسلامية على شبكة الانترنت خبراً مختصراً يفيد بأنّ حكومة الدانمرک أقرّت تدريس مادة الدين الإسلامي والقرآن الكريم لطلاب المدارس الثانوية.

وقد عكست معظم التعليقات ردود فعل إيجابية على الخبر، مستبشرة به، واجدة فيه باباً جديداً يُفتح لانتشار الإسلام، من منطلق أن من درسَ هذا الدين وجد فيه ما يملأ روحه ويحترم عقله، وبات أقرب إلى سبيل الهدایة.

إلا أن الطامة الكبرى كانت في بعض التعليقات الأخرى، التي رأت أن الأمر يعني أن القرآن سيكون بين أيادي الطلاب الدانمركيين غير المسلمين، وغير الطاهرين (؟)، وأن في ذلك مخالفة لقول الله تعالى: ﴿لَا يَمْسِهُ إِلَّا الظَّاهِرُونَ﴾، وأن نيل الغاية يجب أن لا يبرر مخالفة كلام الله، وبالتالي يجب معارضته هذا الأمر....

والراجحة أن المسلمين الذين يتلقون مع هذا الرأي الغريب ويعملون به، هم أكثر من يعارضونه.

هذا الفهم القاصر، الكارثي المغلوط، يملأ عقول ملايين المسلمين، بل المليارات منهم، متذكّر من ألف عام، ولا يزال، وسيستمر جيلاً بعد جيل.

فمن أين تأتي هذا الفهم، وما سببه، وهل هو تقصير الفرد المسلم

في استيعاب كلام الله وفهم نصوص الكتاب؟ أم أن هناك من يقف خلف هذا القصور، ومن أسس له، ونشره وعممه، مستغلًا جهل الجمهور، وتقاعس المسلمين عن الدراسة الواقعية المستندة إلى العقل، لكتابهم الكريم؟.

ولكن، ماهو المعنى الصحيح الذي أراده الله تعالى بهذه العبارة؟
قبل أن نعمل العقل، دعونا نبحر في صفحات الكتاب، ونتحرى
المعنى والمدلول، من خلال متابعة ما أخبر الله به نبيه وعباده عن
القرآن، ملتزمين تسلسل نزول السور.

أول ذكر لكلمة القرآن ورد في سورة (المزمل) وهي ثاني سورة نزلت على النبي :

﴿يَا أَيُّهَا الرَّزِّيلُ ۝ قُرْ أَيْلَ إِلَّا قَبِيلًا ۝ يَصْفُرُ أَوْ أَقْصُرُ مِنْهُ قَبِيلًا ۝ أَوْ زِيدٌ عَلَيْهِ وَرَتِيلُ الْقُرْآنَ تَرِيلًا ۝ إِنَّا سَتَلِقُ عَيْنَكَ قَوْلًا تَقِيلًا ۝﴾^(١) . ثم تابعت الآيات:

﴿بَلْ يُرِيدُ كُلُّ أَمْرِيٍّ مِّنْهُمْ أَنْ يُؤْتَى مُشْفَعًا مُّلْتَزِمًا﴾⁽²⁾ أي كتاباً يقرأه...
 ﴿فَمَنْ شَاءَ ذَكَرَهُ ﴿١٢﴾ فِي مُحْكَمَةٍ ﴿١٣﴾ مَرْفُوعًا عَنْ مُطْهَرٍ ﴿١٤﴾ بِأَيْدِي سَرْقَةٍ ﴿١٥﴾
 كَرَمٌ بِرَدَرٍ ﴿١٦﴾⁽³⁾، وصَحْفٌ مَكْرَمَةٌ (عِنْدَ اللَّهِ)، وَمَرْفُوعَةٌ (فِي السَّمَاوَاتِ)،
 وَمُطْهَرَةٌ (مَنْتَهَةٌ عَنْ مَسِ الشَّيَاطِينِ)، بِأَيْدِي سَرْقَةٍ (كِتَابٌ يَنْسَخُونَهَا فِي
 الْلَّوْحِ الْمَحْفُوظِ)، وَكَرَامٌ بَرَرَةٌ (مَطْبَعَيْنِ اللَّهِ وَهُمُ الْمَلَائِكَةِ)⁽⁴⁾.

(1) سورة العزمل، الآيات: 1/5.

الآية: 52 سورة المدثر، (2)

⁽³⁾ سورة عبس، الآيات: 12/16.

(4) تفسير الجلالين

﴿بَلْ هُوَ قَرْءَانٌ مَّجِيدٌ﴾ (١) ﴿فِي لَوْجٍ مَّكْفُوظٍ﴾ (٢)

﴿لَا تُحْزِكُ بِهِ إِسَائَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ﴾ (٣) ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمِيعُهُ وَقَرْءَانُهُ فَإِذَا قَرَأْنَاهُ
تَابَعَ قَرْءَانَ اللَّهِ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا يَسَائِرُهُ﴾ (٤)

﴿قَوْمٌ وَالْقُرْءَانُ الْمَجِيد﴾ (٥) ﴿بَلْ عَجِّلُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ وَنَهَمْ فَقَالَ الْكُفَّارُونَ
هَذَا شَيْءٌ عَيْنِي﴾ (٦) ... ﴿فَذَكِّرْ بِالْقُرْءَانِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدَ﴾ (٧)

﴿إِنَّمَا لِقَوْلٍ فَصْلٌ وَمَا هُوَ بِالْمُرِيلِ﴾ (٨)

﴿وَلَقَدْ يَسَرَنَا الْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُذَكِّرٍ﴾ أربعة مرات (٩)

﴿وَالْقُرْءَانُ ذِي الْذِكْرِ﴾، ﴿كَتَبَ أَزْلَانَهُ إِلَيْكَ مُبَرَّكٌ لِيَدْبَرُوا إِيمَانَكُمْ
وَلِيَسْتَذَكِّرَ أُولُوا الْأَلْبَابُ﴾، ﴿قُلْ هُوَ نَبْرًا عَظِيمٌ﴾ (١٧) ﴿أَنْتُمْ عَنْهُ مُعَرِّضُونَ﴾ (١٨)
﴿هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾ (١٩)

﴿وَلَقَدْ يَحْشُنُهُمْ بِكِتَبٍ فَصَلَّنَهُ عَلَى عَلِيٍّ هُدَى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ (٢٠)
﴿إِنَّ وَلِيَّ اللَّهِ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَبَ وَهُوَ يَتَوَلَّ الصَّلِحِينَ﴾ (٢١)، ﴿وَإِذَا قُرِئَ
الْقُرْءَانُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِثُوا لَعْلَكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ (٢٢) وإن كانت أسباب
النزول تشير إلى أن الآية الأخيرة مدنية.

(١) سورة البروج، الآيات: 22/21

(٢) سورة القيامة، الآيات: 19/16

(٣) سورة ق، الآيات: 1/2... و 45

(٤) سورة الطارق، الآيات: 14/13

(٥) سورة القمر، الآيات: 40 - 32 - 22 - 17

(٦) سورة ص، الآيات: 1 - 29 - 67 - 68 / 87

(٧) سورة الأعراف، الآيات: 52 - 196 - 204

﴿قُلْ أَوْحَى إِلَيْهِ أَنَّهُ أَسْمَعَ نَفْرًا مِنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا فِرْدَانًا عَجَبًا﴾^(١).

﴿بِسْ ١ وَالْقُرْآنِ الْكَبِيرِ ٢ إِنَّكَ لَيَنِّ الْمُرْسَلِينَ ٣ عَلَى صِرَاطِ مُسْتَقِيمٍ ٤ تَنْزِيلَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ ٥ وَمَا عَلِقْنَاهُ الشِّعْرُ ٦ وَمَا يَلْبَغِي لَهُ ٧ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ ٨ وَقُرْآنٌ مُبِين٩﴾^(٢).

﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ١ ١٠ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّهُ هَذَا إِلَّا إِفْكَ الْقَرْيَةِ وَأَعْانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ مُّخْرُوبٌ فَقَدْ جَاءُوكُمْ مُّظْلِمًا ١١ وَزَوْرًا ١٢ وَقَالُوا أَسْطِرُ الْأَوَّلِينَ أَكْتَبْهَا فَبِهِ شُفْلٌ عَلَيْهِ بُشَّرَةٌ ١٣ وَأَصْيَالًا ١٤ قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ الْسَّرَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ١٥ ١٥ وَقَالَ الرَّسُولُ يَرَبَّ إِنَّ قَوْمِي أَخْنَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا ١٦ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَجِيٍّ عَدُوًا مِنَ الْمُجْرِمِينَ وَكَفَى بِرِبِّكَ هَادِيًّا وَنَصِيرًا ١٧ ١٧ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نَزَّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَجَدَةً كَذَلِكَ لَنُثْبِتَ بِهِ ١٨ فُؤَادَكُمْ ١٨ وَرَئْلَتَهُ تَرْتِيلًا ١٩﴾^(٣).

﴿وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ إِنَّ اللَّهَ يُعَبَّادُهُ لَخَيْرٌ بَصِيرٌ ٢٠ ثُمَّ أَرْزَقْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ أَصْطَفَنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾^(٤).

﴿فَإِنَّمَا يَسِّرَنَا لِيُسَافِرَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَقِيمَ وَتُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لَّهُمْ﴾^(٥).

﴿طَه١ مَا أَنْزَلَنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتُتَقَرَّبَ ٢ إِلَّا نَذِكْرَةٌ لِمَنْ يَخْشَى ٣﴾

(١) سورة الجن، الآية: ١.

(٢) سورة يس، الآيات: ١/٥ - ٥/٦٩.

(٣) سورة الفرقان، الآيات: ١/٣٢ - ٣٠ - ٦ - ٥ - ٤ - ١.

(٤) سورة فاطر، الآيات: ٣١/٣٢.

(٥) سورة مرثيم، الآية: ٩٧.

تَزَيِّلَا مِنْ خَلْقَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتِ الْعُلَىٰ ﴿١١٣﴾، «وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ فِرْنَاءً أَنَّا عَرَبِيَا
وَصَرَفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لِعَلَّهُمْ يَعْقُونَ أَوْ يَحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا ﴿١١٤﴾ فَعَلَى اللَّهِ الْمَلِكِ
الْحَقِّ وَلَا تَعْجَلْ بِالْفُرْقَانِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُّكَ وَقُلْ رَبِّ زَادَنِي
عِلْمًا ﴿١١٥﴾».

حتى الآن، يتحدث الله تعالى عن مفاهيم وعقائد يجري حفظها في صحف مطهرة، في لوح في السماوات العليا، بأيدي ملائكة بررة كرام، (والصحف واللوح معنيان مجازيان هنا)، بغية تنزيلها إلى المتلقين الأوائل وهم الرسل، لإعلانها على الناس، ولا يتحدث عن كتاب كمجموععة أوراق مجلدة بين دفتري كتاب مختلف، أو قرطاس بأيدي البشر.

يؤكد هذا المعنى في سورة الواقعة، وهي بيت القصيدة هنا «فَلَا
أَقِيمُ يَمْوَعِقَ الْنُّجُومِ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّمَا لِقَسْمٍ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴿٧٦﴾ إِنَّمَا لَقْرَآنَ
كَرِيمٍ ﴿٧٧﴾ فِي كِتَابٍ مَّكْتُوبٍ ﴿٧٨﴾ لَا يَمْسِهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾ تَزَيِّلُ مِنْ رَبِّ
الْعَلَمَوْنَ ﴿٨٠﴾».

فهل في الآية ما يفيد بمعنى جديد مغاير للآيات السابقة لها، أم أنها تؤكّد وتترسخ المعنى ذاته، في السياق؟

وكيف يمكن حتى للجاهل استنباط مدلول أن المقصود هو كتاب مجلد بخلافين، لا يسمح لغير الطاهر والمتوضع لمسه بيديه؟ تماماً كما أراد المشركون حين قال عنهم باستنكار في سورة المذثّر: «بَلْ

(1) سورة طه، الآيات: 1/114 - 4/113.

(2) سورة الواقعة، الآيات: 75/80.

يريد كلّ أمريّ متهماً أن يُوقَّع صحفاً مُنشراً⁽¹⁾ وهل هناك إصرار على فهم المعنى بالمقلوب المستنكر من الله؟.

أكثر من ذلك، حين أراد الله تعالى الحديث عن كتاب مجلد، وعن لمس بيديه، أشار إلى ذلك صراحة وبوضوح، حين قال:

﴿وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرْطَاسٍ فَلَمْسُوهُ يَأْتِيهِمْ لَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾⁽²⁾.

وهنا، لستاً نفهم كيف فات المعنى والمدلول الصحيحان على الإمامين اللذين وضعوا «تفسير الجلالين» واسع الانتشار، جلال الدين السيوطي وجلال الدين المحلى، حين أوردا المعنى المغلوط في تفسيرهما العتيدي، مناقضين تفسيرهما لسورة عبس الساقية التنزيل . . . وكلنا أمل أن لا تكون معظم تفسيراتهما بالمقدار ذاته من الصحة، والقدر ذاته من التناقض والتضارب، وإن كنا لم نجد في معظم ما وقع بين أيدينا من تفاسير أخرى من يعطي المعنى الصحيح، بل إن بعضها يشير إلى الوجهين، وهذه كارثة لا حدود لها

هذا في سور القرآن، وبعد، بما الذي يقودنا إليه إعمال العقل كما أمرنا الله؟

فأولاً، توفي النبي دون أن يوجد قرآن في قرطاس مجتمع، باستثناء بعض الرقاع والعسب من جريد النخل، لدى كتبة لا يتجاوز

(1) سورة المدثر، الآية: 74.

(2) سورة الأنعام، الآية: 7.

عدهم عدد أصابع اليدين، وظللت كلمة القرآن تعني للنبي وأتباعه كلام الله المحفوظ في كتاب مكتنون في السماء، ومحفوظ شفافهاً ما نزل منه في صدورهم، فأي قرطاس، وأي لمس باليد، وأي ظهور ووضوء؟.

وإن كان هناك من لفق أحاديث غريبة عن النبي كحديث رواه أبو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم عن أبيه عن جده (؟) أن النبي كتب كتاباً إلى أهل اليمن وكان فيه: (لا يمس القرآن إلا طاهر)، وأكذدوا اللفظ ذاته على لسان عبد الله بن عمر، كما لو كان هناك قرآن في قرطاس حينها، وفات واضح الحديث أن يشير إلى ما إذا كان النبي قد طلب من أهل اليمن الوضوء قبل قراءة كتابه الحاوي على عبارات من القرآن.

كما لم نجد في الرسالتين اللتين أرسلهما النبي إلى النجاشي والمقوقس، وقد أثبتنا نصيهما في الإضاءة الأولى، إشارة إلى هذا الأمر، رغم ورود كلام الله في كليهما ..

كما كان هناك من لفق كذبة كبيرة، حين أورد حادثة إسلام عمر، وأن أخته فاطمة بنت الخطاب طلبت منه أن يغتسل قبل الإمساك وقراءة الصحيفة التي تضم سورة طه، عملاً بالآية ذاتها (لا يمسه إلا المطهرون) ليقنعوا بما لم يرده الله، فما سند القصة، ومن قال إن فاطمة أخت عمر فقيهة في الدين، وهل صحيح أنها قالت ذلك، واستجواب عمر، وما تعليق النبي إذا كان قد سمع القصة، ?? كما أن سورة الواقعة نزلت بعد سورة طه، وكان ترتيب عمر في الإسلام التاسع والثلاثين، أي في مرحلة مبكرة إلى حد ما من الدعوة، فهل نزلت سورة طه الواقعة، وتسلسلهما 45 و 46، قبل إسلام عمر أم بعد ذلك؟ ثم ألم

يسمع عمر - قبل ذلك - القرآن الذي كان يتردد في مكة، ويشير حفيظة قريش؟ . . .

ثم إن الحال استمر بدون وجود قرآن في قرطاس متداول بين أيادي المسلمين، طوال خلافتي أبي بكر وعمر، وبالتالي لم يكن موضوع اللمس باليد وارداً في أذهان المسلمين، وحتى في خلافة عثمان الذي جمع القرآن ونسخه على خمس نسخ، وقيل سبع، وزعه على البلدان المفتوحة، لم نسمع أن عثمان أوصى مراسليه الذين أرسلهم بالنسخ إلى الأمصار بالمداومة على الوضوء حتى يصلوا إلى مبتغاهم.

زودني محاور مفتح الذهن، بما يفيد في هذا المجال، كتب لي :

(جاء في صحيح البخاري من حديث عائشة قالت : خرجنا لا نرى إلا الحج ، فلما كنا بسرف حضرت ، فدخلت على رسول الله وأنا أبكي ، قال : (مالك ؟ أنفست) قلت : نعم . قال : (إن هذا أمر كتبه الله على بنات آدم ، فاقضي ما يقضى الحاج غير أن لا تطوف في باليت) .

الحائض - وهي أكثر بعدها عن الطهارة من غير المتوضئ - تقضي ما يقضى الحاج أي تذهب إلى منى ثم عرفة ثم المزدلفة ثم تنحر أضحيتها وترمي الحجر وتنقص شعرها ، وهذه كلها عبادات فيها دعاء لله وتهليل وتسبيح بحمده . ترى ، ألم يراع الله قدسيّة اسمه فسمح للحائض أن تذكره وتؤدي شعائره ؟ حاشا لله ، فهي مطهرة بآيمانها ولذلك تذكر اسم الله ، فمن باب أولى أن تمس ورقاً مكتوباً عليه كلام الله ، لأن قدسيّة الكلام لم تأتِ أصلاً إلا من قدسيّة قائله سبحانه وتعالى ، ولا تنسحب هذه القدسية على الشيء الذي كُتب عليه ، وإنما

لما سمح رسول الله بكتابة الآيات على جريد النخل أو على عظام الحيوانات وجلودها.

وفي صحيح البخاري عن عائشة: أن النبي كان يتکع في حجري وأنا حائض ثم يقرأ القرآن.

وفي صحيح البخاري عن إبراهيم قال: لم ير ابن عباس بالقراءة للجنب بأساً، انتهى.

وثانياً، لم ترد الآية في سورة الواقعة بصيغة الأمر، بل وردت إخبارية تتحدث عن واقع حال أن القرآن الكريم في كتاب مكتنون محفوظ في السماء لا يقترب منه إلا الملائكة الأطهار البررة الذين يكلفهم الله بذلك، و(لا) هنا نافية في هذا السياق وليس نافية، وهو واقع حال مؤكدة ثابت وغير قابل للتبدل، وغير متrocوك لتصريف العباد، ولو كانت نافية لكان جازمة ولجزمت الفعل، ولقال لا يمسّه، وليس لا يمسه، فكيف حول الفقهاء الموضوع إلى أمر إلهي واجب الاتباع، وقابل لعدم الاتباع، ككل الأوامر التي تجد من يلتزم بها ومن يخالفها عن قصد أو دونه؟ وكيف نقبل تفسير القرآن ممن لا يرى فرقاً بين (لا) النافية، و(لا) النافية الجازمة؟.

وهنا أعود لما جاء به محاوري، قال:

(هذه واحدة من الآيات التي فسرت خطأً ومشى الناس على هذا الخطأ قرونًا عديدة، لسبب بسيط، هو أن أحدًا لا يريد أن يدرس التفاسير القديمة ليمر صحتها من خطأها، فاستسلم الجميع لها واعتبروها صحيحةً مائة بـمائة) !!!

فتعال لنفس هذه الآية الكريمة لغويًا ثم من السنة النبوية والسير، وبعدها انظر ما جناء الناس على أنفسهم باستسلامهم لافتراضاتهم القديمة وعدم تدبرهم كتاب الله بأنفسهم.

(لا) في اللغة العربية تأتي بمعنىين: ناهية، وإخبارية،

النافية يأتي بعدها بالضرورة فعل مضارع مجزوم بها وتأتي للمخاطب فرداً أو جماعة، ذكوراً أو إناثاً ﴿يَكُنْهَا الَّذِينَ عَامَنُوا كَمَا يَحْسَرُونَ﴾ قومٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا فِسَاءٌ مِنْ مِنْهُمْ عَسَى أَنْ يَكُنْ شَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا تَلْجِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنابِرُوا بِالْأَلْقَبِ يَسَّرْ الْأَسْمَمُ الْقُسُوقُ بَعْدَ الْأَيْمَنِ وَمَنْ لَمْ يَتَبَّعْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿يَكُنْهَا الَّذِينَ عَامَنُوا أَجْنِبُهُمْ كَيْدُرًا مِنْ الظَّنِّ إِنْكَ عَبْضُ الظَّنِّ إِنْكَ وَلَا تَجْسِسُوا وَلَا يَقْتُبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا﴾ (١) هنا الفعل المنهي عنه (يسخر) له فاعل هو القوم، وفاعل (يقتب) هو بعضكم.

﴿يَبْتَئِلُ لَا تَقْصُصْ رَهْبَيَّاتَ عَلَى إِخْرَيَّاتِكُمْ﴾ (٢).

فاعل الفعل المنهي عنه (تقصص) هو ضمير مستتر تقديره أنت، ومثله في الآيات التالية:

﴿يَبْتَئِلُ لَا تَشْرِيكَ بِاللَّهِ إِنْكَ الشَّرِيكَ لَظَاهِرٌ عَظِيمٌ﴾ (١٣) وَصَنَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَلَدِيْهِ حَلَّةً أَمْرُهُ وَهُنَّ عَلَى وَهْنٍ وَفَصَلَّمُهُ فِي حَامِنٍ أَنْ أَشْكَرْ لِي وَلِوَلَدِيْكَ إِنَّ الْمَصِيرَ ﴿وَلِنَ جَاهَدَكَ عَلَى أَنْ تُشْرِيكَ فِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ حِلٌّ فَلَا تُطْعِمُهُمَا وَصَاحِبَهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَأَتْبِعْ سَبِيلَ مَنْ آتَيَ إِلَيْهِ شَرٌّ إِلَى مَرْجِعِكُمْ﴾ (١٤)

(١) سورة الحجرات، الآياتان: 12/11.

(٢) سورة يوسف، الآية: 5.

فَانْتَهِ كُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ^(١) يَبْيَقِي إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِنْ حَجَرٍ مِنْ خَوْدٍ
 فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِي إِلَيْهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ حَسِيرٌ
 يَبْيَقِي أَقْيَمَ الصَّلَاةَ وَأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَا عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ
 إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأَمُورِ ^(٢) وَلَا تُصْعِرْ خَدَكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَعْشِنْ فِي الْأَرْضِ
 سُرْحَادَكَ ^(٣).

هذه هي الـ(لا) الناهية، وإذا نظرت إليها في الآية التي تتحدث عنها فإنك ستتجدها غير ذلك (لا يمسه) لأنها لو كانت ناهية لجزمت الفعل فكان: لا يمسه. كما أنها غير موجهة لمخاطب وليس لها قابل. إذاً هي ليست ناهية في هذه الآية، وبالتالي فالآية لا تعني النهي عن لمس المصحف.

الإخبارية هي التي ترد في سياق الحديث عن شيء وليس بالضرورة أن تكون للمخاطب أو يأتي بعدها فعل، وتعني (ليس) ولا تؤثر على حركة ما بعدها ^(٤) قال إنَّه يَقُولُ إِنَّهَا بَقْرَةٌ لَا ذُلُولٌ يُشَيرُ إِلَى الْأَرْضِ وَلَا تَسْقِي الْحَرَثَ مُسَلَّمٌ لَا شَيْءَ فِيهَا ^(٥) هنا الـ(لا) إخبارية لأن معنى الآية إخبار عن صفة البقرة المطلوبة وأنها ليست ذلولاً وليس قائمـة بحراثة الأرض وليس فيها علامـة.

فَكَانُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ يَجَلُوتَ وَجْهُوْدُوكَ ^(٦) أي ليس لدينا قدرة على مواجهة جالوت.

(1) سورة لقمان، الآيات: 13/18.

(2) سورة البقرة، الآية: 71.

(3) سورة البقرة، الآية: 249.

هُوَ اللَّهُ إِلَّا هُوَ الْحَقُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُمْ سِنَّةً وَلَا نُوْمًا كَمَّ كَمَّ⁽¹⁾ أَيْ لَا يَتَعَرَّضُ لِلنَّعَاسِ وَالنُّوْمِ.

هذه هي إِلَّا (إِلَّا) الاخبارية، وإذا نظرتَ إِلَيْها فِي الآيةِ التِّي نَتَحدَثُ عَنْهَا فَإِنَّكَ سَتَجِدُهَا مَطَابِقَةً (لَا يَمْسِهِ) أَيْ لَيْسَ يَمْسِهِ، فَالْمَعْنَى إِخْبَارٌ عَمَّا يَمْسِهِ.

(الْمَطَهَّرُونَ) مِبْنَىٰ لِلْمَجْهُولِ، لَأَنَّ الْفَاعِلَ الْمَعْلُومُ هُوَ الْمَتَطَهَّرُونَ. أَمَّا هُنَّا (الْمَطَهَّرُونَ) أَيْ إِنْ هُنَّا مَنْ طَهَّرُوهُمْ وَلَمْ يَطَهَّرُوا هُمْ أَنفُسُهُمْ، فَمَنْ هُوَ؟

هُنَا نَقْطَةٌ مُهِمَّةٌ تُؤَكِّدُ مَا قَلْتُهُ آنَفًا عَنِ الْخَلْفِيَّةِ الْجَيِّدةِ فِي الْلُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ، التِّي تُرِيكَ الْبَيَانَ الْإِلَمِيَّ: الْمَطَهَّرُ الَّذِي جَعَلَ أَوْلَئِكَ الْمَاسِّينَ مَطَهَّرِينَ، هُوَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، حِينَ هَدَاهُمْ إِلَى الْإِيمَانِ فَآمَنُوا، وَلَكِنَّ الْفَاعِلَ الْمَبَاشِرَ لِعَمَلِيَّةِ التَّطَهِيرِ هُوَ الْمُؤْمِنُ نَفْسُهُ الَّذِي اهْتَدَى فَتَطَهَّرَ بِالْإِيمَانِ، إِلَّا أَنَّ الْمُؤْمِنَ هُوَ مَجْرِدُ عَامِلٍ بِالْأَسْبَابِ، وَالْإِيمَانُ الَّذِي دَخَلَ قَلْبَهُ هُوَ السَّبَبُ، أَمَّا الْمُسَبِّبُ - وَهُوَ الْفَاعِلُ الْحَقِيقِيُّ - فَهُوَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، الَّذِي يَعْطِي الْأَجْرَ لِمَنْ قَصَدَ بِعَمَلِهِ وَجْهَهُ الْكَرِيمُ وَلَمْ يَقْصُدْ بِهِ أَحَدًا مِنَ الْمَخْلُوقَاتِ، وَلِذَلِكَ فَإِنَّ الْقُرْآنَ، إِذْ يَمْكُنُ أَنْ يَقْرَأَهُ الْكَافِرُ - كَمَا فَعَلَ الْمُشْرِكُونَ فِي مَكَّةَ - مِنْ أَجْلِ الْعَثُورِ عَلَى خَطَايَا فِيهِ يَكُونُ مَطْعَنًا لَّهُ، فَإِنَّهُمْ لَيْسُ لَهُمْ ثَوَابٌ فِي قِرَاءَتِهِ، أَمَّا الْمُسْلِمُ فَإِنَّهُ يَقْرَأُهُ لِلتَّعْلِمِ أَوِ التَّدْبِيرِ أَوِ الْخَشُوعِ... أَيْ لَهُ، فَإِنَّ اللَّهَ يَجْزِيْهُ عَلَى قِرَاءَتِهِ وَيُشَيِّبُهُ عَلَيْهَا، وَمِنْ هُنَّا (لَا يَمْسِهِ إِلَّا الْمَطَهَّرُونَ) أَيْ لَا يَمْسِي ثَوَابَهُ إِلَّا مَنْ طَهَّرُوهُمُ اللَّهُ يَأْمَنُهُمْ.

فالمعنى إخباري وليس فيه أمر أو نهي انتهى.

وثالثاً، لا يقول الله تعالى إلا الحق، وهو العارف العالم أن هذا القرآن سيعجم يوماً في قرطاس، وسيتداوله المسلم وغير المسلم، الظاهر وغير الظاهر، وحاشا لله أن يقول عبشاً، ولا يستقيم الأمر أن نقول إنه إذا مس غير الظاهر القرآن فالآية غير صحيحة (؟)، لا سيما وأن الله عَزَّوجَلَّ يقسم قسماً عظيماً.

ولكن، ألا نعذر للمسلم العادي فهمه المغلوط لمعنى الآية ومدلولها، وعمله بهذا الفهم، إذا ما تحرينا ما جاء به (الفقهاء وأئمة المذاهب) الذين وضعوا للمسلم /كتالوغـا/ لدینه، بات يحكمه ويلزمه، ثم أغلقوا باب التفكير والاجتهاد، وختموا على العقل المسلم؟ .
نلتمس جنایة كبرى أتى بها هؤلاء حين نقرأ ما تركوا لنا بهذا الخصوص، وللتتابع . . .

في كتاب «الفقه على المذاهب الأربع» للجُزيري نجد في فصل كتاب الطهارة - المبحث الثاني - حكم الموضوع وما يتعلق به من مس المصحف ونحوه . . . (فالموضوع فرض لازم لأداء هذه الأعمال، فلا يحل لغير المتوضئ أن يفعلها، ومثلها مس المصحف، فإنه يجب (؟) له الموضوع، سواء أراد أن يمسه كلـه أو بعضـه، ولو آية واحدة (؟)، إلا بشروط مفصلة في المذاهب) (؟).

فما هي هذه الشروط؟ . . . يورد:

* المالكية قالوا: يشترط لحل حمل المصحف، أو بعضـه بدون وضوء، شروط:

أحدها: أن يكون مكتوباً بلغة غير عربية، أمّا المكتوب بالعربية فلا يحلّ مسنه على أي حال، ولو كان مكتوباً بالکوفي أو المغربي، أو نحوهما.

ثانيها: أن يكون منقوشاً على درهم أو دينار أو نحوهما، دفعاً للمشقة والحرج (؟).

ثالثها: أن يستخدم المصحف كله، أو بعضه حرزاً، بشرطين، أن يكون حاملاً مسلماً، وأن يكون المصحف مستوراً بساتر يمنع وصول الأقدار إليه.

رابعها: أن يكون حاملاً معلماً أو متعملاً، فيجوز لهما مسنه بدون وضوء، ولا فرق في ذلك بين المكلف وغيره، حتى ولو كانت امرأة حائضاً، وفيما عدا ذلك فلا يجوز حمله على أي حال، فلا يحلّ لغير المتوضئ أن يحمله بخلاف أو علاقة، كما لا يحلّ له أن يحمل ما وضع عليه المصحف من صندوق، أو وسادة أو كرسي، وإذا كان موضوعاً في أمتعة جاز حمله تبعاً للأمتعة، فلو قصد حمله وحده، دون الأمتعة فإنه لا يحلّ، أمّا قراءة القرآن بدون مصحف فإنّها جائزه لغير المتوضئ، ولكن الأفضل له أن يتوضأ.

* الحنابلة قالوا: يشترط لحمل المصحف، أو مسنه بدون وضوء، أن يكون في غلاف منفصل عنه، فإنّ كان في غلاف ملتصق به، كان يكون في كيس أو ملفوفاً في منديل أو ورق، أو يكون موضوعاً في صندوق أو يكون في أمتعة المنزل التي يراد نقلها، سواء كان المصحف مقصوداً باللمس أولاً، فإنّه في هذه الأحوال يجوز مسنه أو

حمله، وكذا يحل اتخاذ المصحف حرزاً، بشرط أن يجعله في شيء يستره من خرقه ظاهرة ونحوها، ثم إن الوضوء شرط لجواز حمل المصحف، سواء كان حامله مكلفاً أو غير مكلف، إلا أن الصبي الذي لم يكلف لا يجب الوضوء عليه، بل يجب على ولية أن يأمره بالوضوء عندما يريد الصبي حمل المصحف.

* الحنفية قالوا: يشترط لجواز مس المصحف، كله أو بعضه، أو كتابته (؟)، شروط:

أحداها: حالة الضرورة، كما إذا خاف على المصحف من الغرق، أو الحرق، فيجوز له في هذه الحالة أن يمسه لإنقاذه.

ثانيها: أن يكون المصحف في غلاف منفصل عنه، وأن يكون موضوعاً في كيس أو جلد أو ورقة، أو ملفوفاً في منديل أو نحو ذلك، فإنه في هذه الحالة يجوز مسنه أو حمله، أما جلده المتصل به، وكل ما يدخل في بيده، بدون نص عليه عند البيع فإنه لا يحل مسنه، ولو كان منفصلاً عنه.

ثالثها: أن يمسه غير بالغ، ليتعلم منه، دفعاً للحرج والمشقة، أما البالغ والحاffect سواء كان معلماً أو متعلماً فإنه لا يجوز لهم مسنه.

رابعها: أن يكون مسلماً، فلا يحل لغير المسلم أن يمكّن غيره من مسنه إذا قدر، وقال محمد: يجوز لغير المسلم أن يمسه إذا اغتصل، أما تحفيظ غير المسلم القرآن فإنه جائز، فإذا تخلفت هذه الشروط، فإنه لا يحل لغير الطاهر المتوضئ أن يمس المصحف بيده، أو بأي عضو من أعضاء جسمه، أما تلاوة القرآن بدون مصحف، فإنها تجوز

لغير المتوضّع، وتحرم على الجنب والمحائب، ولكن يُستحب لغير المتوضّع أن يتوضّع إذا أراد قراءة القرآن، هذا، ويُذكر مس التفسير بغير وضوء، أمّا غيره من كتب الفقه والحديث ونحوها، فإنّه يجوز بدون وضوء من باب الرخصة.

* الشافعية قالوا: يجوز مس المصحف وحمله، كلاماً أو بعضاً،

شروط:

أحدها: أن يحمله حرازاً.

ثانيها: أن يكون مكتوباً على درهم أو دينار.

ثالثها: أن يكون بعض القرآن مكتوباً في كتب العلم، للاستشهاد به، ولا فرق في ذلك أن تكون الآيات المكتوبة قليلة أو كثيرة، أمّا كتب التفسير فإنّه يجوز مسّها بغير وضوء بشرط أن يكون التفسير أكثر من القرآن، فإن كان القرآن أكثر فإنّه لا يحل مسّها.

رابعها: أن تكون الآيات القرآنية مكتوبة على الشياب، كالشياب التي تطرّز بها كسوة الكعبة ونحوها.

خامسها: أن يمسّه ليتعلم فيه، فيجوز لوليه أن يمكنه من مسّه وحمله للتعلم، ولو كان حافظاً له عن ظهر غيب، فإن تخلف شرط من هذه الشروط، فإنّه يحرّم مس القرآن، ولو آية واحدة، ولو بحائل منفصل عن المصحف، من جلد وغيره، فلو وضع المصحف في صندوق صغير كالصندولق الذي توضع فيه أجزاء القرآن - الربعة - أو وضع على كرسي صغير، فإنّه لا يحل مس ذلك الصندوق أو ذلك الكرسي (٢) ما دام المصحف موضوعاً فوقهما، أمّا إذا وضع في

صندوق كبير أو في كيس كبير فإنه لا يحرم مس ذلك الصندوق أو الكيس، إلا الجزء المحاذي للمصحف منها، وإذا انفصل جلد المصحف منه ولم يبق فيه شيء من المصحف فإنه يُحرّم مسنه إلا إذا جعل جلداً لكتاب آخر غير القرآن، أما ما دام منسوباً إلى المصحف المنزوع منه فإنه لا يحل مسنه، وكذلك يحرّم مس ما كتب فيه القرآن كالملوح، فلا يجوز للمحدث أن يمس أي جزء منه، حتى لو محيت الكتابة (٢)، على أنه يجوز للمخالف أن يكتب القرآن وهو محدث في لوح أو نحوه بشرط أن لا يمسه.

هذا، وإذا كان المصحف موضوعاً في أمتعة المنزل، من صندوق أو ملابس أو نحو ذلك، فإنه لا يحل حمل هذه الأمتعة بدون وضوء، إلا إذا كانت هي المقصودة بالحمل وحدها، فإذا قصد حمل المصحف معها أو قصد حمله وحده، حرّم ذلك بدون وضوء.

انتهى الاقتباس من المذاهب، أوردناه مفصلاً لتبيان حجم الجنائية على الله ودينه.

يحل ويحرّم، ويجوز ولا يجوز... من أباح لهم ذلك؟ أليست المحرمات محددة من الباري، أم هم موكلون منه بِرْجَان بالتحريم والتحليل، أي بما لم يمنحه الله للنبي؟

تخريف وتضليل وضلال، واتفاق على فهم مغلوط للقرآن، مع بعض الاختلاف على التفاصيل التافهة، واستخفاف بالعقل الذي كرم الله به عباده، ممّن يعدون أئمة وفقهاء وتابعين ومؤسسين لمذاهب، أو ممّن نسب ذلك إليهم من أتباع مدارسهم، فكم هو حجم الكارثة كبير،

وأية بلوى أبتلوا بها ، وأما كانوا ليختلفوا فيما يفيد المسلمين ويحترم عقولهم . . . جزاؤهم على الله الذي يقول : ﴿وَيَنْهَا مَنْ يُجَاهِدُ فِي
اللَّهِ يَعْبُدُ عِلْمَهُ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَّرِيدٍ﴾ ⁽¹⁾ كتب عليه أنه من قوله فإنه
يُضْلَلُ وَيَنْدِيهُ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ ⁽²⁾ .

ويقول : ﴿وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ الْسَّبِيلِ وَيَخْسِبُونَ أَنَّهُمْ مُهَمَّدُونَ﴾ ⁽²⁾ .

صدق الله العظيم

(1) سورة الحج، الآيات: 3 . 4 / 3

(2) سورة الزخرف، الآية: 37 .

الإضاءة التاسعة

ملامسة النساء...

هل تنقض الوضوء؟

(الفقه الغثاء..... في ملامسة النساء)

نموذج مخرج ثان

قال تعالى :

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرِبُوا الصَّلَاةَ وَإِنْ شَكَرْتُمْ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا نَهُولُونَ وَلَا جُنْبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغْتَسِلُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاهَةً أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْفَاطِطِ أَوْ لَمْسُ الْإِنْسَانَ فَلَمْ يَجِدُوا مَاكِهَ قَيَّمَمُوا صَعِيدًا طَيْبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوا غَفُورًا﴾⁽¹⁾.

وقال عَزَّوجلَّ :

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِلَى الْعَرَافِيَّةِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنْبًا فَأَطْهَرُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاهَةً أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْفَاطِطِ أَوْ لَمْسُ الْإِنْسَانَ فَلَمْ يَجِدُوا مَاكِهَ قَيَّمَمُوا صَعِيدًا طَيْبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مَنْهُ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطْهِرُكُمْ وَلَيُتَمِّمَ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَمَّا كُنْتُمْ شَكُورُونَ﴾⁽²⁾.

لامست النساء: جاء تفسيرها في «تفسير الجلالين» وفي «أيسر التفاسير» على أنه الجس أو اللمس باليد، على ما قاله ابن عمر والشافعي، وألحقا به المس بباقي البشرة.

وهو الجماع على رأي ابن عباس.

(1) سورة النساء، الآية: 43.

(2) سورة المائد़ة، الآية: 6.

أيُ الرأيين أصح؟ والأمر مهم جداً لارتباطه بحياة ملايين المسلمين، سنةٌ وشيعة، وسلوكيهم اليومي منذ ألف وأربعينَة سنة حتى يرث الله الأرض وما عليها

هل هو الأول، بمعنى أن مجرد لمس المرأة ولو بطرف الإصبع ينقض الوضوء، ويحتاج معه إلى إعادة الوضوء لتصح الصلاة، كما يظن كثير من الجاهلين والجاهلات على امتداد العالم الإسلامي؟.

(الأخطر أن التخلف والجهل ذهبا بالأمر أبعد من الوضوء بكثير، فجعلوا من مصافحة المرأة للرجل حراماً، وبيننا نرى حتى رؤساء وزعماء مسلمين - سنة وشيعة - يمتنعون عن مصافحة ضيوفهم من النساء المسلمات وغير المسلمات، في فضيحةٍ مدويةٍ أمام شاشات التلفزة) . . .

وهل يتساوى في هذه الحالة لمس المرأة مع إتيان الغائب، مع ما في ذلك من امتهان لمكانة المرأة، كما يجاجُ الكثير من أعداء الإسلام، في حين يصرّ المسلمون أن دينهم أكرمها؟.

أم هو الثاني، أي حالة الجماع والمضاجعة التي تقتضي الغسل، وقد رحم الله عباده فأباح لهم التيمم حتى في هذه الحالة إن لم يجدوا ماء؟ وهو ما يؤكده حديث ورد في صحيح البخاري وصحيح مسلم، (إن صحّ)، عن عمران بن الحصين الخزاعي، وفيه أن رجلاً تخلف عن الصلاة، وهم على سفر، فسألَه النبي: «ما منعك يا فلان أن تصلي مع القوم، قال: أصابتني جنابة ولا ماء، قال: عليك بالصعيد أي التيمم، فإنه يكفيك».

إذا رجعنا إلى معجم «مختر الصحاح»، نجد أنه لا يخبرنا شيئاً عن معنى (لامس)، وهي لا ترد في باب لام، وإنما نجد (لمَس) - اللمس هو المس باليد، وقد (لمَسَهُ من باب خَرَبَ وَنَصَرَ، وَالاتِّمَاسُ الْطَّلَبُ، وَالْتَّلَمُسُ التَّطَلُبُ مَرَةٌ بَعْدَ أُخْرَى، وَالْمَلَامِسُهُ هُوَ أَنْ يَقُولُ: إِذَا لَمَسْتَ الْمَبِيعَ فَقَدْ وَجَبَ الْبَيْعَ بَيْتَنَا بَكُنْدَا.

ونجد في باب الميم، م س مس (مسَهُ الشيءَ يَمْسَهُ مَسًا) وبابه فهم وهذه هي اللغة الفصيحة، وفيه لغة أخرى من باب رد، وربما قالوا (مسَتُ الشيءُ...) و(المسيس) المس... و(المماسة) كناية عن المباضعة أي المضاجعة، وكذا (التماس)، قال الله تعالى: ^{فَوْمَنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَسَّكُ}

أَمَا «المعجم الوسيط» الذي أصدره مجمع اللغة العربية، فيورد في طبعته الرابعة، (لمَسَ - لَمَسَهُ: مَسَهُ بِيَدِهِ، فَهُوَ لَامِسٌ، وَالمرأَةُ بَاشَرَهَا)، ويوضح أكثر (لامسَهُ: مَاسَهُ، وَالمرأَةُ بَاشَرَهَا)، أي ضاجعها...

فالمعنى لغة إذا ينحصر بين معنيين (لمَسَ باليد، وضاجع المرأة)، فأي من هذين المعنيين أراد الله تعالى في السورتين السابقتين؟ .

ينير لنا الله المعنى، حين يخاطب السيدة مريم على لسان جبريل عليه السلام يقوله: «قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكَ لَا أَهْبَطُ لَكَ عَلَيْكَ زَكِيرْيَا قَالَتْ أَفَ يَكُونُ لِي غُلَمٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَعْدِي» ⁽¹⁾ 

والمعنى واضح أن المقص هنا عن المضاجعة وال المباشرة .

ثم يؤكد المعنى ذاته في سورة المجادلة / مدنية التي نزلت بعد سوري مريم والنساء وقبل سورة المائدة في حديثه عن المرأة (خولة بنت ثعلبة) التي جاءت تجادل النبي وتشتكى زوجها (أوس بن الصامت) الذي قال لها (أنت على كَظْهَرِ أُمِّي) وامتنع عن معاشرتها معاشرة الأزواج ، فأجابها النبي بأنها حُرِمت عليه ، على ما هو معهود عندهم (أي في الجاهلية ، وفي الإسلام قبل نزول النص) من أن الظهار موجبه فُرقةٌ مؤبدة⁽¹⁾ .

يقول تعالى مخاطباً الرسول :

﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَدِّلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوِرَكُمْ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴾ ١ الَّذِينَ يُظْهِرُونَ مِنْكُمْ مَنْ يَسْأَلُهُمْ مَا هُنَّ أَمْهَنْتُهُمْ إِنَّ أَمْهَنْتُهُمْ إِلَّا الَّتِي وَلَدَنَاهُمْ وَلَيَهُمْ يَقُولُونَ مُنْكَرًا مِنَ الْقَوْلِ وَرَدْرَأً وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌ عَفْوٌ ﴾ ٢ وَالَّذِينَ يُظْهِرُونَ مِنْ يَسْأَلُهُمْ ثُمَّ يَعْدُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرٌ رَبْعَةٌ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسُوا ذَلِكُو تُوعِظُونَ يَهُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَعْمَلُونَ خَيْرٌ ﴾ ٣ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسُوا . . . ﴾ ٤﴾⁽²⁾

وهنا يفسر «تفسير الجلالين» يتماسا بالوطء أي المضاجعة ، ص

. 725

أكثر من ذلك ، يرد المعنى بوضوح أكبر ، لا جدال فيه ، في قوله

(1) تفسير الجلالين ص 724

(2) سورة المجادلة ، الآيات : 4/1

تعالى : ﴿إِذَا نَكْحَثُ الْمُؤْمَنَاتِ ثُمَّ حَلَقْتُمُوهُنَّ مِنْ قِبَلِ أَنْ تَسْوُهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ﴾⁽¹⁾.... والعدّة هي الفترة التي تقضيها المرأة دون زواج بعد طلاقها ، لاستبراء رحمها إن كان قد مسّها مطلقها ، فهل يمكن هنا أن يخطئ عاقل في معنى المس؟

إذن ، فقد حسم الله تعالى ، حين يتعلق الأمر بالمرأة ، أن الملامسة التي توجب الكفارة في حالة المظاهره ، وتوجب الاغتسال في الأحوال العاديه ، والتيمم في حال نقص الماء ، مقصود بها المضاجعة ، وليس اللمس باليد أو بباقي البشرة .

وهذا هو المعنى الذي ذهب إليه ابن عباس ، وهو ما يتفق مع العقل ومنطق الأمور ، وينفي الحط من قيمة المرأة بمساواة لمسها بإثبات الغائب ، ويؤكد أن الله يريد بعباده اليسر لا العسر ، وهو العالم بحاجة الرجل إلى لمس زوجته بيده تكراراً في البيت ، وغير زوجته حاجة أو اضطراراً خارج البيت في إطار المعاملات اليومية الكثيرة ، كالبيع والشراء ، ووسائل المواصلات والشوارع المزدحمة ، والطواف حول الكعبة وغيرها ، لا سيما والإسلام جاء شاملًا لكل المجتمعات وكل العصور .

ونستذكر هنا قولًا اتفق على إخراجه البخاري وأبو داود والنسائي وأبن ماجه ، عن ابن عمر قال : كان الرجال والنساء يتوضأون في زمان رسول الله جمِيعاً ، أَي معاً والدلالة واضحة ، وهي تكذب فقهاء اللمس وفقهاء حجاب المرأة ونقابها

(1) سورة الأحزاب ، الآية: 49.

ولكن، كيف فهم فقهاؤنا، وفي مقدمتهم الأئمة الأربع شيوخ المذهب السني، هذا الأمر، وكيف خاضوا فيه، وما الذي تركوه لعثات الملايين من أتباع مذاهبهم منذ أكثر من ألف عام؟

في كتاب «الفقه على المذاهب الأربعة» لعبد الرحمن الجزيري، فصل كتاب الطهارة - ببحث نواقص الوضوء - القسم الثاني، صفحة 51، ورد ما يلي:

القسم الثاني: من النواقص بغير الخارج (من أحد السبيلين، الدبر والقبل) لمس مَن يُشتهي، سواء كان امرأة أو غلاماً (؟)، وقد اصطلاح الفقهاء على أن اللمس يكون تارة باليد، وتارة يكون بغيرها من أجزاء البدن، أمّا اللمس فإنه ما كان باليد خاصة، ولكل منهما أحكام، فاما لمس مَن يُشتهي فإنه يتضمن الوضوء بشروط مفصلة في المذاهب.

أي إنَّ فقهاءنا لم يفهموا، أو هم لم يتتبهوا إلى المعنى الذي أراده الله تعالى، وبيّنه لهم ولنا في سوريٍّ مريم والمجادلة، وهم أهملوا المعاني المتعددة التي عرفها العرب وهم سادة الكلام، كما أسلقو رحمة الله بعياده، وما يريد بهم من اليسر لا العسر.

وجاء تابعوهم - بكل جهل وعمى - فتمسكوا بهذا الفهم الضال وعملوا به، مؤكدين قول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْفَوْءَاءِ بَأْبَاءَ هُرُبَّا لَّيْلَةَ ۚ فَهُمْ عَلَىٰ مَا تَرِيمُ مُتَّهِرُونَ﴾ (٧٩).

أكثر من ذلك، زادوا على لمس المرأة كنافق للوضوء، لمس

(1) سورة الصافات، الآيات: 69/70.

الغلام، ومن يُشتهي، وكأنَّ الله تعالى سَهَا (حاشا لله) عن ذكر الغلام، فقاموا باستدراك النقص في القرآن الكريم، ناسين قول الله: «فَرَبِّنَا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عَوْجٍ لَعَلَّهُمْ يَنْقُونَ»⁽¹⁾، واضعين المسلم في خانة ذوي الرغبات الحيوانية والشاذة، وغافلين عن تهذيب الدين للبشر.

دعونا نستعرض ما فضل لنا كُلُّ مذهب من مذاهب الأئمة الأربع في هذا الخصوص، وعذرًا للإطالة فهي منهم لا مثا، ونقبس:

1 - الشافعية والحنابلة أصطلحو على خلط أحكام المس بأحكام اللمس، بخلاف المالكية والحنفية فقد ذكروا حكم اللمس وحده، وحكم المس وحده، وخصوا المس بما كان باليد، والأمر في ذلك سهل.

2 - الشافعية قالوا: إنَّ لمس الأجنبي - ويسمى مسًا - ينقض اللمس مطلقاً، ولو بدون لفة، ولو كان الرجل هرماً والمرأة عجوزاً شوهاء، كان اللامس شيخاً أو شاباً، وقد يقال: إنَّ الشأن في المرأة العجوز الشوهاء عدم التلذذ بلمسها، فأجابوا بأنَّ المرأة ما دامت على قيد الحياة لا تعدم من يتلذذ بها (?)، وإنما ينقض اللمس بشرط عدم الحائل بين بشرة - جلد - اللامس والملموس، ويكتفي الحائل الرقيق عندهم، ولو كان الحائل من الوسخ المتراكم من الغبار لا من العرق، فلا ينقض لمس رجل لرجل آخر (?)، ولو كان الملموس أمراً جميلاً، ولكن يُسَئَّ منه اللمس، ولا ينقض لمس أنثى لمثلها، ولا حتى لختنها

(1) سورة الزمر، الآية: 28.

أول رجل أو لامرأة، ولا ينقض إلا إذا بلغ الالامس والملموس حد الشهوة عند أرباب الطياع السليمة (؟)، واستثنوا من بدن المرأة شعرها وستها وظفرها (؟)، فإن لمسها لا ينقض الموضوع ولو تلذذ به، لأنّ من شأن لمسها عدم التلذذ، وقد يقال إن السن في الفم، والناس يتغزلون بالأسنان وتتلذذون بها أكثر من سائر أجزاء البدن، فكيف يكون الشأن في لمسها عدم اللذذ؟ ولكن الشافعية يقولون: إنه لو صرف النظر عن لمس الفم، ولم يحيط بالأسنان، كان السن مجرد عظم لا يتلذذ به، وهذا هو المعنى أن الشأن عدم التلذذ، وينقض الموضوع بـ لمس الميت، ولا ينتقض بـ لمس المحرّم، وهي من حرم نكاحها على التأييد بسبب نسب أو رضاع أو مصاهرة، أمّا التي لا يحرم نكاحها على التأييد، كاخت الزوجة أو عمتها أو خالتها، فإن لمس إحداهن ينقض الموضوع، وكذا ينتقض بـ لمس أم الموطوعة بشبهة ويتها، فإن زواجهما وإن كان محرماً على التأييد، لكن التحرير لم يكن بنسب ولا رضاع ولا مصاهرة، وقد عرفت أن كل ذلك يسمى مسّاً كما يسمى لمساً.

(هكذا).

الحنابلة قالوا: ينتقض الموضوع بـ لمس المرأة بشهوة بلا حائل، لا فرق بين كونها أجنبية أو محرماً، ولا بين كونها حية أو ميّة، شابة أو عجوزاً، كبيرة أو صغيرة (؟)، تُشتهى عادةً، ومثل الرجل في ذلك المرأة، بحيث لو لمست رجلاً انتقض وضوؤها بالشروط المذكورة، ولا ينقض اللمس إلا إذا كان لجزء من أجزاء البدن، غير الشعر والسن والظفر، فإذا لمس هذه الأجزاء الثلاثة لا ينتقض الموضوع، أمّا

الملموس فإنه لا ينتقض وضوئه، ولو وجد لذة، ولا ينقض لمس رجل لرجل، ولو كان أمرد جميلاً، ولا لمس امرأة لأمرأة، ولا خشي لخشي، ولو وجد اللامس لذة.

المالكية قالوا: إذا لمس المתוسيغ غيره بيده أو بجزء من بدنها فإن وضوئه ينتقض، بشرط بعضها في اللامس وبعضها في الملموس، فيشترط في اللامس أن يكون بالغاً، وأن يقصد اللذة، أو يجدها بدون قصد، فمتى قصد اللذة انتقض وضوئه، ولو لم يلتذ باللمس، وأن يكون الملموس عارياً أو مستوراً بستر خفيف، فإن كان الساتر كثيفاً فلا ينقض الوضوء، إلا إذا كان اللمس بالقبض على عضو وقصد اللذة أو وجدتها، وأن يكون الملموس ممن يشتته عادة، فلا ينتقض الوضوء بلمس صغيرة لا تشتته، كبنت خمس سنين، ولا بلمس عجوز انتهت أرب الرجال منها، لأن النفوس تنفر عنها، ومن أجزاء البدن الشعر، فينقض الوضوء بلمس شعر المرأة إذا قصد اللذة أو وجدتها، أما إذا لمست المرأة بشعرها يداً فإن وضوئها لا ينتقض، وكذا لا ينتقض بلمس شعر رجل لشعر امرأة، أو بلمس ظفر بظفر، لفقد الإحساس فيهما عادة، وقد عرفت أن المدار في اللمس على قصد اللذة أو وجدانها، لا فرق بين أن يكون الملموس امرأة أجنبية، أو زوجة، أو شاباً أو ملماً، أو شاباً له لحية جديدة (؟)، يلتذ به عادة (؟؟؟)، أما إذا كان الملموس محراً، كاخت أو بنتها أو عمّة أو خالة، وكان اللامس شهرياً (؟) فقصد اللذة ولكن لم يجدها، فإن وضوئه لا ينتقض بمجرد قصد اللذة، بخلاف ما إذا كانت أجنبية، ومن

اللمس القبلة على الفم، وتنقض الوضوء مطلقاً، ولو لم يقصد اللذة أو يجدها أو كانت القبلة بإكراه، ولا تنقض القبلة إذا كانت لوداع أو رحمة، بحيث يكون الغرض منها ذلك في نفسه، بدون أن يجد للذلة، فإن وجده للذلة فإنها تنقض.

هذا كلّه بالنسبة لللامس، أمّا الملموس فإنّ كان بالفم ووجد اللذة انتقض وضوؤه، فإنّ قصد اللذة فإنه يصير لاماً يجري عليه حكمه السابق، هذا ولا ينقض الوضوء بفك أو نظر من غير لمس، ولو قصد اللذة أو وجدها أو حصل له إنعاذه، فإنّ أمدّي بسبب الفكر أو النظر انتقض وضوؤه بالمذى، وإنّ أمني وجب عليه الفصل بخروج المني.

الحنفية قالوا: إن اللمس لا ينقض بأي جزء من أجزاء البدن، ولو كان اللامس والملموس عاريين، فلو كان الرجل متوضعاً ونام مع زوجته في فراش واحد، وهما عاريان متلاصقان، فإنّ وضوئهما لا ينقض إلا في حالتين:

- الأولى أن يخرج منهما شيءٌ من مذى ونحوه.

- الثانية أن يضع فرجه على فرجها، وذلك ينقض وضوء الرجل بشطرين، الأول أن يتتصبّر الرجل، والثاني أن لا يوجد حائل يمنع حرارة البدن، أمّا وضوء المرأة فإنه ينقض بمجرد التلاصق متى كان الرجل متتصباً، فإذا فرض ونامت امرأة مع امرأة أخرى وتلاصقتا بهذه الكيفية (؟) فإنّ وضوئهما ينقض بمجرد تلاصق الفرجين ببعضهما وهما عاريتان، ويقيت صورة أخرى، وهي أن يتلاصق رجل مع رجل آخر وهما عاريان، كما قد يقع في الحمام في حالة الزحام، وحكم

هذه الحالة أنه لا ينقض وضوئهما إلا إذا كان اللامس مت指控اً. وبذلك نعلم أن الحنفية اختلفوا مع سائر الأئمة في هذا الحكم، أما المالكية فقد رتبوا النقض على قصد اللذة أو وجدانها، فخالفوا الشافعية والحنابلة في مس العجوز التي لا تُشهى، فقالوا إنه لا ينقض، والشافعية والحنابلة قالوا إنه ينقض، وكذا خالفوهم في مس الأمد الجميل، فقال المالكية إنه ينقض، وقال الشافعية والحنابلة إنه لا ينقض، ووافقوهم على أن اللمس لا ينقض إلا إذا كان الملموس عارياً، أو مستوراً بساتر خفيف... الخ.

انتهى الاقتباس الطويل من كتاب «الفقه على المذاهب الأربع»، أمّا كتاب «فقه السنّة»⁽¹⁾، باب الطهارة، فصل نواقض الوضوء، فإنّه يعدد هذه النواقض بأربعة، دون أن نعرف إلى أي مذهب استند، وهي:

- 1 - كل ما خرج من السبيلين.
- 2 - النوم المستغرق.
- 3 - زوال العقل
- 4 - مس الفرج بدون حائل^(?)

دون أن يأتي على ذكر ما أورده الأئمة الأربع حول لمس المرأة والغلام الأمد الجميل، وأكثر من ذلك يشير في باب «ما لا ينقض الوضوء» فيقول: أحيبنا أن نشير إلى ما ظنَّ أنه ناقض للوضوء، وليس

(1) السيد سابق - فقه السنّة.

بناقض، لعدم ورود دليل صحيح يمكن أن يعول عليه في ذلك، ويبدأ بـ«المس المرأة بدون حائل» فيذكر عن عائشة تفضي بها أنَّ رسول الله قبلها وهو صائم، وقال «إِنَّ الْقُبْلَةَ لَا تَنْقُضُ الْوَضْوَءَ وَلَا تَفْطِرُ الصَّائِمَ»، وعنها: «أَنَّ النَّبِيَّ قَبِيلٌ بعضاً نِسَاءَه ثُمَّ خَرَجَ إِلَى الصَّلَاةِ وَلَمْ يَتَوَضَّأْ» وعنها أيضاً قالت: «كُنْتُ أَنَامُ بَيْنَ يَدَيِ النَّبِيِّ وَرَجْلَاهِ فِي قَبْلَتِهِ، فَإِذَا سَجَدَ غَمْزَنِي فَقَبَضَتْ رَجْلَيِّ»

هل فاتت هذه الأحاديث على الفقهاء والأئمة، أم أهملوها، أم اعتبروها منحولة على لسان عائشة كونها لم تتوافق مع آرائهم واجتهاداتهم؟

ولماذا أغفل الأئمة رحمة الله بعباده، فضيقوا الخناق عليهم؟ وكيف نقبل منهم أحکاماً لم يجيدوا استخلاصها من كلام الله؟ . . . فأساءوا عن جهل أو قصد.

ولما استندوا حين أضافوا المس الغلام الأمرد الجميل؟ هل لقص في القرآن أرادوا استدراكه؟ وأية صورة كانت في خواطرهم لل المسلمين أفراداً ومجتمعات؟ ولماذا خاطبوهم بهذا الامتحان لعقولهم وهذا الامتحان لطبعاتهم وأخلاقهم؟ وهل في خلافهم رحمة للأمة كما يشاع؟؟؟ . . .

نقول إنهم ربما تأثروا بفسوق عصرهم، الذي درج فيه نكاح الغلمان وتفضيلهم على النساء، سواء من قبل الخلفاء والأمراء وساكني القصور، أو لدى العامة، وهو بات في حينه سلوكاً شائعاً، وحتى مداعاة للتfaخر، وتمتلئ الروايات والسير التي تم التعمية عليها

قصدًا، بشواهد وحكايات يشيب لها الرأس، نجدها في شعر أبي النواس والعشرات غيره، من شعراء ذاك العصر، يقول أبو النواس، في مثال من آلاف الأمثلة:

غلاماً واضحأً مثل المهاة
لطيب هوى وصال الغانيات
يخدع نفسه بالترهات
وحيتانًا على ظبي الفلاة؟
على ما تكرهين إلى الممات
بنفضيل البنين على البنات^(١)

وعاذلة تلوم على اصطفائي
وقالت قد حُرمت ولم تُوفَّت
فقلت لها جهلت فليس مثلي
أختار البحار على البراري
دعيني لا تلوميني فإني
بذا أوصى كتاب الله فيما

لكتنا نقول، إنَّ فسوق عصرِ بعينه، وفجور ناسه، لا يبرران ابتكارَ
شرعِ جديد، والإتيان بما لم يقل الله في كتابه المحكم، والقعود مقام
بدلاء الله أو وكلائه، حتى لو افترضوا من عندهم أنَّ المسلمين كلهم
كذلك، وسيظلون كذلك، حتى يوم القيمة..

السنا أمام جنائية كبيرة ارتكبها فقهاؤنا بحق ديننا السمح وشرعنا،
وهي جنائية لم تقتصر على هذا الأمر، بقدر ما توسيعنا إلى أمور ومناجٍ
كثيرة طبعت حياتنا وقناعاتنا وسلوكياتنا، جزاً لهم على الله...

يزوّدنا هنا، الإمام الشيخ محمد عبده بإضافة حول جنائية هؤلاء
الفقهاء على شرع الله، في مثال آخر يتجاوز اللمس والمس إلى أطهر
العلاقات البشرية، يقول:

(١) أبو نواس - النصوص المحرمة - تحقيق جمال جمعة.

رأيت في كتب الفقهاء أنهم يعرّقون الزواج بأنّه (عقد يملك به الرجل بضم المرأة) أي فرجها، (وهو تعريف يليق ببيوت الدعاية، لا ببيوت المسلمين)، وما وجدت فيها كلمة واحدة تشير إلى أن بين الزوج والزوجة شيئاً آخر غير التمتع بقضاء الشهوة الجنسيّة، وكلّها حالية من الإشارة إلى الواجبات الأدبية التي هي أعظم ما يطلبه شخصان مهتمبان كلّ منهما من الآخر، وقد رأيت في القرآن الشريف كلاماً ينطبق على الزواج، ويصح أن يكون تعريفاً له، ولا أعلم أن شريعة من شرائع الأمم التي وصلت إلى أقصى درجات التمدن جاءت بأحسن منه، قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ أَيْمَنِيهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوْدَةً وَرَحْمَةً﴾⁽¹⁾، والذي يقارن بين التعريف الأول الذي فاض عن علم «الفقهاء» علينا، وبين التعريف الثاني الذي نزل من عند الله، يرى بنفسه إلى أي درجة وصل انحطاط هذا الفقه ..

آخر الكلام، ربّما نترحم على السابقين من هؤلاء الفقهاء، متى رأينا اللاحقين أكثر جهلاً بالدين وتجنياً عليه، يستبطون بعقربيات فذة فتاوى ما أنزل الله بها من سلطان ولا كتاب، وما سبقهم إليها نبيٌّ ولا فقيه، إذ طالعتنا جريدة الشرق الأوسط في أحد أعداد مارس/آذار 2002 بفتوى خطيرة للشيخ عطية صقر، قال فيها - لا فضّ فوه - «إنّ مصافحة الرجل للمرأة زنى»، مستنداً - ربّما - إلى ترهات سلفه الطبرى الذي أورد حديثاً عن معقل بن يسار منسوباً إلى النبي أنّه قال

(1) سورة الروم، الآية: 21.

«لأن يُطعن في رأس الرجل بمحيط من حديد خيرٌ من أن يمسّ امرأة لا تحلّ له» حاشا رسول الله.

تصوروا... المصافحة تساوي الزنى... ومثلها فحص الطبيب أو إجراء عملية جراحية من قبل طبيب مختص لامرأة تقارب الموت... وهلم جراً... دون أن نعرف كيف صنف هؤلاء نسيبة بنت كعب الانصارية التي شاركت في غزوة أحد، وسقطت المقاتلين وداوت الجرحى، ثم حملت ترساً ودافعت عن النبي، حين انقض الرجال من حوله، فقتللت اثنين من المشركين، ثم شاركت في الحديبية، وحنين، ومعركة اليمامة، وساهمت بنفسها في قتل مسيلمة الكذاب... هل صنفواها كزانية لكونها لامست الرجال، وعارضتهم، وقاتلتهم؟، أم نقول إنها مجاهدة ذات فضل؟... .

كما نقرأ نصاً لفتوى تقرر أنّ من أخطر المفاسد التي ابتليت بها أمتنا العظيمة ما يسمى بالكرسي... وما يشبهه من الكنبات وخلافها، أولاً لأن السلف الصالح كانوا يجلسون على الأرض ولم يستخدمو الكرسي، ولو كان فيها خير لفعله رسول الله، وثانياً أن هذه الكراسي صناعة غربية، وفي استخدامها ما يوحى بالإعجاب بصناعتها وهم الغرب، وهذا والعياذ بالله يهدم ركناً من الإسلام وهو الولاء والبراء، وثالثاً أن جلوس المرأة على الكرسي مدعاه للفتنة، كما إنه يؤدي إلى الكثير من الرذائل، إن الجلوس على الكرسي رذيلة وزنا لا شبّهه فيه، رابعاً إن الجلوس على الأرض يذكر المسلم بخالق الأرض... . دون أن يفسروا لنا علاقة الكرسي بالزنا الذي ضيق الإسلام شروطه

واشترط أربعة شهود ودخول الخائن في المحيط، وهل يشمل ذلك كراسي السيارة وكراسي الطائرة وكراسي طبيب الأسنان وغيرها، ناهيك عن الاختراعات الغربية الأخرى كالهواتف النقال/الموبايل، والتلفزيون، وكل الأجهزة الحديثة الأخرى التي يسرّت حياتنا، وكلها صناعات الغرب، لا إبداعاتنا، والتي لم يحرموها كيلاً يحرموا أنفسهم من استخدامها، ربما تحت ذريعة أنّ الضرورات تبيح المحظورات... أليسوا يفضلون الأمور على مقاسهم وهو لهم؟...

لا حظوا تعبير «أمتنا العظيمة» في بداية الفتوى...

وإذا كان هؤلاء الفقهاء يعتبرون أن مصافحة المرأة للرجل هي زنا، وجلوسها على الكرسي أو الكتبة زنا لا شبّهه فيه، فإنّ نظراءهم من شيوخ المسلمين في مناطق القبائل في الباكستان (الطرف الآخر من الأمة العظيمة)، الذين يؤمّنون بهاتين الفتويين، هم أنفسهم من أقنع تابعيهم بأنّ ترك سراويلهم لدى زوجاتهم، حين السفر للعمل فترات طويلة في الخارج، يسرّ حمل زوجاتهم، في غيابهم، والرزق بأولاد، غيابياً، وعادة يحتفل العامل الباكستاني في بلد اغترابه، بمولود أو أكثر، رِزْقَهُم خلال غيابه الطويل...⁽¹⁾

وفتوى أخرى، للشيخ عبد الله النجدي في 36 صفحة تحرّم كرة القدم، وتضع 15 شرطاً للاعبها على الطريقة الإسلامية، منها منع وجود متصرّجين، ومنع ارتداء لباس اللعب، وضرورة عدم وجود حكم، واعتراف اللاعب بخطأه، وتشاور باقي اللاعبين في عقوبته،

(1) صحيفة المصري اليوم - عدد 13/2/2008.

وتوبته، وأن لا يكون عدد اللاعبين أحد عشر لاعباً، ومنع استخدام التعبير المألوفة مثل كلمة هدف أو غول واستبدلها بعبارة دخول الكرة بين القائمتين والعارضة، إلى آخره من هذه الترهات...

وأخرى للشيخين عثمان الخميس وسعد الغامدي بتحريم الانترنت على المرأة، بسبب خبث طويتها، وأنه لا يجوز لها فتحه إلا بحضور محرم مدرك لعهر المرأة ومكرها..... تصوروا هذا الإطلاق، كل امرأة عاهرة ماكرة.. أمهاطنا وأمهاتهم، زوجاتنا وزوجاتهم، بناتنا وبناتهم !!! ..

وفتوى للشيخ عبد الله بن جبرين أباح فيها الجهاد ضد الشيعة وأوجب البصق في وجوههم ..

وفتوى للشيخ ابن تيمية بتحريم علم الكيمياء ووصفه بالسحر...
(وعلم الكيمياء أساس لعلم الأدوية التي أنقذت البشرية من الأمراض)...

وفتوى حديثة للشيخ محمد المنجد، هاجم فيها الفتنان، معتبراً أن الشريعة الإسلامية سمت الفار بالفويسقة، وأنه يجب أن يقتل في الحل والحرم، وأنه يضرم على أهل البيت النار، وأن الشيطان يسيّر الفار، وأنه من جنود إبليس، وتحذر الفتوى الغريبة الأطفال من الإعجاب بشخصيات الفتنان الكرتونية أمثل ميكى ماوس، وجيري(?)، متجاهلة بكلّ عن特 أن الفتنان ساهمت في إنقاذ البشرية من الأمراض حين كانت دائمًا ضحية التجارب المخبرية، وأنها أضحت أطفال العالم لأجيال عديدة، وهم ذات الأطفال الذين يريد الشيخ تعكير حياتهم،

بما ترفضه أبسط العقول... . وببقى الإنجاز الأكبر للشيخ (المفتى) أنه أضحك العالم على المسلمين، وجعلنا مسخرة لصحافة وتلفزيونات العالم ومواقعها الالكترونية، بكل لغاتها، ورسخ اتهامنا بالإرهاب، حتى ضد الحيوانات المسكينة... .

وفتوى للشيخ عبد العزيز بن باز، ومثلها للشيخ ابن عثيمين، تقرر (إن القول بدوران الكروية الأرضية قول باطل، والاعتقاد بصحته مُخرج عن الملة (كفر)، لمنافاته ما ورد في القرآن الكريم من أن الأرض ثابتة لا تدور (?)، قد ثبّتها الله بالجبال أو تاداً، قال تعالى «والجبال أو تاداً»، وقال «والى الأرض كيف سطحت»، وهي واضحة المعنى، فالأرض ليست كروية ولا تدور... .)، وهي الفتوى التي أكدّها الأزهر (الشريف) حين أعطى موافقته رقم 7043 لعام 2000 بإجازة كتاب «قصة الخلق»، الذي روّجت له الأهرام (?) على أنه «كتاب القرن»، وهو استعمل على فصول مثل «الأرض ثابتة لا تدور»، وأكذوبة الجاذبية الأرضية، و«نظريات باطلة لأينشتاين ونيوتون وغاليليو وداروين»... . تصوروا أن يقال هذا الكلام في مطلع الألفية الثالثة، عصر الاكتشافات العلمية المذهلة، الذي ينكره فقهاؤنا ويريدون لنا الإمعان في الجهل والتخلّف وراء أمم الأرض، ناسين أنَّ الله عَلِمَ الإنسان ما لم يعلم... .

أما أحدث الفتاوى الطازجة (أكتوبر 2008)، فهي فتوى الشيخ صالح الفوزان عضو هيئة كبار العلماء في السعودية، التي اعتبر فيها «البوفيه المفتوح» حراماً وغير جائز شرعاً..... وهو من بيع الغرر

المنهي عنها في الشريعة، لأنك تأكل ما ت يريد دون تحديد للكمية مقابل مبلغ محدد من المال، وقد رد عليه الشيخان محمد الطبطبائي ومحمد العنزي من الكويت، بما ينقض فتواه، ويحلل ويجيز «البوفيه المفتوح»، مستندين إلى جواز أجرة الحمام، التي أباحها العلماء قديماً، رغم علمهم باختلاف حال الداخلين للحمامات من حيث فترة المكوث فيه واستعمال الماء الذي يختلف من شخص لآخر.

تعنوا، يرحمكم الله، علام تختلف هذه الأمة العظيمة في القرن الواحد والعشرين . . .

يبقى أن أقبح الفتاوى، وأخطرها مدلولاً، هي ما نشرته الصحفة السعودية في أواخر نيسان / ابريل 2009، يقول الخبر: الرياض - د، ب، أ: أوقفت فتوى دينية مشروع إنارة مقابر في السعودية، وتسببت في التراجع عن تنفيذه، وأكَّد المحدث الرسمي لبلدية المويء شرقي الطائف في غرب المملكة لصحيفة عكاظ: أن البلدية سعت لإنارة المقبرة لتخفيف معاناة الأهالي عند دفن موتاهم ليلاً، وبدأت في تركيب أعمدة الإنارة، إلا أنها تراجعت عن ذلك بعد أن وردت فتوى من أحد العلماء يؤكد فيها عدم جواز إنارة المقابر، وأشار المحدث إلى تعليم صدر من وزارة الشؤون البلدية والقروية يؤكد منع إنارة المقابر . . .

أي إسفاف وفجور وضلال وتجنٌ على الإسلام أكثر من هذا؟ ولنلاحظ أن الفتوى صدرت عن أحد العلماء لا عن المفتى الرسمي للملكة، أي إن كل من هب ودبَ وادعى العلم بالدين بات صاحب

قول ملزم، يغير من قرارات وزارات الدولة ومؤسساتها، دون أن يجرؤ أحدٌ على مراجعة ضلاله وتجنيه وتخريفة . . .

يقول الكاتب وليد الرجيب: «سوق الفتاوي مليء بالفتاوی الغريبة حول تحريم ربطه العنق، والملابس الرياضية، وبعض ألعاب الأطفال، والكعب العالي، وغيرها من الفتاوی العجيبة، إن مثل هذه الفتاوی جعلت «سوق الفتاوي» أمراً مباحاً لـ كل من هبّ ودبّ، ولم تترك في حياة المسلم شيئاً حلالاً

أما الكاتب جعفر رجب، فيقول: «نبحث وسط عالمنا اللامعقول عمن يعيid للناس عقولها . . . فمَن يتصورون أنفسهم عقلاً للأمة، ومخرجيها من الضلال إلى الهدى، ومن الظلمة إلى النور، ومن الجهل إلى العلم، يمارسون استخبارتها واستهابتها واستحمارها، عبر الخطابات والنصائح الغربية على العقل والوجودان . . يتعاملون مع الناس كأنهم قطيع غنم تبحث عن كاد، أو كأنهم حمر تركض هائمة، تائهة، خائفة من افتراسها من قبل وحوش الغرب، أو أنهم أمة قاصرة بحاجة إلى ولبي أمر يأخذ بيدها، بعيداً عن طريق التهلكة . . لماذا يصرّ (رهباننا) على ممارسة دور رجل السياسة، والاقتصاد، والنقد السينمائي، والمهندس الفضائي، وعالم المايكروبيولوجي، والممثل المسرحي . . فينتقد ويتحدث في كل شيء، ويعرف تفسير كل شيء وأي شيء، من م بطولات الوضوء إلى حل أزمة النظام المصرفي العالمي؟ . . لماذا يصرّون على أنهم وحدهم عقلاً للأمة؟ في مقابل بحر الجهلة الذين يتبعون برامجهم؟ ولماذا يحتكرون وكالة تفسير

الدين دوناً عن الخلق؟... (فعاقل) ي يريد قتل الميكى ماوس فى الحل والحرم، بالسيف والسم، ويعلن الحرب على الفار جيري، تأييداً للقط توم... وأعقل منه يعلم المشاهدين كيفية ضرب الزوجة وتربيتها، بطريقة علمية... وآخر يقدم درساً عملياً لكيفية الأكل باليدين، ولو كنت أعسر، فتضع يدك اليسرى تحت رجلك اليسرى، وتقطع اللحم أولاً، ثم تأكل باليدين فقط... وآخر رفع أكمامه، وقد جمع حوله الشباب، ممسكاً بيده إبريق الحمام، يعلّمهم كيفية غسل الموتى... .

أليسوا جميعاً فقهاء الظلام وقاتلني نور الإسلام... .

تقول الدكتورة آمنة نصیر أستاذة العقيدة الإسلامية بجامعة الأزهر، في حديث نشر بتاريخ 29/9/2008: «نحن نعاني خلال هذه الفترة من فوضى في كل شيء، وليس في الفتوى فقط، فهناك حالة عامة من الترهل والتفلت والتشرد يعاني منها المجتمع العربي والإسلامي، وهذه الفوضى سببها أن الإنسان العربي عموماً والمصرى خصوصاً، فهم الانفتاح والعلمة والدنيا المفتوحة سماءً أو أرضاً بأنها فرصة لأى شخص لكي يفعل ما يريد من دون ضوابط، ما أدى إلى حدوث فوضى عارمة في جميع الجوانب، المسؤول عن ذلك هي المؤسسة الدينية، لأنها، بلا شك، مؤسسة ضعيفة في هذه المرحلة، وبكل صدق وشجاعة أدبية، فإن هذه المؤسسة تعيش أسوأ فترات ضعفها، ولا يوجد أي نوع من الحزم أو الضوابط منها تجاه ما يحدث من تجاوزات في سوق الفتوى... . كما أدى غياب المؤسسة الدينية إلى دخول شخصيات غير مؤهلة، وليس كل من تعلم علمًا أو درس درساً يستطيع

أن يستوعب أسرار وضوابط النصوص، وهذا مفهوم خاطئ للحرية أن يقول ما تشاء.... إن دخول الغرباء مجال الفتوى، وعدم وجود المظلة القوية التي تحوي الفكر الديني بشكل منضبط أدى إلى قيام البعض باستغلال الدين استغلالاً خاطئاً، وبالتالي نرى هذه الفوضى وهذا التفلت».

صدقت الأستاذة، لكن ربما فاتها أن جذور وأسس هذه الفوضى وهذا التفلت تمتد عميقاً في تاريخ موروثنا، إلى منتصف القرن الهجري الأول، وربما إلى عشية وفاة محمد بن عبد الله . . .

رحم الله هذه الأمة التي خربَ فقهاؤها السابقون واللاحقون دينها السمح، فباتت آخر الأمم . . .

الإضافة العاشرة

لمسُ الذَّكْر

(علاقة الإله بلمس الباه)

نموذج مخرجٍ ثالث

الثقافة ليست إلاً التعبير المصغر للمجتمع
بشكل عام

عزيز إسماعيل

يبدو أن ثمة فobiya عانى منها فقهاؤنا السابقون، تصل إلى حدود العقدة النفسية التي احتاجت إلى علاج لم يتوافر لهم في حينه، وإذا توافر العلاج في عصرنا الحاضر، فإن فقهاءنا المعاصرین لم يلجأوا إليه لأن المريض النفسي لا يعرف أو لا يعترف بمرضه ..

هذه الفobiya هي فobiya اللمس، فقد ترك لنا السابقون ذخراً وفيراً من اجتهاداتهم حول هذا الأمر، وجاء اللاحقون فكرسواها وينذلوها جهدهم لإقناعنا بها، وفرضها على سلوكياتنا . . .

وتبدو ثنائية اللمس - الموضوع موقعاً لإشكالية كبيرة، تحتل حيزاً من معتقداتنا ومفاهيمنا . . .

لا يجوز لمس المصحف دون وضوء، وقد أشرنا إلى ما جاء به أئمتنا الكبار حوله . . .

لمس المرأة، أو الغلام الأ مرد الجميل، ولو بطرف اليد، بقصد أو بغية، ينقض الموضوع، وقد أشرنا للاحتجادات المخجلة حول هذا الموضوع، التي تملأ كتب فقهنا . . .

لمس الذكر ينقض الموضوع.. الجانب الثالث من مكونات فobiya اللمس . . . وقد اختلف فيه الأئمة اختلافاً بيناً، فعمل به الشافعية والمالكية والحنبلية، ورفضه الحنفية . . .

بداية، ما هو الموضوع، أحد طرفي الإشكالية هنا؟ . . .

النظافة والطهارة واجب الإنسان تجاه نفسه، وهي في الغالب غريزة فطرية منذ أن رأى الماء لأول مرة وتعرف إلى فوائده، قبل أن توجّبها كلُّ الأديان السماوية، وغير السماوية، وهي ليست ابتكاراً إسلامياً صرفاً . . .

والوضوء جانب من الطهارة جاء به الإسلام، كطقس ملزّم، ليؤكّد أن الوقوف بين يدي الإله يتطلّب طهارة الجسد والروح، وهو ما يمارسه كلُّ أتباع الأديان الأخرى فيغتسلون قبل أداء طقوسهم وصلواتهم . . .

لكتّة في النتيجة عملية رمزية لكل الطقوس الأخرى، تجسّد احترام العبد لربّه، أكثر مما هي عملية تنظيف لبعض أجزاء الجسم دون بعضها، والدليل على ذلك:

1 - أباح الله استخدام تراب الأرض أي التيّم، عند فقدان الماء، والتراب لا يفيد في تحقيق النظافة، والحكمة الإلهية كانت كبيرة في هذا المقام، فالغرض هو تأكيد الإحساس بالطهارة حين الوقوف بين يديه، ولو كان الوضوء عملية تنظيف فعلية لبعض أجزاء الجسم لما أباح الله التيّم . . .

2 - الوضوء يشمل بعض أجزاء الجسم دون غيرها، وهذا دليل آخر على رمزية العملية، فغسل اليدين إلى المرفقين استبعد الطرف الأعلى من اليدين، وغسل القدمين إلى الكعب، أو مسحهما، استبعد الساقين والفخذين، ومجرّد إباحة المسح على الخفين كافٍ لاستنتاج الرمزية، وليس منطقياً أن نقول إن الوضوء انحصر بالأجزاء الظاهرة

من البدن، قاله ^{يُنْزِلُ} يرانا حين نقف بين يديه، ورؤيته ليست بالعين تلحظ الظاهر ويختفي عليها المستور . . .

3 - إذا أحدث أحدهنا، أي أخرج من دبره ريحًا أو صوتًا، وجب عليه الوضوء قبل أداء الصلاة، (وهذه لم ترد في القرآن الذي حصر الأمر ببيان الغائط)، ونسأل: لمَ لم يفرض هنا شطاف الدبر؟ أليس هو مصدر الإخراج؟، وما علاقة إخراج الريح أو الصوت من الدبر بمسح الرأس أو الأذنين أو كعب القدم؟ وهل إخراج الريح من الدبر يفعل فعل قنبلة غازية تنتشر إلى الأجزاء الظاهرة من البدن، ويصعب عليها النفاذ إلى الأجزاء المستورة؟ . . . ألسنا هنا أمام دليل آخر على رمزية الوضوء؟ . . .

4 - إذا استحم أحدهنا بالماء والصابون، وهو ما يعيض عن الوضوء، وأحدث حدثاً صغيراً، كأن يخرج ريحًا من دبره، وجب عليه الوضوء، أي غسل الوجه واليدين ومسح الرأس وغسل القدمين، وهي أجزاء نظيفة أصلاً كباقي البدن كله الخاضع تواً لاستحمام شامل. أليس إذن عملية الوضوء رمزية؟ .

هذه العملية الرمزية، التي أرادها الله لخلق الإحساس لدى عبده بفعل الطهارة حين يقف بين يديه، تقديرًا لجلاله وعظمته، حولها أئمتنا الصالحون إلى عملية معقدة، وطبقاً مربكًا يستلزم أداؤه التعمق في دراسة اجتهداتهم المتضاربة حوله . . .

يخصّص كتاب «الفقه على المذاهب الأربع» لعبد الرحمن الجزييري 92 صفحة من القطع الكبير والحرف الصغير (الصفحتان 7 - 99)، لتفاصيل الطهارة والوضوء.

أما كتاب «فقه السنة» للسيد سابق فيخصص له 77 صفحة (الصفحات 21 - 98).

وتشمل التفاصيل التي توسيع فيها أئمتنا الأربعة ما لا يكتب عن العمليات الجراحية المعقدة، ويحتاج معها المسلم إلى دراسة مستفيضة لإتقان وضوئه وتجنب فساده، وهو ما لا يمكن تتحققه لاختلاف الأئمة في كل تفصيل من تفاصيله، فما يجعلك متوضعاً على أحد المذاهب، يجعلك منقوصاً في الموضوع على المذاهب الثلاثة الأخرى . . .

وتقبل الله لصلاتك سيكون مرهوناً بصلاحية اجتهاد من تبعه من الأئمة، ألم نجعل من هؤلاء الأئمة وسطاءنا إلى الله، يحددون لنا شكل الطقوس ويعنوننا تذكرة عبادته، في تكريس للرهاقية والكهنت اللتين حرمهما الإسلام . . .

تعود إلى الذكر . . لماذا ينقض لمسه الموضوع تبعاً لاجتهدات أئمتنا العظام؟

في كتاب «الفقه على المذاهب الأربعة»، المبحث الثامن في نواقض الموضوع، يستطرد المؤلف في ذكر هذه النواقض واستعراض اجتهدات الأئمة الأربعة حول كل جزئية صغيرة منها، وهو يقسم نواقض الموضوع إلى أقسام، الأول منها: ما خرج من أحد السبيلين، الذي يقسم بدوره إلى قسمين، معتاد وغير معتاد، والثاني منها: ما قد يترب عليه الخروج من أحد السبيلين، وهذا ينقسم بدوره إلى أربعة أقسام: الأول غيبة العقل، والثاني: لمس امرأة تُشتهى، ومثلها لمس الغلام الأ مرد (?)، والثالث: مس الذكر بدون حائل، والرابع: ما يخرج من غير القبل أو الدبر كالدم.

وكيل نستهلك صفحات الكتاب في عرض الاجتهادات العبرية المفضلة لكل جزئية، نكتفي بإيراد ما تعلق بلمس الذكر ونقضيه للوضوء، في إيجاز لم يوفق في تجنب ملل الاستطراد... نقرأ:

القسم الثالث: من النواقض التي يترتب عليها الخروج من أحد السبيلين: المنس باليد (ما علاقة المنس بالخروج من أحد السبيلين؟)، وحكم هذا فيه تفصيل، وهو أنه لا يخلو إمّا أن يمس بها نفسه أو غيره، فإن مسٌّ غيره كان لاماً تجري عليه أحكام اللمس المتقدمة (لاحظوا التعميم)، أما إن مسَّ نفسه، فإنَّ المعتاد في مثل ذلك أنَّ الإنسان لا يلتذ بمس جزء من أجزاء بدنِه (إقرار بأساس الاجتهاد)، ولكن قد ورد في الأحاديث ما يدلُّ على أنَّ من مسَّ ذكر نفسه انتقض وضوئه، وورد في البعض الآخر أنَّ ذلك المنس لا ينقض الوضوء، ولذا اختلفت المذاهب في ذلك (؟)، فمن قال: إنَّ مس ذكر الإنسان نفسه لا ينقض، استدلَّ بأحاديث، منها ما رواه أصحاب السنن إلَّا ابن ماجه، وهو أنَّ النبيَّ سُئل عن رجل يمس ذكره في الصلاة، فقال: «هل هو إلَّا بضعة منك» (أي جزء من أجزاء بدنك)، وهذا الحديث رواه ابن حبان أيضاً في صحيحه، وقال الترمذى: إنَّ هذا الحديث أحسن شيء يروى في هذا الباب، أما الذين قالوا: إنَّ مس الذكر ينقض الوضوء، فقد استدلُّوا بأحاديث كثيرة، منها قوله: «من مسَّ ذكره فليتوضأ»، وقد أجمع الأئمَّة الثلاثة على أنَّ مس الذكر ينقض، وخالف الحنفية في ذلك فقط فقالوا: إنه لا ينقض، (لاحظوا أنَّ الاختلاف بين المذاهب ليس مرجعه القرآن، الذي لم يأتِ على ذكر

الأمر برقته، ولكن تضارب الأحاديث الكاذبة حكماً لتناقضها)، وإليك تفصيل مذاهبيم . . .

(النلاحظ أيضاً أنَّ سؤال الرجل للنبي هو حول مس الذَّكر في الصلاة، وليس خارجها، وهو ما تجاهله الفقهاء فاسترسلوا فيما لا سند له) . . .

قبل الاستطراد في تفصيل المذاهب في هذا الأمر الجلل ، نشير إلى ما أوردناه في فصل سابق، حول الجريمة الكبيرة التي اقترفها كتبة الأحاديث ، بعد رواتها المشكوك في أمرهم ، إذ وثقوا في (صحاحهم وسنتهم) أحاديث متضاربة ، هي ما أشرنا إلى أنها أساءت إلى الرسول ورسمت صورة النبي المشوش الذهن ، الذي جعلوه ينسى ما يقول ، فينافقن نفسه بأحاديث متضاربة حول الموضوع ذاته مهما كان تافهاً . . . / حاشاه /

فما الذي جاءت به مذاهينا الجليلة حول لمس الذَّكر؟

الحنفية قالوا: إنَّ مس الذَّكر لا ينقض الوضوء ، ولو كان بشهوة ، سواء كان بباطن الكف ، أو بباطن الأصابع ، لأنَّ رسول الله جاءه رجل كأنَّه بدوي ، فقال: يا رسول الله ، ما تقول في رجل مس ذكره في الصلاة؟ فقال: «هل هو إلا بضعة منك» أو «مضافة منك»؟ .. ولكنَّه يُستحب منه الوضوء خروجاً من خلاف العلماء ، لأنَّ العبادة المتفق عليها خيرٌ من العبادة المختلف فيها (فلماذا اختلفتم؟) ، يشرط أن لا يرتكب مكرهه مذهبـه (فماذا عن مكرهـات المذاهب الأخرى؟) . . . هذا وقد حمل بعض الحنفية العصَّ في قوله/ «من مس ذكره فليتوضاً»

على الوضوء اللغوي، وهو غسل اليدين، فيندب له أن يغسل يديه من الماء عند إرادة الصلاة، وكذلك لا ينتقض الوضوء لمس أي جزء من أجزاء بدنها، فلو مس حلقه دبره، فإنَّ وضوئه لا ينتقض، وكذا إذا مسست المرأة قبلها، ولكن لو أدخل إصبعه أو شيئاً - كطرف الحقنة - وغيبيها انتقض وضوئه، لأنَّها تكون بمنزلة دخول شيء في الباطن ثم خروجه، فإنَّ أدخل بعضها ولم يغيبيه، فإنَّ آخر جها مبتلة، أو بها رائحة انتقض وضوئه، وإنَّ فلا، وكذلك المرأة إذا وضعت إصبعها أو قطنة وسحومها في قبلها، فإنَّ خرج مبتلاً انتقض الوضوء، وإنَّ فلا... (؟) ..

المالكية قالوا: ينتقض الوضوء بمس الذكر بشروط: أن يمس ذكر نفسه المتصل به، فلو مس ذكر غيره كان لا مسأ، يجري عليه حكمه، وأن يكون بالغاً، ولو خشى، فلا ينتقض وضوء الصبي بذلك الماء، وأن يكون الماء بدون حائل، وأن يكون الماء بباطن الكف، أو جنبه، أو بباطن الأصابع، أو جنبها، أو برأس الإصبع، ولو كانت زائدة إن ساوت إحدى الأصابع الأصلية في الإحساس والتصرف، فلا ينتقض إذا مسَّ بعض آخر من أعضاء بدنها، كفخذه أو ذراعه، كما لا ينتقض إذا مسَّه بعوده، أو من فوق حائل، وينتفض الوضوء بالمس المستكمل للشروط المذكورة، سواء التذأّل أو لا، سواء كان عمداً أو نسياناً، ولا ينتقض بمس امرأة فرجها، ولو أدخلت فيه إصبعها، ولو التذأّل (لا حظوا التفريق بين الذكر والأنثى دون مستند قرآني)، ولا ينتقض بمس حلقه الدبر (تمييز آخر بين ذكر المرء ودبره دون مستند)،

ولا بإدخال إصبعه فيه على الراجح، وإن كان حراماً (كيف لفعل الحرام أن لا ينقض الموضوع؟)، إذا كان لغير الحاجة، ولا ينقض بمس موضع الجب - أي موضع قطع الذكر؟ - ولا بمس الخصيتيين، ولا العانة، ولو تلذذ، أمّا مس دبر غيره، أو فرج امرأة، فإنه لمس يجري عليه حكم الملاسنة (؟) . . .

الشافعية قالوا: ينقض الموضوع بمس الذكر المتصل والمنفصل إذا لم يتجزأ بعد الانفصال فلا يطلق عليه الاسم، وينقض بمس محل القطع، وإنما ينقض ذلك المس بشرط، منه: عدم الحال، ومنها أن يكون المس باطن الكف أو الأصابع - وهو ما يستتر عند انتبا乎هما بعضهما على بعض - مع ضغط خفيف (؟)، فلا ينقض بالمس بحرف الكف وأطراف الأصابع وما بينهما.

والشافعية كالحنابلة، لا يخسرون المس بمس الشخص ذكر نفسه، وإنما يقولون: إن المس يتناول مس ذكر الغير، فلذا قالوا: إن مس الذكر ينقض الموضوع، سواء كان ذكر نفسه أو ذكر غيره، ولو كان ذكر صغير، أو ميت (؟)، وإنما ينقض وضوء الماس دون الملموس، وكذا ينقض وضوء المرأة إذا مسست قُبَّلَاهَا، كما ينقض وضوء من مسَّه طبعاً، وحلقة الدبر لها حكم الفرج عندهم بخلاف الشخصية والعانة، فلا نقض بمسها.

الحنابلة قالوا: ينقض الموضوع بكل خارج نجس من سائر البدن، غير القبل والدبر المتقدم حكمه، بشرط أن يكون كثيراً، والكثرة والقلة تعتبر في حق كل إنسان بحسبه، بمعنى أنه يراعى في تقدير ذلك حالة

الجسم قوة وضعفاً، ونحافة وضخامة، فلو خرج دم من نحيف، وكان كثيراً بالنسبة إلى جسده نقض، وإنما فلا، ومن ذلك القيء عندهم.. لا نرى هنا علاقة بمس الذّكر، وقد وردت هكذا في المرجع (القيم) ...

تععنوا يرحمكم الله، في المدى الذي وصلت إليه التفاصيل والترهات، بما لم يرد في قرآن ولا كتاب... فذهب فقهاؤنا للحديث عن لمس ذكر مقطوع، وذكر الميت، والإصبع الزائدة، ومقدار الضغط، وميّزوا بين ذكر الرجل وقبل المرأة، وبين ذكر الرجل ودبره، وأدخلوا اللذة والشهوة في الحسبان... .

وكتّا لاحظنا محورية موضوع اللذة والشهوة لدى مناقشتنا أمر لمس المرأة والغلام الأمرد الجميل، فالMuslim - بحسب أنتمه - حيوان شهوانى يستثيره أي عارض، حتى لو كان متوجهاً إلى الصلاة والوقوف بين يدي خالقه.

فإن سلم على امرأة ولمسها بأطراف أصابعه، فهذا يحتم لدى الأئمة، أن تتحرك شهوته الحيوانية، ويرغب في النكاح، وربما رجف رجفة النشوة، أكثر من ذلك، هذا الحيوان بداخله يتحرك لو لمس غلاماً أمرد، فهو محكوم عليه بسوء الطوية وندالة النفس، وتوقع فعال الأنذال كلها أن تصدر عنه، ومثل هذا المسلم الحيواني لا بد أن تتحرك شهوته إذا لمس ذكر نفسه، ولو كان مقطوعاً، ... يا لللخزي!

هل يعكس هذا الأمر سلوكاً كان سائداً أيام هؤلاء الأئمة استلزم منهم الاختلاف حول معالجته؟ ربما، لكن هذا ما كان في أذهانهم من

تقييم لعباد الله، والأغلب شَكُّهم في مقدرة الدين على تشذيب نفس العبد وروحه، فأكثروا عليه من التحرّمات، وتقصّدوا دفعه في مسالك الضياع والتوهان في اجتهاداتهم المتناقضة في التوافه من الأمور.

أليس انتقاداً من جلال الله وعظمته، اختزال علاقته بالعبد بلمس جزء من البدن، أو امرأة، أو غلامٍ أمرد، أو ذكر مقطوع، أو ذكر ميت؟ . . . وهل فرض الله علينا طقوس عباداته لتسمو أرواحنا باتصالها بعْزَتِه، أم هي سادِيَّة منه - حاشاه - فطلب منا المشي على العجین دون لخطته؟ . .

أليست هذه جنایة الرواة الكاذبين للحديث، كأبي هريرة وغيره؟، وكتبة (الصحاح) المغرضين، كالبخاري وزمرة؟، والأئمة والفقهاء اللاحقين الذين عناهم الله بقوله: ﴿وَطَبِيعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾⁽¹⁾.

لا نتحيز لرأي الحنفية هنا برفض نقض الوضوء بمس الذكر، فكلّهم سواء، لكنّنا نريد إعمال العقل، ونصر على سمو العلاقة مع الخالق، ونرفض ابتسارها وتسيفيها على مذاهب أئمة بُنيت اجتهاداتهم على فرد مسلم سَيِّط الطویة، منحط المشاعر، يحكمه ذَكْرُهُ، لا تقواه . . .

(1) سورة التوبة، الآية: 87.

الإضاءة الحادية عشرة

الجانب الآخر

جنابة المسلمين على أهل البيت

نموذج رابع

حين يتواجد الجهل على صفتني النهر ،
يصبح من العسير أن تشرب ماء رائقاً

يتفقُّ كلُّ المسلمين، بكافَّةِ مذاهبِهم، على ما كانَ لعليٍّ وفاطمة والحسن والحسين من مكانةٍ عليةٍ ومقامٍ رفيعٍ، بحكم صلتهم بالنبي، وسيرتهم المتميزة.. .

هذه المكانة العلية والمقام الرفيع، يكفيان لإيفائهم حقَّهم من التقدير والتجليل، لدى المسلمين كافَّةً، بسنتهم وشيعتهم وفرقهم الأخرى.

ومن هنا يكون مبرراً أن نتساءل بصدرِ رحبٍ وعقلٍ مفتوحٍ، لماذا حاول بعض فقهاء وعلماء المسلمين من الشيعة والسنَّة إضفاء هذا الكم من القدسية عليهم، يقترب من الألوهية لدى غلاتهم، دونما حاجة لذلك، ودون أن يزيد ذلك أو يُنْقص من مكانتهم الرفيعة أو مقامهم العالى؟ .

ثمَّ، أليس من باب الإساءة إليهم، الاستناد في إضفاء هذه القدسية إلى روایات ضعيفة مغلوطة، متناقضة، تخالف الطبيعة البشرية، وتخالف التاريخ، وتستهين بالعقل؟ .

أليس ما ساقوه يدفع إلى التشكيك والاستهانة أكثر مما يدعون إلى الاقتناع واليقين؟ .

أليس فيما ترك لنا الطرفان من هذا الغثاء، أكبر دليل على الجهل، والكذب والتزيف للإسلام ديناً وتاريخاً؟ ..

قبل أن نفتح باب المناقشة مع هؤلاء الأفضل شيعة وسنة،
وندعوهم لاعمال بعض العقل الذي كرم الله به عباده، دعونا نعود قليلاً
إلى الوراء... إلى البدايات... .

اختزل العقل الجمعي لشعوب بلاد الشام وال العراق، قبل الفتح الإسلامي، ديانات وأساطير هذه الشعوب وكذلك الشعوب التي تداولت حكمهم واستعمارهم، أو التي خالطوها بالمعاش أو التجارة، بدءاً بالفينيقية والأكادية والأمورية، ثم اليونانية فالرومانية، في بلاد الشام، متبوعة بالمعتقدات اليهودية والمسيحية التي ولدت في المنطقة ذاتها، والبابلية والأشورية والسمورية، ثم الهندية والفارسية في العراق، وحين دخلت هذه الشعوب في دين الإسلام، كان من البديهي أن يظهر تأثير أفرادها بهذا المخزون من المعتقدات وال מורوث الشعبي، لا سيما وأن الإسلام لم يحرم أتباع الديانات والمذاهب الأخرى من ممارسة عباداتهم ومعتقداتهم، مما أتاح استمرارها جنباً إلى جنب مع الدين الجديد، واستمرار تمازجها واحتلاطها في أذهان المسلمين الجدد الذين صعب عليهم، الانسلاخ من معتقدات مارسوها مئات السنين، وطبعوا مجتمعاتهم بطبعها، والانتقال كلياً إلى مفاهيم و معتقدات جديدة، وهذا أمر طبيعي مفهوم، ولعلنا نلاحظ أن الطابع الإسلامي الصرف ترکز في العراق مثلاً في البصرة والковة، المدينتين الجديدين اللتين بناهما المسلمون بعد الفتح، واستوطنهما المقاتلون القادمون من الجزيرة العربية، دون أن نلحظ أي أثر أو حتى ذكر تاريخي هام للمدن الأخرى التي كان يسكنها سكان البلاد .

ويؤكد لنا التاريخ أن أهم قاسم مشترك لكل هذه الديانات

والمعتقدات، كان تأليه الأنبياء والمبشرين وحتى أبطال الأساطير، الذين أعطى كل منهم مسحة إلهية بشكل أو بآخر ..

لتأكيد هذه الفكرة، نلجم إلى جرجي كنعان⁽¹⁾ ونقل عنه ببعض التصرف، يقول: «في التراث الذي وصلنا من منابر سومر وبابل وأشور، ومن ماري ولارسا وأوغاريت، ومن غيرها من منابر سوريا الطبيعية (الشام وفلسطين والعراق)، نجد أنفسنا أمام مجموعة ضخمة من النصوص - المعتقدات التي تعتبر عن نضجهم الروحي المبكر، وعن سمو نظرتهم إلى الخالق والكون والإنسان، فمنذ الألف الثالث قبل الميلاد، وربما قبل ذلك بكثير، رفع الإنسان القديم في هذه الأرض نظره إلى الأعلى، فبهره جلالُ «العالِي» وعظمته وقدرته، وتكتشفت له الصورة الحقيقة لمفهوم «عل، العالِي» - (إيل - الله) أو «آن» - (السيد)، أو «مارديخ - ماردورك» - (السيد العظيم)، أو «أشور» - (السيد)، كانت الصورة الأروع لأسمى مفهوم حمله إنسان في داخله وتغنى بعظمته، وأنشد علويته، واغتبط بقربه منه.

و«السيد» «العالِي» لجلاله وعظمته وسموّه، يقي متعالياً ويعيداً، لا يراقب الإنسان في اهتماماته اليومية، ولا يهتم بمشكلات البشر الحياتية بمعناها العادي والمعتبر، «إنَّه فوق والإنسان تحت، الله هو الله، والإنسان هو الإنسان» كما جاء في الإلياذة.

من هنا كان شعور الإنسان القديم في هذه المنطقة من العالم بالحاجة إلى قوة أو قوى أخرى «سيئة» و«علالية» أيضاً، ولكنها تستمد

(1) جرجي كنعان - المسيح هو المشكلة.

سلطتها أو قوتها من القوة العليا المطلقة (السيد العالى المطلق)، ترافق الإنسان في اهتماماته اليومية، وتهتم بمشكلاته الحياتية بمعناها العادى المعبر.

هذه القوى العالية الأخرى هي البعل، والرب، وأدون، ونبي، وملقارات، وأشمون، ويشع، وشيع القوم، وذو غابة، وذو الشرى، وذو الخلصة، والعزيز، وكرب، ويغوث، ورضى، وعطر سم، ونن (السيدة)، وعناء، وعشتروت، واللات ..

وهي أيضاً قوى الطبيعة وقوى الوجود مشخصة: دموزي (تموز)، شمش، سن (القمر)، داجون (سيد الحنطة)، نهر، يم، صوت، هدد (الرعد) ... وكل من هؤلاء كان لا بد أن يضحي بذاته بطريقة فاجعة درامية، تؤدي في الطبيعة إلى عملية خلق جديدة، وفي الإنسان إلى تسليحه بأمل جديد بحياة جديدة ومستمرة ما بعد الموت، كما استمرت حياة الإله الذي قبل الموت ليُبعث من جديد.

وربما كان بعضهم أبطالاً أو تجسساً أو سطوريًا لأبطال قوميين، مثل كرت الصيدوني، وهرقليل وأليسار الصوريين، ودانائيل الأوغاريتي، وهب إيل، وحمون، فالبطولة شاملة وعظمة، والبطل في نظر مقدريه، إن لم نقل عابديه، هو رمز للقدرة الغلابة الفائقة، وكثيراً ما يبلغ تمجيد الأبطال الدينيين أو الوطنين، عن غير وعي، مرتبة التالية، خاصة بعد موته، لأنّ النفس البشرية شديدة الميل إلى تقدير الموتى.

وربما كانوا أجداد بيئه معينة، صنعوا خيراً في حياتهم، وبعد

موتهم خلع عليهم الناس نعوتاً خارقة، أو أضافوا عليهم صفات الأولياء والقديسين، وحين تعاظم قدرهم، انشنى قومهم يطلبون شفاعتهم ورعايتهم لبعض الأمور الحياتية الغامضة، ولدرء الأخطار والمصاعب، وتيمموا بأسمائهم، وقدّموا على أضرحتهم القرابين والنذر، وأخيراً جرى تاليّهم في بيئتهم أو في بيوتات أخرى... انتهى. ونضيف:

آخر من جسّد هذا المفهوم، قبل الإسلام، كان السيد المسيح الذي أكد الآباء كتبة الأنجليل أن موته وانبعاثه ضروريان من أجل استمرار الحياة المتتجدة دائماً وأبداً، وقد كرس القرآن صورة المسيح في أذهان المسلمين، وإن أتى برواية مختلفة لموته وقيامته، إلا أنه أكد الأسطورة في أذهان العامة الجاهلة منهم، وانسحب ذلك إلى تأكيد الأساطير الأخرى السابقة بالمعية، وقد انعكس هذا المفهوم فيما بعد لدى أكثر من فرقه من فرق المسلمين، وبات مرتکزاً أساسياً في معتقداتها وأدبياتها.

الإله العالى المتعالى البعيد في السماوات العليا، والإله الوسيط، أو وكيل الإله الذي لابد من إحاطته ببعض القدسية، القائم على الأرض، ليكون وسيط العالى إلى الإنسان الذى هو تحت، على الأرض...

وفور أن استدعت الظروف وسنحت الفرصة، فرض السؤال نفسه، لماذا لا يكون للمسلمين ما كان لغيرهم من الشعوب التي سبقتهم؟ أليست هذه أكثر العقائد ثبوتاً على امتداد العصور السابقة، سواء منها

ما صدقها القرآن، أو ما نفتها أو ما تجاهلها؟ وهل يمكن أن نقصي ما هو متربخ في عقول هؤلاء حديثي العهد بالإسلام؟

ولكن، كيف يتم تشكيل هذا الإله الوسيط في المجتمع الإسلامي؟ ثمة عناصر لا بد من توافرها، والبداية يجب أن تكون من الحلقة الضيقة الأقرب إلى النبي ل توفير سند ما، يتکفل بالإقناع، وقربى الدم وقربى الولد كأفيتان ومعقولتان، ويجب أن تكونا مترابطتين لتنظيف الساحة من علاقات القربى الأخرى المترافقـة معها التي لا تحكمها القرباتان معاً، والتي قد تشوش العقيدة الجديدة، ثم لا بد من تدعيم الأمر بنصوص إلهية في القرآن، وإن استُخدمـت في غير معناها ومقامها ومدلولها، وببعض الأحاديث الداعمة التي لا مانع وربما لا مناص من نسبها إلى نبي الله، ألم ينسب من هب ودب آلاف الأحاديث إلى النبي، كل حسب غرضه . ٩٩٩

والفرصة باتت سانحة بأجلـى وجهـها، الخلاف على
الخلافة.....

إذا ابتعدنا عن الغلو، فهل ننكر أن الخلاف بين عليٍ ومعاوية كان في جوهره سياسياً، أي خلافاً على الملك، لا على الدين، إذ لم يجر الاختلاف على أحد أركان العقيدة، أو على أمر تشريعي يخص العبادات أو حياة الناس، كان خلافاً على الحكم، استخدم الدين بأبشع الصور، وإن كان أحد طرفيه أكثر نبلـاً في الغاية والهدف، وأكثر إخلاصـاً للدين الله، وأكثر شرفـاً في النسب إلى النبي، وأكثر حقاً في التصدي لرعاية الإسلام والمسلمين .

انتهى الصراع إلى ما انتهى إليه ، وكان يتوجب إيقاؤه ونتائجـه في إطار صراع آني مرحلي ، مألفـ في كلّ مراحل تشكـل الدول على امتداد التاريخ ، ووضعـه وراء الظـهـور .

لكنـ ما حصل كانـ غير ذلكـ ، وتحولـ الصراع الآني المرـحـلي إلى أعمقـ خـلـافـ تـارـيـخيـ دائمـ ، يـخـفـتـ حينـاـ ، ثـمـ يـعـودـ ليـشـتـدـ أحيـاناـ كـثـيرـةـ ، دونـ أيـ مـبـرـرـ لـدىـ طـرـفـيـ الخـلـافـ لـلـإـصـرـارـ عـلـىـ العـيـشـ فـيـ عـبـاءـةـ المـوـتـيـ .. .

أليـستـ حـكـمةـ كـبـيرـةـ كـانـ يـحـتـاجـ إـلـيـهاـ الـمـسـلـمـونـ لـتـجـاـوزـ الـصـرـاعـ التـارـيـخـيـ ، ماـ قـالـهـ مـنـ سـمـاـهـ أـحـدـ دـعـاـةـ التـشـيـعـ وـهـوـ الشـيـخـ حـسـنـ مـشـيمـشـ بـالـأـبـلـهـ :

«هـذـاـ قـبـرـ حـجـرـ بـنـ عـدـيـ تـعـوـيـهـ ..

الـذـيـ قـتـلـهـ مـعـاوـيـةـ تـعـوـيـهـ

لـأـنـهـ مـنـ أـصـحـابـ عـلـيـ تـعـوـيـهـ

أـمـاـ كـانـ الإـسـلـامـ أـفـضـلـ حـالـاـ الـأـمـسـ وـالـيـوـمـ وـغـدـاـ ، لـوـ تـمـتـعـ كـلـ الـمـسـلـمـينـ بـهـذـاـ الـبـلـهـ الـخـلـاقـ ؟ـ إـنـ كـانـ هـذـاـ بـلـهـاـ فـأـيـنـ الـعـقـلـ ، وـالـنـتـائـجـ جـلـيـةـ وـاضـحةـ أـمـاـنـاـ وـخـلـفـنـاـ ؟ـ

ولـمـاـذـاـ تـنـاسـىـ وـأـهـمـ الـمـسـلـمـونـ ، وـعـصـواـ رـبـهـمـ الـذـيـ قـالـ لـهـمـ :ـ
﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَقْرَبُونَ وَأَخْتَلُفُونَ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمْ أَبْيَنْتُ وَأُؤْتِكَ لَمْنَ عَذَابٍ عَظِيمٍ﴾⁽¹⁾ـ .

(1) سورة آل عمران، الآية: 105.

نستخدم هنا تعبير ديتر تسمرنغ⁽¹⁾: أين كان يمكن اكتشاف معنى في هذا اللامعنى، وهل كان هناك أي معنى على الإطلاق في الكارثة؟ .

لكن بعض العوامل كان لا بدّ أن تفرض نفسها في التربة التي باتت خصبة... لتحول الخلاف على الحكم إلى أكبر انشقاق في تاريخ الإسلام، ولتعمل إفرازاته على تشويه هذا الدين السامي.

العامل الأول، هو حقيقة أن السياسة لا بدّ أن تفسد كلّ ما تدخل عليه، خاصة إذا شكلت عقلية التخاصم المتوارثة والراسخة، منبعاً ثرياً لإنتاج العناصر الازمة.

ولعله من الصحيح، وفقاً لإبراهيم محمود⁽²⁾ أنَّ:

(عقلية عليّ كانت تقوم على عالمين متضادين في الغالب الأعم، عالم الإسلام الذي التقى فيه مع من كان معه منذ بدايته تاريخياً، وعالم المنافقين والفارضين أنفسهم على المسلمين، وكان هذا التصور مرتبطاً بمحور مركزي ديني إسلامي مثالي، لا تغير فيه متحولات التاريخ، ولا تؤثر فيه الأحداث الجسمان). .

ولكن ماذا عن الطرف الآخر، معاوية، ألم يفرض اللعبة السياسية في مواجهة المثالية الدينية، وهو المسكون بانتقام قبلي أرستقراطي، وبرغبة عارمة في امتلاك مفاتيح السلطة التي تخُصُّ إمبراطورية باتت تغدو عظيمة في زمانها؟

(1) ديتر تسمرنغ - النهايات - ترجمة ميشيل كيلو.

(2) إبراهيم محمود - الفتنة المقدسة.

يساعدنا هنا إبراهيم محمود، مرة أخرى على رسم صورة معاوية التي فرضت نفسها على الصراع:

(يظهر معاوية بن أبي سفيان الذي حكم الدولة العربية الإسلامية بصورة فعلية من 660 - 680 م، الشخصية المتفوقة في التاريخ، إنه يكاد يكون شخصية أسطورية، دون أن يكون في هذه الشخصية عنصر أسطوري، وتظهر الأحداث التي تشير إليه بخرافات، دون أن يكون هناك حضور للخرافة في علاقاته مع الآخرين، ويتجلّى بمظاهر المنبود والمرفوض على صعيد التواصل الخلقي، أو من معيار قيمي، دون أن تكون تتم تحسيته، وتبلورت شخصيته بمسحة من القداسة، دون أن يكون هناك من ساعد على قدسنته شخصيته هذه، أو ساعد على تقديمها بشكل مثالي، . . . إنّه مرفوض ومقبول به، مذموم، لما قام به من تصرفات أساءت إلى الكثيرين من المقربين من النبي، وخاصة علي وعائلته، ومقدس في الوقت نفسه، نظراً لعظم الاعمال التي قام بها، وحدّت فيها أمّة اجتمعت فيها وعبرها أجناس شتى وتوحدت، كان للعرب فيها المنزلة الأولى والسيادة الأولى، أمّة إمبراطورية، عربية السلطة والثقافة . . وليس هناك من يستطيع ذكره دون شعور بالرهبة وهو يلفظ اسمه، وبالتقدير لأنّه استثمر كل قواه في تحقيق أهدافه، ذات التوجّه العربي بشكل عام، لقد تسجل تاريخ كامل باسمه، وتحددت مرحلة مؤثرة به، لم يترك سلعة إلاّ وحاول استغلالها في تحقيق مآربه، ولا حسنة إلاّ وسعى إلى تجسيدها بشكل ما، لإعلاء مركزه السلطوي، لقد فهم لعبة السلطة على أكثر من صعيد، ومارس هذه اللعبة، في أكثر

ممارستها خطورة، ونجاح فيها، واستطاع أن يكون رجل تاريخ حافل بالمحاولات، والمفاجآت، والمواجعات الساخنة، ونجمه الأكبر بامتياز.

هذه الشخصية المكيافيلية هي الطرف الأساس في الصراع... فهل من ينكر أن الصراع كان سياسياً مفسيداً؟ استخدمنه هذا والذين أدعوا اتباع ذاك في التشنيع بالإسلام.

العامل الثاني، هو المؤامرة، نعم المؤامرة، المدعومة والمستندة إلى المفهوم المترسخ في أذهان حديثي الإسلام الذي سلفنا الإشارة إليه، وإلى المناخ الذي فرضه الصراع والانشقاق...، وإلى وضوح أحقيّة علي وقناعة معظم المسلمين بذلك، وكيلا يطالنا الاتهام الرائج حول اتباع نظرية المؤامرة الذي يتمترس وراءه ضعيفو الحجة، نعود إلى الثابت والمتواتر في كتب التاريخ، حول دور عبد الله بن سبأ في بذر البذور الأولى للمؤامرة الكبرى، ثم متابعة الأمر إلى نهاياته.

يقول ابن عساكر في «تهذيبه»: كان عبد الله بن سبأ يهودياً من أمة سوداء، أظهر الإسلام، وطاف بلاد المسلمين ليقتنهم عن طاعة الأئمة ويلقي بينهم الشر، وقد بدأ بالحجاج ثم بالبصرة ثم بالكوفة، ثم دخل دمشق أيام عثمان، وعنه أخذ حلول الإله في الأئمة.

كما يورد المقرizi: وأحدث ابن سبأ القول بوصية رسول الله لعليٍّ بالإمامية من بعده، فهو وصي رسول الله وخليفة على أمته من بعده بالنص، وأحدث القول برجعة عليٍّ بعد موته إلى الدنيا، وبرجعة الرسول أيضاً، وزعم أنَّ علياً لم يقتل، وأنَّه حيٌّ، وأنَّ فيه الجزء

الإلهي، وأنه هو الذي يجبي في السحاب، وأن الرعد صوته والبرق سوطه، وأنه لا بد أن ينزل الأرض فيملاها عدلاً كما ملئت جوراً.
(إسقاط لما في التوراة والأناجيل).

هذا الدور المحوري لعبد الله بن سباء، أكدده هؤلاء، وغيرهم كثير، بلغ عددهم تسعه وأربعين من علماء السنة وكتابهم ..

ولم يقتصر الأمر على علماء السنة، فقد توافق واحد وعشرون من علماء وكتاب الشيعة على هذا الأمر، هم: لوط بن يحيى، والأصفهاني، والناشئ الأكبر، والنوبختي، وأبو حاتم الرازى، والكشى، وابن بابويه القمي، والمفید، وأبو جعفر الطوسي، وابن شهر، وابن أبي الحديد، والحسن الحلّي، وابن المرتضى، والأردبىلى، والمجلسى، ونعمة الله الجزائري، وطاهر العاملى، والمامقانى، والمظفري، والخوانساري.

يقول الناشئ الأكبر⁽¹⁾: «وفرقة زعموا أنَّ علياً حيٌّ ولم يمت، وأنه لا يموت حتى يسوق العرب بعصاه، وهؤلاء هم السبئية أصحاب عبد الله بن سباء، وكان رجالاً من أهل صناعة، يهودياً وسكن المداين.

ويذكر النوبختي⁽²⁾: أنه لما بلغ ابن سباء نعي علي في المداين، قال للذى نعاه: كذبت، لو جئتنا بدماغه في سبعين صرة، وأقمت على قتله سبعين عدلاً، لعلمنا أنه لم يمت، ولم يُقتل، ولا يموت حتى يملك الأرض.

(1) الناشئ الأكبر - مسائل الإمامة.

(2) النوبختي - فرق الشيعة.

ويورد الجزائري⁽¹⁾: قال عبد الله بن سباً لعلي بن أبي طالب: أنت الإله حقاً. فنفاه علي إلى النماذن، وقيل إنه كان يهودياً فأسلم، وكان في اليهودية يقول في يوشع ابن نوت وفي موسى ما قال في علي.

دون أن نهمل، بداعي الأمانة، الإشارة إلى من شك في وجود عبد الله بن سباً، واعتبره شخصية أسطورية، وهم من المحدثين، فيمن نعرف، من السنة تسعه، هم: طه حسين، وعلي النشار، وحامد حنفي داود، ومحمد كامل حسين، وعبد العزيز الهلابي، وجواد علي، ومحمد عماره، وحسن المالكي.

ومن الشيعة سبعة، هم: محمد حسين كاشف الغطاء، ومرتضى العسكري، ومحمد جواد مغنية، وعلي الوردي، وعبد الله الفياض، وكامل مصطفى الشيباني، وطالب الرفاعي.

وإذا كانت أمانة البحث تستلزم منا عدم الركون كليّة إلى عبد الله بن سباً هذا، لوجود ستة عشر مشككاً، وإن قابليهم سبعون مؤكداً من الطائفتين، فمن المؤكد أن ما نسب إليه من أفكار قد ترددت في حينه، وباتت أساساً لغلق وتطرس جداً تربة خصبة في خلاف قائم، وعقل لم يتمكن منها الإسلام، وإذا لم يكن عبد الله بن سباً حقيقة تاريخية، فثمة عبد الله آخر كان واضحاً للفكرة ومروجاً لها، بدليل ما تؤكده كتب السير من وجود فرقة دعيت «بالسببية».

وهنا اكتملت العناصر، وتهيأت الأرضية لتشويه الدين، وتقطيعه، وضخ السموم في العقول الجاهلة، في الاتجاهين وتفرعاتها.

(1) الجزائري - الأنوار التعميمية.

بعد هذه الخلفية التاريخية، دعونا الآن نفتح باب الحوار والمناقشة، مؤكدين ضرورة إعمال العقل في قراءتنا لأدبيات الطرفين. ولنخصص هذا المقام للطرف الأول، ونأتي على الثاني في مقام آخر . . .

ولنبأ بالأقرب إلى النبي :

أ - السيدة فاطمة الزهراء

صغرى بنات النبي، وقرة عينه، وأول اللاحقين به من أهله إلى دار الخلود، الطاهرة المطهرة، زوج أمير المؤمنين حبيب النبي، وأم الحسينين الشريفين أحب الأنام إلى خير الأنام . . .

هذه الجليلة العظيمة، هل أجاد المسلمون الحديث عنها بما تستحق، أم عملوا - عن حسن نية أو سوئها - على الإساءة إليها، بالتلتفيق والتوليف المخالف للعقل، خدمة لنزاع مرير لم تكن طرفاً فيه؟ . . .

دعونا نتحرّى ذلك . . .

أ - ١ - الولادة:

يورد الشيخ حسن مشيمش^(١) ما يردُ في الكثير من كتب الشيعة والسنّة، حديثاً عن النبي يقول: «والله لو لم يكن عليٌ في الوجود، لما

(١) حسن مشيمش - حوارات ساخنة.

كان لفاطمة كفؤ في الحياة، يرضى الله لرضاها، ويغضب لغضبها...، فاطمة حوراء إنسية. كلما اشتقت إلى رائحة الجنة شممت رائحتها، لأنَّ ربِّي لما عرج بي إلى السماء وأدخلني الجنة، وأكلت من طعامها، وشربت من ماءها (مائتها)، أمرني أن أهبط إلى الأرض وأ الواقع خديجة حتى تولد فاطمة من نطفة تكونت في صلبي من طعام الجنة وشرابها».

ويرد الأمر ذاته، بصياغة أخرى لدى أحد الأئمة المعتبرين لدى السنة هو الإمام الطبرى⁽¹⁾ نقلًا عن عائشة قالت: قلت: يا رسول الله مالك إذا قبلت فاطمة جعلت لسانك في فيها؟ كأنك ت يريد أن تُلعقها عسلاً؟ فقال «إنه لما أُسرى بي أدخلني جبريل الجنة، فناولني تفاحة، فأكلتها فصارت نطفة في ظهري، فلما نزلت من السماء واقعَت خديجة، ففاطمة من تلك النطفة، فكلما اشتقت إلى تلك التفاحة قبلتها» خرجه أبو سعد في «شرف النبوة».

وببدو أنَّ واضح الحديث الذي نقله الطبرى بكل سذاجة، لم يكن مجيداً، فاستخدم تعبيراً خطأً وقال «لما أُسرى بي»، والإسراء كان إلى المسجد الأقصى، أما المراجـع فهو إلى السماء... .

وقد رويت أحاديث كثيرة أخرى حول الموضوع ذاته، بروايات مختلفة، وكلها نسبت إلى عائشة (?).

ومع أنَّ الثابت ولادة السيدة فاطمة في العام 18 قبل الهجرة، أي قبل البعثة بخمس سنوات، إلا أننا نرحب في الذهاب مع هؤلاء

(1) الطبرى - ذخائر العقبى في مناقب ذوى القربى.

المزورين الكاذبين على لسان النبي الكريم، بغية إيقاظ العقل النائم لدى المسلم المسكين الذي يتقبل هذه الترهات اللامعقوله

ونسأل:

1 - 1 - لماذا تكون السيدة فاطمة الوحيدة من عباد الله التي يربط الله غضبه ورضاه بمزاجها؟، أي إله جليل قدّوس يربط غضبه ورضاه بأمزجة العباد؟ أليس في هذا الكلام تسفيه لمقام الإله العزيز الجليل؟ وهل تجوز الإساءة إلى مقام الألوهية لمجرد إضفاء مسحة من القدسية إلى السيدة الزهراء، وهي لا تحتاج إليها؟.

الأنّها ابنة النبي؟ وهل ينطبق الأمر على بناته الآخريات زينب ورقية وأم كلثوم؟ أم أن الله والرسول ميزا بينهن دون سبب معقول؟

نشير إلى أن الطبرى نسب إلى علي قوله، قال رسول الله: «يا فاطمة إن الله يُغْرِّجُكَ يغضب لغضبك ويرضى لرضاك» أخرجه أبو سعد في «شرف النبوة» والإمام علي بن موسى الرضا في «مستنده».

1 - 2 - هل الجنة والنار موجودتان ككيانين قائمتين في السموات؟ هل خلقهما الله منذ بدء الخليقة وأغلق بابيهما بانتظار يوم الحساب؟ وهل هما مجسستان في حيز جغرافي محدد؟

وهل طعام الجنّة كطعام الأرض؟ أي مادة تهضم وتحوّل في الجسم، فيمتص منها حاجته، ويتشكل منها النطاف، ثم يخرج ما يتبقى من فضلات بعملية البراز والتغوط، وأين يتبرز أهل الجنّة؟ وهل هذه الوجبة التي تناولها الرسول هي بذاتها التي تحولت إلى نطفة جاءت بفاطمة؟ .

1 - 3 - هل عرج النبي بجسده إلى السماوات العليا؟ وهل السماوات العليا حيز جغرافي محدد في مكان ما، يتلقى جسد الرسول الكريم؟ إذا كان ذلك، أليس هذا تحديداً لكونه الله تعالى، فما دام وجد في حيز محدد فهو محدد بطول وعرض؟ ألا نلمح هنا تأثير الإسرائيليات التي قالت بتجسيم الله؟، حاشا الله

يقول الدكتور صالح عضيمة الأستاذ في جامعة السوربون في باريس، ونائب رئيس مركز الأبحاث الإسلامية في فرنسا⁽¹⁾، «ال المسلمين جميعهم إلا قليلاً منهم (؟)، متذمرون على أن الله سبحانه أسرى بعده بالجسد والروح معاً، وفي ذلك دلالة واضحة كل الوضوح أن جسده الطاهر الشريف كان له صفاتٍ خاصةٍ تميزه عن بنى البشر، كما كان له صفاتٍ تميزه عنهم». انتهى

لكتنا نشير إلى حديث المسيدة عائشة «ما فقد جسد رسول الله ولكن الله أسرى بروحه».

ونضيف إن الدليل الأكبر بأن الإسراء والمعراج لم يكونا بالجسد، وإنما كانوا رؤيا، هو قول الله تعالى: «وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ»⁽²⁾ فهل بعد قول الله كلام، و«قوله الحق»؟.

1 - 4 - في الحديث المنسب إلى النبي عن معراجه، إن صحت، أخبرنا عن ملاقاته الأنبياء الرسل، وعن تلقيه أوامر ربّه، وفرض

(1) صالح عضيمة - ذلك فضل الله.

(2) سورة الإسراء، الآية: 60.

الصلوات الخمس، ولم يذكر تناوله وجبة عشاءً متأخرة، ومتى تستنى له ذلك؟؟

1 - 5 - لماذا يشاء الله العزيز الجليل في حواره مع رسوله الكريم، في مناسبة استثنائية لم تتكرر، أن يترك أمور الدين والدنيا، ليأمر رسوله بمواقعة خديجة؟ أليس هذا إسقاطاً ضعيفاً مهلهلاً لطريقة ولادة السيد المسيح بكلمة من الله؟.

1 - 6 - تؤكّد كل كتب السيرة النبوية، أن السيدة خديجة ماتت قبل الهجرة بثلاث سنوات، وقد قالت عائشة إن خديجة: «ماتت قبل أن تفرض الصلاة يعني قبل أن يُعرج برسول الله»، وقال الواقدي: «إنها توفيت لعشرٍ خلَونَ من رمضان، وهي بنت خمس وستون سنة، وذلك سنة عشر منبعثة بعد خروج هاشم من الشعب».

فكيف يأمر الله محمداً بمواقعة خديجة المتوفاة؟
وإذا شكك أحد في التاريخ والروايات عن موت خديجة قبل الإسراء والمعراج، فهل واقعها النبي وحبت وولدت وهي ابنة خمس وستين؟.

1 - 7 - آخر المقال، من الثابت أن الإسراء والمعراج قد تما قبل الهجرة بستة عشر شهراً، فلو استبعذنا خبر وفاة خديجة قبل ذلك، وتجاوزنا كبر سنها، وصدقنا أن النبي واقعها لدى عودته، فحملت تسعة أشهر بفاطمة، ثم ولدتها، فإن ذلك يقودنا إلى أن الولادة حصلت قبل الهجرة بسبعين شهر، وفاطمة كانت رضيعاً عام الهجرة، ونعلم أن النبي أقام في المدينة عشر سنوات قبل أن يتوفاه الله، فكم كان عمر

فاطمة حين زوجها من عليّ، وكم كان عمرها حين ولدت الحسن والحسين، وشهادهما النبي في حياته وكان يحملهما ويلاعهما، هل تم كل ذلك في عشر سنين؟

ثم إن السيدة فاطمة توفيت بعد النبي بضعة أشهر، فهل كان عمرها حين ماتت أحد عشر عاماً فقط؟.

ومما يثير الاستغراب، والاستنكار، أن المصادر ذاتها تورد أحاديث متناقضة، ففي كتاب ذخائر العقبى للطبرى، الذى يبدو لنا غير مدقق فيما يكتب وينسب، يورد حديثاً عن ابن مسعود أنه قال: ما رأيت رسول الله دعا على قريش غير يوم واحد، فإنه كان يصلى ورھط من قريش جلوس، وسلى جزور قريب منه، فقالوا من يأخذ هذا السلى فيلقى على ظهره، فقام رجل وألقاه على ظهره، فلم يزل ساجداً حتى جاءت فاطمة تحثه فأخذته عن ظهره... الحديث⁽¹⁾.

أي إن فاطمة تحثه كانت في عمر يسمح لها بما قامت به خلال وجود النبي في مكة وتعرض مشركى قريش له، قبل الإسراء والمعراج بستين .

كما يورد الطبرى ذاته حديثاً عن علي قال: كنا مع النبي في حفر الخندق، إذ جاءته فاطمة بكسرة من خبز، فدفعتها إليه، فقال: «ما هذه يا فاطمة؟» قالت من قرص اختبرته لابنى، جئتكم منه بهذه الكسرة، فقال: «يا بنية أما إنها لأول طعام دخل قم أبيك منذ ثلاث» أخرجه الإمام علي بن موسى الرضا... إذن ففي غزوة الخندق، في شوال

(1) أخرجه البخاري.

سنة خمس من الهجرة، أي بعد حوالي ست سنوات من الإسراء والمعراج كانت فاطمة متزوجة ولديها أبناء تخبز لهم، فهل يعقل أنها كانت حينها ابنة سبع سنين؟؟.

أخيراً، تؤرخ كتب السيرة ولادة الحسن بن علي في منتصف شهر رمضان سنة ثلاث من الهجرة، وقال الدو لا بي: لأربع سنين وستة أشهر، فإذا أضفنا تاريخ المعراج ستة عشر شهراً قبل الهجرة، يكون عمر فاطمة حين ولدت الحسن، أربع سنوات وستة أشهر، أو خمس سنوات وعشرين أشهر حسب الدو لا بي.

وما دمنا في الحديث حول ولادة السيدة فاطمة، نذكر ما يشير الاستغراب بدرجة أكبر، وهو الحديث الغريب المناقض للحديثين السابقين، الذي أورده الملاء في «سيرته»، هذا الحديث الذي يتتجاهل الربط مع الإسراء والمعراج ودخول الجنة، لكنه يذكر واقعة أكل النبي لتفاحة الجنة، ويضيف بعض التفاصيل العجيبة حول واقعة الولادة.

يقول: إن النبي قال: «أتاني جبريل بتفاحة من الجنة (دون ذكر مروره على الجنة بنفسه)، ووافت خديجة (دون ذكر أمر الله له بذلك)، فحملت بفاطمة، فقالت: إني حملت حملأ خفيفاً، فإذا خرجت (؟) حدثني الذي في بطني، فلما أرادت أن تضع بعثت إلى نساء قريش ليأتينها فليلين منها ما يلي النساء ممن تلّد، فلم يفعلن، وقلن: لا نأتيك وقد صرت زوجة محمد، فيبينما هي كذلك إذ دخل عليها أربع نسوة عليهن من الجمال والنور ما لا يوصف، فقالت لها إحداهن: أنا أمك حواء، وقالت الأخرى: أنا آسية بنت مزاحم،

وقالت الأخرى: أنا كلام أخت موسى، وقالت الأخرى: أنا مريم بنت عمران أم عيسى، جئنا لنلقي من أمرك ما يلي النساء. قالت: فولدت فاطمة، فوّقعت (دون أن تمسك بها إحدى النساء الأربع) حين وقعت على الأرض ساجدةً رافعةً إصبعها».

وحيث أنَّ النبي لا ينافق نفسه، ولا تتوه عنه الأمور وتخلط فيensi حدثاً له ويأتي بقصة مغايرة، فلا بدَّ أن نجزم بوجود وأضعين مختلفين للأحاديث السابقة كلُّها، والمصيبة أنَّهم لم يراعوا بعضهم بعضاً، كما لم يكلِّفوا أنفسهم عناء التنسيق بين اختلافاتهم.

٢ - الصفات غير البشرية

أورد الطبرى في كتابه المشار إليه، حديثاً عن أسماء قالت: قيلت
أي ولدت فاطمة بالحسن فلم أر لها دماً، فقلت يا رسول الله، إنّي لم
أر لفاطمة دماً في حيض ولا نفاس، فقال: «أما علمت أن ابنتي طاهرة
مطهرة لا يرى لها دم في طمثٍ ولا ولادة؟»⁽¹⁾.

ويُنسب الطبرى أيضاً إلى ابن عباس أنه قال: قال رسول الله: «ابنتي فاطمة حوراء أدمية، لم تحيض ولم تطمت، إنما سماها فاطمة لأن الله فطمها ومحببها عن النار» أخرجه الغساني، والغريب أنه يشرح كلمة الطمث بالحيض، لكنه يستشهد بآية الكريمة من سورة الرحمن: ﴿لَمْ يَطْمِئْنَ إِنْ قَاتَلُهُرْ وَلَا جَانُ﴾ متجاهلاً أن يطمئنَ وردت هنا بمعنى يواقعهنَ أو يصاجعهنَ، دون أي علاقة بالحيض..

(١) أخرجه الإمام علي بن موسى الرضا.

كما يورد الدكتور عصيمة في الصفحة ذاتها من كتابه آنف الذكر: «ويقاد المسلمون جميعهم يتفقون أنَّ الطاهرة المطهرة السيدة فاطمة الزهراء ما عرفت في حياتها ما عرفته النساء من النجاسات من مثل الحيض والنفاس، ولا غرابة في الأمر ولا عجب فيه، ولا يحتاج إلى دليل آخر بعد آية التطهير، وهو قول الحق في سورة الأحزاب:

﴿وَإِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذَهِّبَ عَنْكُمُ الْجَسَرَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَلِتُطَهَّرُ كُلُّ تَطْهِيرٍ﴾،
وهذا الرجل الذي أذهب الله عنهم يشمل أجسادهم وأرواحهم».

وهنا لا نملك إلا أن نتساءل:

- 1 - ألم تكن السيدة فاطمة بشراً سوياً ككل النساء منذ أمتنا حواء حتى يرث الله الأرض؟
- 2 - أليس الحيض والنفاس من العمليات الفيزيولوجية التي أنعم الله بها على تكوين المرأة حفظاً لصحتها؟ فلم حرم منها حيبة رسوله؟.

- 3 - هل ينطبق الأمر على النجاسات الأخرى كالتبول وإتيان الغائط؟ وأيُّ بشر لا يحتاج إليهما؟.

- 4 - لم لم ينطبق الأمر على خير نساء العالمين الآخريات، أمهات الأنبياء والرسل، كالسيدة مريم العذراء التي اختصها الله بتلقي روحه وكلمته فحملت حملأً أكرم من حمل فاطمة، من روح من هو أكرم من محمد وعلي، أو أم سيدها إبراهيم، أو موسى، أو حتى أم محمد؟ ألم تحمل كلُّ منها حملأً كريماً؟.

- 5 - إذا كان هذا التمييز، المعتر ب هنا تكريماً، لكونها ابنة

محمد، فهل ينطبق الأمر ذاته على بناته الأخريات زينب ورقية وأم كلثوم؟ ألسن من ظهر الأب ذاته ورحم الأم ذاتها؟ ألسن من أهل البيت أيضاً؟ وهل من يشك في نسبهن الكريم؟ ولماذا خلت كتب المسلمين من أي ذكر لهن واقتصرت على فاطمة تعزينا؟ ألم يسمّ الرسول عثمان بذى النورين لأنّه تزوج ابنته رقية وأم كلثوم، بمعنى اعتباره لكل منها نوراً؟

وقد أدهشني أن يصل الغلو لدى البعض إلى التصريح، دفاعاً عن هذه النقطة، بأن زينب ورقية وأم كلثوم لم يكن بنات النبي، فهل هذا تشكيك في عفة الطاهرة خديجة تعزينا، أم هو نسب لهن إلى زواج سابق لها، دون أي سند، وفي مخالفة لكل كتب التاريخ والسيرة؟؟؟

2 - وإذا كان دليلاً الدكتور على أنّ السيدة فاطمة لم تعرف الحيض والنفس، هو الآية 33 من سورة الأحزاب:

﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهَبَ عَنْكُمُ الْرِّجَسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرُكُمْ تَطْهِيرًا﴾، وهي الآية التي تتردد، دون غيرها، في أدبيات الشيعة وبعض السنة لتأكيد عصمة أهل البيت جسداً وروحأً، فكيف يفسّر لنا مخاطبة الله عزوجل للMuslimين المقاتلين:

﴿إِذَا يُغَشِّيْكُمُ الْعَيْسَ أَمْنَةً مِنْهُ وَيُبَرِّلُ عَيْنَكُمْ مِنَ السَّكَاءِ مَا يَأْتِيْكُمْ بِهِ وَيُذْهَبَ عَنْكُمْ بِرَجْزِ الشَّيْطَانِ وَلَيُرِيْطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُؤْثِرَ بِهِ الْأَقْدَامَ﴾⁽¹⁾

نلحظ استخدام الكلمات ذاتها، يطهركم، يذهب عنكم الرجس...

(1) سورة الأنفال، الآية: ١١.

فهل كل كوكبة المسلمين التي خاطبها الله هنا هي من المعصومين وطاهري الأجساد والأرواح؟ ..

وألا يتوجب - بهذا المفهوم - أن نضع أهل البيت في الخانة ذاتها مع هؤلاء كُلَّهم فلا يعود من معنى للتخصيص والتمييز؟ ..

والآيات عديدة، تمتليء بها صفحات القرآن الكريم:

﴿وَإِن كُنْتُمْ جُنُبًا فَأَظْهِرُوهُ﴾⁽¹⁾

﴿أَخْرِجُوهُم مِّن قَرِبَتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنْاسٌ يَطْهَرُونَ﴾⁽²⁾.

﴿كَذَلِكَ يَعْكُلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾⁽³⁾... الخ،

وغيرها كثير، لكن تغيب العقول كفيل بصنع الأعاجيب.

نشير إلى نصيحة الشيخ حسن مشيمش في كتابه السابق، بالعودة إلى قاعدة من أهم قواعد التفسير التي أضاء نورها في معالم المدرسة الإسلامية الإمام جعفر الصادق وهي: فسروا القرآن بالقرآن. وإن كنا لم نجد في كل كتب الشيعة والسنّة حول تفسير آية الطهارة السابقة لمدلول (أهل البيت)، أي استناد إلى هذه القاعدة، واقتصر الأمر دوماً على الاستناد إلى عشرات الأحاديث مختلفة الصياغة، دونما حاجة لتوليف معظمها، ما دام النص واضحاً وصريحاً في إن الآية نزلت في نساء بيت النبي، وإن اختلف البعض على مدلولها وأبعادها، بعد اقتطاعها من السياق الذي وردت فيه، إذ يقول الله:

(1) سورة المائدة، الآية: 6.

(2) سورة الأعراف، الآية: 82.

(3) سورة الأنعام، الآية: 125.

﴿يَنْسَأَ اللَّهُ لَتَشْنَ كَاهِنَ مِنَ النِّسَاءِ إِنْ أَتَقْنَ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ
فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرْضٌ وَقُلْنَ فَوَلَا مَعْرُوفًا ﴾٢٢١ وَقَرَنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا
تَبِرَجْنَ تَبَرُجَ الْجَهِيلَةِ الْأَوَّلِيَّةِ وَأَقْنَ الصَّلَوةَ وَأَتَيْنَ الرَّكْوَةَ وَأَطْعَنَ اللَّهَ
وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهَبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطْهِرُكُمْ تَطْهِيرًا
وَأَذْكُرْنَ مَا يُشَلِّ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ إِيمَانِ اللَّهِ وَالْحَكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ
لَطِيفًا خَيْرًا ﴾٢٤١﴾^(١)

2 - 7 - ألا يكفي السيدة الزهراء شرفاً ومكانةً وعظمتها أنها بنت محمد وزوج عليٍّ، وأم الحسينين؟ وهل تحتاج لتوليف وتاليف ما لا يقبله العقل؟ وهل من العقل أن تقوم العقائد على أكاذيب واحتلالات ممجوجة؟

١ - ٣ - مكانتها وفضلها وعجائب أخرى

نكرر القول بالمكانة السامية الشريفة العلية للسيدة فاطمة، وبتميزها عن غيرها نسباً وانتساباً وقرباً من أبيها الحبيب، وهذا أمر لا نراه بحاجة إلى تأكيد، بل نجد أن محاولات التأكيد المقصودة، باختلاق وتوليف أحاديث غريبة، هي أدنى إلى التشويه والإساءة منها إلى التكريم ورفعه المكانة. وللتتابع . . .

3 - 1 - نسب الطبرى إلى عبد الله بن مسعود، عن النبي قال: «إنَّ فاطمة أحسنت فرجها فحرَّم الله ذريتها على النار» أخرجه تمام في فوائده، وأورده ابن حبان في «المجر وحين» وابن عساكر في «مختصره» والهيثمي والشوكتاني.

(١) سورة الأحزاب، الآيات: 32/34

ويأبى العقل إلا أن يسأل: ألم تُحصِّن كلَّ نساء المؤمنين فروجَهُنَّ، فهل حُرِّمت النار على ذرياتهنَّ؟ وهل لنا أن نرکن ونطمئن إلى مصيرنا إلى الجنة متى تأكَّلنا من تحصين أمَّهاتنا لفروجَهُنَّ؟ وحين سُمِّيَ لنا الفقهاء أسماء أبواب الجنة، هل فاتهم أن يذكروا باباً لأبناء المحصنات لفروجَهُنَّ؟

يبدو أن واضع الحديث لم يكن متمكناً من صنعته فجاء به ضعيفاً غير مقنع، فأساء إلى فاطمة وإلى ذريتها المحصنة من النار لصلاحها وإيمانها وتقوتها، لا لمجرد انتسابها، وإنما لـنال والدا النبي وأعمامه الجنة، دون أن ننسى أب سيِّدنا إبراهيم الذي لم يقبل الله فيه شفاعة نبيه.

**﴿مَا كَانَ لِلّٰهِ وَاللّٰهِ بِأَوْلَىٰ
ثُرِقَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ ۖ وَمَا كَانَ أَسْتَغْفِرُ
إِبْرَاهِيمَ لِأَيِّهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِلَيْهِ فَلَمَّا بَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلّٰهِ تَبَرَّأَ
مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوْلَادُهُ حَلِيلٌ﴾** (١).

وألا يمكن أن نضيف بالتحليل التراجعي، ما دامت ذرية فاطمة محرمة على النار، وهي بذاتها ولاشك محرمة على النار، وما دامت من ذرية خديجة فيجب أن تكون خديجة هي الأخرى قد أحصنت فرجها وحرّمت على النار، وبالتالي فذريتها محرمة على النار، وبينات النبي الأخريات من خديجة محّرمات على النار، فain التميّز هنا؟ وما الداعي للتخصيص في الحديث؟.

(1) سورة التوبة، الآياتان: 113/114.

ـ 2 - هذا غيضٌ من فيضٍ، والفكرة باتت واضحة، فمن اكتفى فحسبه، ومن لم يكتفي فليبحر في الأوراق الصفراء التي تملأ المكتبة الإسلامية... .

ب - علي بن أبي طالب كرم الله وجهه

الإمام، الرضي، مكرم الوجه، الأول إسلاماً، فادي النبي، حامل الرايات، خادم الدين، ذو الفضل السابق، واسع العلم، قاضي الإسلام والمسلمين.. .

أي شرف ناله علي، وأي تكريم أنعمه الله ورسوله والمسلمون عليه. ألم ينقل عمر بن الخطاب، عن النبي - إن صح - أنه قال: «ما اكتسب مكتسب مثل فضل علي، يهدى صاحبه إلى الهدى، ويردّهن الرّدى، ولا استقام دنيه حتى يستقيم عمله»^(١) ..

ألم تكفي صفحاته الزاهرة وتاريخه الناصع لمنحه المقام الجليل؟! وهل كان بحاجة إلى غير الحقائق حوله؟! وهل كان هذا المؤمن الأكثر مثالية ونزاهة ليرضى بهذا الإسفاف الذي أقحم على سيرته؟؟؟ .

ب - 1 - ولادته

نجد في كتاب الشيخ حسن مشيمش المذكور آنفاً، سرداً للقصة المتداولة في أدبيات الشيعة حول حوار الحجاج بن يوسف مع الأمة

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الصغير.

النبيه التي أثبتت له أن علياً أفضلي من آدم، ونوح، ولوط، وإبراهيم، وموسى، وعيسى، فيروي على لسانها عن ولادة علي، يقول قالت: وفي عيسى يقول الله فحملته (أي أمّه مريم) فانتبذت به مكاناً قصياً (أي بعيداً عن المسجد الأقصى حيث كانت تقيم فيه بصورة دائمة) امثلاً لأمر الله، حيث قال لها: يا مريم هنا بيت عبادة لا بيت ولادة (?)، «فاجاءها المخاض إلى جذع النخلة»، أمّا فاطمة بنت أسد (أمّ علي)، فلما جاءها المخاض، طافت حول بيت الله في مكة، وتضرعت إليه أن يساعدها في ولادتها، فاستجاب دعاءها بشق جدار البيت فدخلت منه إلى جوفه (رغم أنه دار عبادة لا دار ولادة)، ومكثت فيه ثلاثة أيام (?) وخرجت بعلي في حضنها.

أي إسقاط مموجوحاً هذا؟ ولماذا الإضاءة إلى علي المؤمن بكتاب الله وما فيه؟ وهل كان ليرضى بالكفر وتفضيله على آدم ونوح ولوط وإبراهيم وموسى وعيسى؟ وهل استثنى محمد منعاً للحرج، أم خوفاً من ردة فعل باقي المسلمين؟

وهل يتفضل أحدٌ فيشرح لنا علاقة المسجد الأقصى في القدس بولادة مريم؟ ألم تحصل الولادة في بيت لحم لا في القدس؟ أم أن الركون إلى جهل المسلمين كفيل بتمرير الأكاذيب؟

ثم، كيف يمكن الله خيراً النساء مريم من الولادة في بيت العبادة، ويسمح بذلك لفاطمة بنت أسد؟ وأين حديث النبي بأن «سيدة نساء أهل الجنة» مريم بنت عمران، وفاطمة، وخدیجة، وأسیة بنت مزاحم، امرأة فرعون؟! لم يذكر فاطمة بنت أسد، أم تراها هي المعنية هنا،

لا فاطمة بنت محمد؟ أم لا مانع من اعتبارها إشارة إلى الاثنين طالما أن ليس من يدقق أو يعقل؟

ويحار العقل في رواية أوردها الشيخ مشيمش، دون أن يحدد كونها حديثاً أم لا، يقول: كفن رسول الله فاطمة بنت أسد، أم الإمام علي في قميصه بعد ما فرغ النساء من غسلها، وحمل جنازتها على عاتقه، فلم يزل تحت جنازتها حتى أوردها قبرها، ثم وضعها ودخل القبر واضطجع فيه، ثم قام فأخذها على يديه ووضعها في قبرها، ثم انكبَّ على قبرها، فسمعوه يقول: «اللهم إني أستودعها إياك» ثم انصرف... فقال له المسلمون: يا رسول الله إنَّ رأيناك صنعتَ اليوم شيئاً لم تصنِّعه قبلَ اليوم؟ فقال: «اليوم فقدت برَّ أبي طالب، إنَّها كانت حينما يكون عندها شيءٌ كانت تؤثرني به على نفسها وولدها... وإنَّي ذكرت يوم القيمة يوماً وأنَّ الناس يحشرون عراة، فقلت: وأسوأاته، فضمنت لها أن يبعثها الله كاسية، وذكرت ضغطة القبر، فقلت: وأضعفاه، فضمنت لها أن يكفيها الله ذلك، فكفتها بقميصي، وأضطجعت في قبرها لذلك، وإنَّكبيت عليها فلقتها ما تُسأل عنه، وإنَّما سُئلت عن ربِّها فقالت الله ربِّي، وسُئلت عن نبئها فأجبت محمدَ نبئي، وسُئلت عن وليتها وإمامتها فارتَجَّ عليها، فقلت لها: ابنك... ابنك، فقالت ولدي ولبي وإمامي... فانصرقا عنها وقالا: لا سبيل لنا عليك نامي كما تنام العروس في خدرها، ثم إنَّها ماتت ميتة ثانية. انتهى.

ونترك لأبسط العقول النظر في هذه الرواية العجيبة التي تم توليفها لفاطمة بنت أسد، ونسى المؤلفون ذكر شيءٍ عما فعله النبي عند دفنه

لغيرها من أحبّته، عمّه أبي طالب، زوجه خديجة، ابنته رقية، عمّه حمزة، ولده القاسم... الخ.....

ونسأل: لِمَ لَمْ يَكُلُّفْ أَحَدٌ نَفْسَه عَنَاء ذَكْرِ بَعْضِ الرِّوَايَاتِ عَنْ آمِنَةِ بَنْتِ وَهَبٍ، أُمِّ النَّبِيِّ الَّتِي وَلَدَتْ خَيْرَ الْأَنَامِ؟ وَنَجِيبُ أَنَّ النَّبِيَّ لَمْ يَكُنْ بِحَاجَةٍ لِلتَّلَاعِبِ بِسَيِّرَتِهِ لِإِضَفاءِ مَا لَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ، فَلَمْ يَكُنْ مِنْ خَلَافَ عَلَيْهِ، أَلَمْ يَشَهِّدَ اللَّهُ بِهِ وَكَفَى؟

ثُمَّ، هَلْ كَانَ النَّبِيُّ قَدْ عَيْنَ عَلَيْ وَلِيًّا قَبْلَ وَفَاتَةِ آمِنَةِ؟، نَسْمَعُ إِجَابَةً تَكَادُ تَتَهَمُّ النَّبِيَّ بِالْمَرَاوِغَةِ، حَاشَاهُ، وَمَنْ أَرَادَهَا فَلَيَرْجِعْ إِلَى كِتَابِ الشَّيْخِ، وَيَسْتَعِنْ بِالصَّبْرِ عَلَى قِرَاءَتِهِ.

وَقَدْ أَوْرَدَ الطَّبَرِيُّ هَذِهِ الرِّوَايَةَ عَنْ أَبِي عُمَرِ النَّمَرِيِّ، دُونَ ذَكْرِ لِلْجَزْءِ الْأَخِيرِ حَوْلِ تَلْقِينِهَا مَنْ رَبَّهَا وَمَنْ نَبَّهَا وَمَنْ وَلَيَّهَا، الَّذِي يَبْدُو أَنَّهُ أَضَيَّفَ بِفَعْلِهِ قَاعِلًا عَنْ قَصْدِهِ.

نَشَهِدُ فِي كُلِّ هَذَا الَّذِي سَبَقَ، مَحاوَلَاتٌ مَهْلِكَةٌ ضَعِيفَةٌ، لَا خُتْلَاقٌ بِدَائِيَاتٍ قَدَاسِيَّةٍ، بَلْ أَسْطُورِيَّةٌ تَسْتَشْمِرُ عَقَائِدَ وَمَعْقَدَاتَ سَابِقَةٍ، إِنَّمَا فِي إِطَارِ إِسْقَاطَاتِ رَكِيْكَةٍ وَغَيْرِ مَقْنَعَةٍ... .

ب - ٤ - مَكَانِتُهُ

هَلْ نَتَدْرِجُ فِي مَنْاقِشَةِ الْاخْتِلَاقَاتِ الْمُسَيَّثَةِ إِلَى الْإِمَامِ، مِنَ الْبَسِطِ مِنْهَا إِلَى الْكَبِيرِ الْكَبِيرِ، أَمْ نَذَهَبُ بِالْعَكْسِ؟

ذَانِكُ سَيَّانُ، فَكُلُّ فِيهِ الْعَجَابُ، وَكُلُّ تَخْتَلُفُ الْعُقُولُ فِي خَطُورَتِهِ وَمَدِي إِسَاعَتِهِ... .

2 - نعود إلى ما أشرنا إليه في تقديمنا حول عقائد وديانات الشعوب السابقة للإسلام، ولتذكرة أن الآباء البطاركة جاءوا في الديانة المسيحية بمبدأ التثليث، كم تكرز أساساً للعقيدة.

جميل، ألا يصلاح هذا المعتقد للإسقاط أيضاً؟ ألم يؤمن به ملليارات من المسيحيين منذ مجمع نيقية 325 م، ثمَّ مجمع القسطنطينية 381 م حتى اليوم؟

لنقرأ معاً هذه الرواية العجيبة التي أوردها الشيخ مشيمش دون سند، يقول:

(يخرج أبو ذر من بيت الرسول، فيلتقي بعمر، وإذا به يسأله عنَّ عمر في بيت الرسول، فيجيبه أبو ذر: يوجد عنده رجل لا أعرفه، يدخل عمر إلى منزل الرسول فيرى عنده علياً عليها السلام، وسرعان ما يطعن بقوله للرسول: يا رسول الله، لقد التقىت قبل لحظات بأبي ذر، وسألته عنَّك، فأجابني بقوله: عنده رجل لا أعرفه.. هل أبو ذر لا يعرف علياً عليها السلام، أم أنه يكذب؟ أجابه الرسول: «كلاً يا عمر، إنَّ أبا ذر لا يكذب، ما أظلت الخضراء ولا أقتلَ الغبراء أصدق لسانٍ من أبي ذر.. لأنَّه لا يعرف الله إلا أنا وعلي.. ولا يعرفني إلا الله وعلى.. ولا يعرف علياً إلا الله وأنا»).

لسنا ندري كيف ندير هذه القصة في عقولنا ونتدبرها، أنزل بعقولنا إلى درك لا نرتضيه ونناقشها؟ أم نتجاوزها محتسبين أمرنا الله عَزَّوجَلَّ؟ فلنكتف بالتساؤل المشوب بالاستغراب...

- هل كان علي متخفياً بصورة أخرى لم يحددها الرواية؟ ولماذا،

ما دام في حضرة النبي؟ هل كانا (حاشاهما) يتباريان في الخوارق؟ .

- لماذا خفيت الشخصية المتنكرة لعلي على أبي ذر الذي ما أظللت
الخضراء ولا أقلّت الغبراء أصدق منه، وانكشفت لعمر؟ هل يسوغ
ذلك لغلاة السنة وجهالهم اعتبار الغطاء مكشوفاً عن عمر، فتدخل في
دوامة تاليه وتقديس لعمر؟ أم نصحح للنبي .. ولا يعرف علياً إلا الله
وأنا وعمر؟ .

- كيف لا يعرف الله إلا النبي وعلي؟ وما بال المؤمنين والأنبياء
والرسل السابقين كلهم لم يعرفوا الله؟

ولم كلف الله نفسه إرسال عشرات الأنبياء منذ آدم حتى محمد دون
أن يجدوا نفعاً في معرفة الله؟

وما جدوى كلمات القرآن وأيات الله في خلقه إن لم تعرّفنا على
الله؟

وهل الله يُعْرَفُ إِلَهٌ مُحَمَّدٌ وَعَلِيٌّ فَقْطٌ، أَمْ إِلَهٌ النَّاسُ أَجْمَعِينَ؟

.....

- كيف لا يعرف النبي إلا الله وعلي؟

وما حال المسلمين من الصحابة والتابعين والآخرين من المليارات
الذين تعاقبوا مسلمين منذ الرسالة حتى اليوم؟

وكيف آمنوا وأمنا معهم برجل لم يعرفوه ونعرفه؟

وإذا كنا وهؤلاء جميعاً بمن فيهم مولفو الرواية لم نعرف الله
ورسوله، فما الذي ندين به؟

وإلى أين نحن سائرون؟ .

- إذا كان لا يعرف علينا إلا الله ورسوله، فلماذا احتفظا بهذا السر لنفسهما؟

ما الحكم في ذلك؟

وهل ينفع علينا جهل الجميع به، عدا الله ورسوله؟

أليس الجهل بالشيء داعياً إلى تكراره بدل الإيمان به؟ .

- ألسنا نرى هنا عقيدة جديدة تقوم على التشكيك المسيحي الآب -
الابن - روح القدس، بعدأسلمتها إلى الله - محمد - علي؟ وربما الله
- علي - محمد؟ وربما أبعد من ذلك . . .

ولعله كان في أذهان مؤسسي هذه العقيدة، ومؤلفي هذا الحديث
الربط مع المقوله المسيحية، فلجأوا إلى توليف حديث آخر لإبعاد
الشبهات فنسبوا إلى النبي قوله:

«الولا خوفي على أمّتي أن تصنع في علي ما صنع النصارى في عيسى المسيح، لقلت فيه اليوم حديثاً جعلها تأخذ التراب من تحت
عليه تبركاً»، مع أنّهم في الوقت ذاته صنعوا في علي أكثر مما صنع
المسيحيون في المسيح، بل فضلوه عليه.

2 - 2 - ربما لم يسمع البعض بهذه المقوله أن النبي قال عن علي
«إنه نفسه»، كيف يكون أحد الآخر نفسه؟ ولماذا؟ هل من مبرر؟ ألا
يكفي القول مثلاً إنه حبيبه، أو قرييه، أو حتى شبيهه؟
لا، لا يكفي . . . تحتاج الفلسفة حسراً إلى كلمة (نفسه)

بالذات... ألا تبني الفلسفة وعلم المنطق على المقدمات المفضية إلى نتائج؟

لكن، ألا يفترض أولاً إثبات المقدمة؟

بلى... الإثباتُ جاهزٌ إن لم تُعمل عقلك، وتترك الفقهاء يعرضون عليك (آية) من القرآن مرفقة بتفسيرهم الذي لا يصح سواه، يقولون: وهذا المعنى حكاه الله في كتابه عند قوله: «فَمَنْ حَاجَكَ فِيهِ - أَيِّيَّ الْمَسِيحَ - مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ، فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا (أَيِّيَّ الْحَسْنَ وَالْحَسْنَى) وَأَبْنَاءَكُمْ، وَنِسَاءَنَا (أَيِّيَّ فَاطِمَةَ الزَّهْرَاءَ) وَنِسَاءَكُمْ، وَأَنفُسَنَا (أَيِّيَّ أَنَا وَعَلَيْيَ) - وَأَنفُسَكُمْ».

لندق فيما بين قوسين من تفسير مطلوب منا أن نقبله بهذا الحصر وهذا التخصيص، فإن شَكَّنا وأردنا التعميم وتوسيع الدائرة، فهناك العشرات من الأحاديث الداعمة للتفسير الأوحد، ولا إمكانية للخوض في صحتها فهذه سلسلة لن تنتهي.

والسكوت هنا على سلام المقدمة خطير جداً، لأنه ببساطة يقود أي جاهل إلى نتيجتين خطيرتين... .

الأولى، (ولما كان المسلمون يعتبرون النبي أفضل الأنبياء فإنَّ علياً نفسه كذلك)... أي أفضل الأنبياء أيضاً.

والثانية، (فدرجة الإيمان بمحمد هي عينها بعلي)... لا زيادة ولا نقصان.

وتصبح العبارة (لَمَا قَالَ مُحَمَّدٌ أَفْضَلُ الْأَنْبِيَاءِ، عَنْ عَلَيْهِ إِنَّهُ نَفْسُهِ، فَعَلَيْهِ أَفْضَلُ الْأَنْبِيَاءِ، وَالْإِيمَانُ بِهِ مِنْ دَرْجَةِ إِيمَانِ مُحَمَّدٍ)... .

ألا تذكّرنا بفلسفة مسيلحة الكذاب التي أقْتَعَ بها قوته ببنيته (إذا كان ظهَرَ في قريش نبِيٌّ، ولستم أقل شرفاً من قريش)، فقد ظهرتُ فيكم نبياً).

وإن الله كريمٌ، وحاتم الطائي كان كريماً، بل أكرم العرب، فهل من استنتاج كافرٍ هنا؟ ومثلها يمكن لسيئ الطوية استخلاص نتائج غريبة من أسماء الله الحسنى الأخرى، الله عادل والقاضي فلان كان عادلاً، والله رحيم وكثيرون رحماء، ... هل تُختَزلَ الصفات في حرفيّة الألفاظ؟.

والتيجتان لا تُترَكان ياطلاقهما، لابد من تأكيدهما لتعزيز الاقتناع بالفكرة الخطيرة، وذلك هينٌ ويسيرٌ، فالآحاديث تزوّدنا بمعين لا ينضب من الذخيرة في كل اتجاه، وقد تكفل من هبٍ ودبٍ في اختلاق الآحاديث ونسبها إلى الرسول، والخزانة كبيرة وواسعة، وأكبر منها مساحة الجهل في عقول المسلمين الكفيلة بابتلاع كل ما يُلقى إليها مقروناً بعبارة قال رسول الله.

في تأكيد النتيجة الأولى، يُلقى إلينا - بكل استخفاف - براوية الأمة النبوية مع الحجاج بن يوسف، وهي بالطبع ليست حديثاً عن النبي الذي لحق بربيه قبل ذلك بفترة طويلة، ولكن من يهتم، ما دمنا أقصينا العقل؟

فعليٌّ حسب النبوة أفضل من آدم، لأن الله قال عن آدم: ﴿وَعَصَىٰ إِذْ أُمِرَّ
رَبِّهِ فَغُوَيَّ﴾⁽¹⁾، في حين قال علي: والله لو أعطيتُ الأقاليم السبعة بما

(1) سورة طه، الآية: 121.

تحت أفلاكها ، على أن أعصي الله في نملة أسلبها جلب شعيرة ما فعلته .
وعلي أفضل من موسى ، لأن الله قال في موسى : ﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا
يَرْقُبُ فَلَمْ رَأَتْ تَحْتِي مِنَ الْقَوْمِ أَظْلَالِهِمْ﴾⁽¹⁾ ، في حين قال في علي الذي
فدى النبي دون خوف ليلة الهجرة : ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ
أَبْتِقَاهُ مَهْكَاتُ اللَّهِ﴾⁽²⁾ ، (فهل علي خير من النبي محمد الذي اختبا
في الغار لينجو من قومه الظالمين ؟).

وعلي أفضل من عيسى الذي قال الله فيه : ﴿فَحَمَلَتْهُ فَانْبَذَتْ بِهِ
مَكَانًا فَصِيَّا﴾⁽³⁾ . . . الآية ، وقد ذكرنا القصة قبلًا في سيرة فاطمة بنت
أسد .

وعلي خير من ابراهيم ، لأن الله قال فيه : ﴿وَإِذَا قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرْبِنِ
كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَنَ قَالَ أَوْلَمْ تُؤْمِنَ قَالَ بَلٌ وَلَكِنْ لَيَطْمِئِنَ قَلْنِ﴾⁽⁴⁾ أما علي
فيقول : والله لو كشفت لي الغطاء ما ازددت يقيناً .

وعلي أفضل من نوح ولوط اللذين قال الله عنهم : ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا
لِلنَّاسِ كَفَرُوا أَمْرَاتٍ نُوحٍ وَأَمْرَاتٍ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ
عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا
كَنْلِحَيْنِ فَخَاتَاهُمَا فَلَمْ يُعْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقَبْلَ أَدْخَلَاهُمَا
الْمَدَّارِخِلِينَ﴾⁽⁵⁾ ، وأما امرأة علي فهي فاطمة الزهراء التي يرضى الله
لرضاها ويغضب لغضبها ..

(1) سورة القصص ، الآية : 21.

(2) سورة البقرة ، الآية : 207.

(3) سورة مريم ، الآية : 22.

(4) سورة البقرة ، الآية : 260.

(5) سورة التحريم ، الآية : 10.

(أليس كل من كانت له امرأة صالحة لا تخونه خير من نوح ولوط بهذا المفهوم القاصر؟).

وإذا كان متداولًا أن النبي قال لعلي: «أنت مني بمنزلة هارون من موسى، إلا أنه لا نبي بعدي»، فهل كان هارون خيراً من موسى، ما دام أن علي خيراً من موسى؟.

ولعلنا لا بد أن نشكر الشيخ مشيمش، لأنّه جزاء الله خيراً، لم يفترضنا جميعاً جاهلين، وتوقع أن لدى البعض - وإن ندر - شيئاً من عقل، فافتراض أن هذا البعض قد يسأل: كيف يكون علي أفضل من الأنبياء وقد حباهم الله بالوحي، وتلك خصوصية تفضيلهم على سائر العالمين؟.

يعطينا الجواب سريعاً بمقدمة ونتيجة، متوقعاً منا قبولهما بدون تردد أو تفكير، يقول: (إن كان الله حبا الأنبياء بالوحي، فقد حبا علينا ^{اللهم} بالإلهام، وإن الإلهام لا يختلف عن الوحي من حيث الجوهر والمضمون، أي إن الوحي عبارة عن علم الغيب، والإلهام كذلك).

أليس هذا مفهوماً جديداً فتح الله به على عقل الشيخ المتنور؟...
 الإلهام لا يختلف عن الوحي... استخدام غريب للمفاهيم في غير سياقاتها... لكن هذا هيئ، لأن الأدهى قادم في الإشراقة الكبيرة للشيخ: الوحي عبارة عن علم الغيب؟؟ وهذه عبارة خطيرة، لأنها تكذب الله ورسوله - نستغفر الله - وتکذب علياً نفسه، ألم يقل الله مخاطباً الرسول: «قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنِّي خَرَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا

أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلِكٌ إِنْ أَتَيْتُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ  ⁽¹⁾ .، وهذا الرسول يوحى إليه، ومع ذلك لا يعلم الغيب ..

ثمَّ ألم يقل الله أيضًا: «قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبَعْثُرُونَ» ⁽²⁾ .، كذلك، ألم يقل الله: «وَمَا كَانَ لِشَرِّيْ أَنْ يُكَلِّمَ اللَّهَ إِلَّا وَجِئًا أَوْ مِنْ وَرَائِيْ جَهَابِيْ أوْ يُرِسِّلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِيْهِ مَا يَشَاءُ إِنَّمَا عَلَىٰ حَكْمِيْ» ⁽³⁾ . وهنا يتحدث الله عن خطاب يتم نقله مباشرة منه  إلى (أذن) من يشاء عن طريق الوحي، دون أي ذكر لـ (الإلهام) الذي جاء به الفقهاء، والذي لا يعتبر من باب الخطاب المباشر «فَأَقْهَمَهَا فِي جُوْرَهَا وَتَقْوِيْهَا» ⁽⁴⁾ ...

أكثر من ذلك، ألم يعبر القرآن عن الوحي بأنه «إلقاء القول»، في السورة الثانية نزولاً «إِنَّا سَنُثْقِنُ عَنِّيْكَ قَوْلًا تَقْبِلًا» ⁽⁵⁾ .

ألم يستشهدوا تواً بقول علي (والله لو كشف لي الغطاء ما ازدلت يقيناً)? فكيف يلهم من لا يكشف له الغطاء؟

وهل كان عليٌ ليرضى هذا الكفر؟

أما في تأكيد النتيجة الثانية، فالإسفاف أكثر، وهو يملأ الكتب الغريبة ومواقع الانترنت العجيبة... .

(1) سورة الأنعام، الآية: 50.

(2) سورة النمل، الآية: 65.

(3) سورة الشورى، الآية: 51.

(4) سورة الشمس، الآية: 8.

(5) سورة المزمل، الآية: 5.

نشير إلى أنَّ أَحْمَدَ بْنَ حِنْبَلَ⁽¹⁾ أَدْلَى بِدَلْوَهُ فَلَمْ يَضْعِفْ عَلَيْهَا فِي مَقَامِ أَفْضَلِ الْأَنْبِيَاءِ، وَاكْتَفَى بِهِ فِي مَقَامِ الصَّدِيقَيْنِ، يَقُولُ إِنَّ النَّبِيَّ قَالَ: «الصَّدِيقُونَ ثَلَاثَةٌ: حَبِيبُ النَّجَارِ مُؤْمِنٌ آلُ يُونُسَ الَّذِي قَالَ: ﴿يَقُولُواْ أَتَيْعُواْ الْمُرْسَلِينَ﴾، وَحَرْقَيلٌ مُؤْمِنٌ آلُ فَرْعَوْنَ الَّذِي قَالَ: ﴿أَنْفَقُتُمْ رِجَالًا أَنْ يَقُولُواْ رَبُّنَا اللَّهُ﴾، وَعَلَيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، وَهُوَ أَفْضَلُهُمْ»⁽²⁾.

وَالْفَارَقُ كَبِيرٌ بَيْنَ أَفْضَلِ الْأَنْبِيَاءِ وَأَفْضَلِ الصَّدِيقَيْنِ دُونَ أَنْ تَنْسَى أَنَّ النَّبِيَّ سَمِّيَ أَبَا بَكْرَ بِالصَّدِيقِ، وَلَيْسَ عَلَيْهِ

أَكْثَرُ مِنْ ذَلِكَ، أَخْرَجَ أَحْمَدَ فِي الْمَنَاقِبِ أَيْضًا، أَنَّ أَسْمَاءَ بْنَتَ عَمِيسَ، الَّذِي كَانَ عَلَيْهِ زَوْجُهَا الْخَامِسُ، رَوَتْ أَنَّهَا سَمِعَتِ النَّبِيِّ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَقُولُ كَمَا قَالَ أَخِي مُوسَى: وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي - أَخِي عَلَيْهَا - أَشَدَّ بَهِ أَزْرِي، وَأَشْرَكْهُ فِي أَمْرِي، كَمَا نَسِّبْتُكَ كَثِيرًا وَنَذَرْتُكَ كَثِيرًا، إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيرًا»⁽³⁾

(رَبِّمَا فَاتَ ابْنَ حِنْبَلَ أَنَّ أَسْمَاءَ كَانَتْ زَوْجًا لِأَبِي بَكْرٍ، زَوْجَهَا الرَّابِعُ، حِينَ مَاتَ النَّبِيُّ، وَلَمْ يَتَزَوَّجْهَا عَلَيْهَا إِلَّا بَعْدَ وَفَاتَهُ أَبِي بَكْرٍ، فَمَتَّى سَمِعَتِ النَّبِيُّ حَدِيثًا يَخْصُّ عَلَيْهَا؟ . . .) لَا تَعْلِيقٌ، وَلَكِنْ . . . وزِيرٌ، نَبِيٌّ، أَمْ أَفْضَلُ مِنْ نَبِيٍّ؟ اخْتَلَطَتِ الْأَمْورُ . .

وَلِتَزِيدَ حِيرَتَنَا فِي مَوْقِعِ عَلَيِّ، أَخْرَجَ الْخَلْعَيِّ، وَالْذَّهَبَيِّ، وَالْمَؤْلِفُ، حَدِيثًا مَنْسُوبًا إِلَى أَنْسَ بْنَ مَالِكٍ، أَنَّ النَّبِيَّ قَالَ: «مَا مِنْ نَبِيٍّ

(1) أَحْمَدَ بْنَ حِنْبَلَ - الْمَنَاقِبُ.

(2) رَوَاهُ ابْنُ عَسَكِرٍ فِي مُختَصِّرِهِ.

(3) رَوَاهُ ابْنُ عَسَكِرٍ أَيْضًا.

إلا وله نظيرٌ في أمته، وعلى نظيري»، فمن كان نظير عيسى، ونظير نوح ونظير إبراهيم؟.

وأين نضع علياً؟ هل من يتبرع في حسم الأمر رحمة بنا وبعقولنا؟
 2 - 3 - ثمة كفر لا تتحتمله العقول، أو قل جريمة في حق الإله ~~بزعجل~~ ونبيه، يشارك فيها من نعدهم علماء وفقهاء هذا الدين المبتلى، فقد أخرج الملائكة في سيرته، والمتفق الهندي في كنز العمال، وعزاه للطبراني في الكبير، وساقه المؤلف في الرياض الناصرة، عن أبي الحمراء قال، قال رسول الله: «ليلة أُسرى بي إلى السماء نظرت إلى ساق العرش الأيمن، فرأيت كتاباً فهمته: محمد رسول الله، أيدته على ونصرته به».

ونتساءل، مستغفرين الله، ومستسمحين ثيبي:

- يميز النبي وأي عاقل بين الإسراء والمعراج، فالإسراء هو انتقاله إلى المسجد الأقصى، والمعراج هو عروجه أو انتقاله إلى السماء، وكلاهما بالرؤيا، فكيف يستخدم النبي تعبيراً خاطئاً، أسرى بي إلى السماء؟ مع الإشارة إلى تكرار هذا الخطأ في العديد من الأحاديث المختلفة.

- كان النبي أمياً لا يقرأ، فكيف يدعي أنه قرأ ما هو مكتوب؟
 - كلام السؤالين مشروع، وهل من يعسر توليف إجابتين لهما، لكن هل يكفر النبي؟

كيف يكون للعرش ساق أيمان وساق أيسر بالمعنى الحرفي للكلمات؟ نستغفر الله، هل العرش كرسي عادي ذو قوائم ترتكز على

أرضية ما، والإله محدود البنية والشكل يجلس على هذا الكرسي ويمد رجليه؟ وهل غشنا الله، حاشاه، حين قال «وسع كرسيه السموات والأرض» البقرة؟ أم أن هذا الحديث من الإسرائيليات التي سعت لتجسيم الله، وشربها المسلمون الجهلة؟ ..

يبدو أن مختلق الحديث كان جاهلاً، أو هو اعتمد على جهلنا، ولو وضع الحديث في صيغة أخرى:

«الليلة عُرِجَ بي إلى السماء، قال لي جبريل، يقول الله إنك يا محمد رسوله، أيدك بعلي ونصرك به» ربما كان أكثر واقعية وإقناعاً.

نقول لعلمائنا الأفضل سنة وشيعة: اختلقوا لعلي ما شئتم من الصفات، ولكن لا تكفروا بالله، ولا تكذبوا على لسان نبيه، ولا تسيروا إلى عليٍ ..

2 - أخرج ابن السمان في كتاب «الموافقة» حديثاً غريباً منسوباً لاسم غريب هو قيس بن أبي حازم، قال والكلام على ذمته، إن وُجد: التقى أبو بكر وعليٍ توفي، فتبسم أبو بكر في وجه عليٍ، فقال له: مالك تبسمت؟ قال: سمعت رسول الله يقول: «لا يجوز أحدُ الصراط إلَّا من كتبَ له على الجواز».

- هل من المثير للسؤال أن يتبسم أبو بكر في وجه من يلاقيه؟ لم يأمر الله بذلك؟ أم كان لا بد من اختلاق الحادثة قبل توليف السيناريو؟

- إذا كان كذلك، فلِمْ تولَّ أبو بكر الخلافة، ولم يتركها لعليٍ، فيحوز رضاه، ويكسب بذلك دخول الجنة؟ ربما لم يوفق مختلق الحديث حين أقحم أبو بكر بالذات في قضته.

- الخطورة في مضمون الحديث، لا في صياغته، سيجلس عليّ قريباً من الله يوم القيمة، على أحد جانبي الصراط، وسيكون هو الحكم، وكاتب جوازات المرور، لمن؟ وعلى أي أساس؟ وإنما سيستند في حكمه على الأولين والآخرين؟ . . .

وهل سيكون دور الله بِعْرَجَتْ حيادياً، يتنتظر انتهاء عليّ من الحساب لينفذ ما جاءت به جوازات المرور فور انتهاء عليّ منها؟ وكيف يردد علينا الله في القرآن أنه من سيفحصنا؟ هل هذا تضليل من الله لعباده؟ وأين دور الأنبياء الذين أخبرنا القرآن أنهم سيأتون شفعاء لأقوامهم، وسيأتي محدث شفيعاً عليهم، فَكَيْفَ إِذَا جَئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجَئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا⁽¹⁾؟ وهل كان هذا الخطاب موجهاً لمحمد أم لعليّ؟ .

- هل نستغنى عن عبارة «نستغفر لله رب العالمين» ونستبدلها بعبارة «نستغفر على كاتب جوازات المرور»؟ ضماناً لآخرنا

- كيف فات واضح الحديث أن يعطي دوراً للنبي في هذا السيناريو؟ ربما لم يقرأ حديثاً آخر، منسوباً إلى ابن عمر قال: سمعت رسول الله يقول لعلي: «يا علي.. يدك في يدي، تدخل معك يوم القيمة حيث أدخل». ترى أين سينتظر النبي انتهاء عليّ من كتابة جوازات المرور ليدخلها سوية؟ أم هو مشمول، وغيره من الأنبياء، فيمن سيقف في الطابور؟ أليست العبارة مطلقة (لا يجوز أحد الصراط) بالمطلق، دون استثناء؟

كما لم يقرأ الحديث الآخر، المنسوب إلى أنس بن مالك، أن النبي قال لعلي «تؤتي يوم القيمة ناقة من نوق الجنة، تركبها وركبتك مع ركبتي، وفخذك مع فخذي حتى تدخل الجنة»⁽¹⁾ ..

والحديث الآخر الذي أخرجه علي بن موسى الرضا، عن علي بن ذاته، قال: قال رسول الله: «يا علي، إنك أول من يقرع باب الجنة فتدخلها بغير حساب بعدي»⁽²⁾ ..

وقد اختلط علينا في مشهد يوم القيمة، هل عليٌ على أحد جانبي الصراط، أم بمحاذاة النبي ركبة بر克ية وفخذًا بفخذ، أم بعده؟ أليس في كل منها حديث منسوب إلى النبي؟

ثم، هناك الحديث الأكثر غرابة وكذبًا صريحةً، المنسوب إلى ابن عمر نفسه، أن النبي قال لمعاوية بن أبي سفيان: «يا معاوية، أنت مثني وأنا منك، لتزاحمني على باب الجنة»⁽³⁾ ، فلمن قال النبي ما قال، أم هو قالها للرجلين، أم أنه الكذب والتلفيق على لسان النبي، كل حسب هواه ومصالحه؟ .

دون أن يفوتنا هنا، ملاحظة مدى مصداقية (الإمام) الطبرى الذى يورد أحاديث متناقضة، دون التوقف والتفكير في صحتها، وتوافقها من عدمه، أليست مصيبة الإسلام كبيرة في هؤلاء؟ .

ولابد أن نسأل: هل كان الذين وضعوا واختلقوا هذه الأحاديث

(1) أخرجه أحمد بن حنبل في المناقب، وain عساكر في مختصره.

(2) أورده الطبراني والهيثمي والبزار.

(3) سير الأعلام والنبلاء 3 / 131.

من المسلمين المؤمنين، أم نعود إلى أنها المؤامرة التي أسس لها عبد الله بن سبأ، أو يهودي آخر؟ وعزّزها معاوية وخلفاؤه باستخدام فقهاء السلطان، وكرّسها دعوة المدرسة الصفوية في التشيع.

نرجح الرأي الثاني، لماذا؟ ببساطة لأنّ علياً بنفسه قال: «إذا حذثكم عن رسول الله حديثاً، فوالله لأنّ آخرَ من السماء أحثُ إلى من أن أكذب عليه، أو أقول عليه ما لم يقل»⁽¹⁾ ..

وما كان لمؤمن صادق من أتباع علي أن يفعل ذلك

ولسنا نستغرب أن يساهم في هذه المؤامرة من يدعوهם أهل السنة علماء وفقهاء كالبخاري وابن حنبل والطبراني وغيرهم، ألم نرّ جرائمهم في الإضاءات السابقة ألم يشترك الجميع في قتل الإسلام؟

آخر المقال . . . كان الإمام علي المؤمن الأكثر نقاءً وصدقيةً والتزاماً بجوهر الدين الصحيح، وهو التموج الأمثل والقدوة الأصلح لكل من آمن بالله ورسله، لكنّ الغلاة والجهلة شوّهوه وأخرجوه إلى عوالم الخرافة والإسفاف، فكانوا أول المسيئين إليه في سياق إساءاتهم للإسلام الصحيح.

(1) أخرجه البخاري ومسلم منسوباً إلى سعيد بن غفلة.

π_{opt}

صناعة الغباء

قامت مجموعة من العلماء بوضع خمسة قرود في قفص، في وسطه سلم، وفي أعلى السلم وضعوا بعض الموز . . .

في كل مرة كان أحد القرود يتسلق السلم لأخذ الموز، يقوم العلماء برش باقي القرود بالماء البارد . . .

بعد فترة بسيطة، وكلما حاول أحد القرود تسلق السلم لأخذ الموز، تقوم القرود الباقية بمنعه وضرره، حتى لا ترش بالماء البارد . . .
بمرور الوقت، لم يعد أيّ من القرود يجرؤ على تسلق السلم خوفاً من الضرب . .

قام العلماء بتبديل أحد القرود الخمسة بقرد جديد، سارع إلى محاولة تسلق السلم لأخذ الموز، إلا أن الأربعة الباقية قامت بضرره وإجباره على التزول . .

بعد عدة محاولات، وضرب، فهم القرد الجديد أن لا يتسلق السلم، دون أن يعرف السبب . .

قام العلماء، مرة ثانية، بتبديل أحد القرود القدامى بقرد جديد آخر، واجه نفس المصير بالضرب، وقد شارك القرد البديل الأول بضرره، وهو لا يدرى لماذا يضرب . .

وهكذا حتى تم تبديل القرود الخمسة الأوائل بقرود بديلة تباعاً، وصار في القفص خمسة قرود بديلة لم يتعرض أي منها للرش بالماء البارد ..

مع ذلك استمرّت القرود تضرب من منها تسول له نفسه صعود السلم، دون أن تعرف السبب ..

افتراض العلماء أنهم سألوا القرود: لماذا تضرّين القرد الذي يصعد السلم؟ ..

واستنتجوا أن جواب القرود الوحيد، لو نطقـت، كان: لا ندري ولكنـا وجدـنا أسـلافـنا له ضـارـيـن ..

هـكـذـا تـشـكـلـ أـسـاسـ «ـتـرـاثـ» قـرـودـ القـفـصـ

الضحك على الذقون

مقال رائع للشيخ الدكتور عائض القرني

كثرة عدد السكان مع الجودة قضيلة عند الأمم، لكن الخطأ أن يكثر العدد بلا نفع ولا إنتاج، والإسلام يبحث على طلب الذرية الطيبة الصالحة، ولكن إذا تحولت كثرة النسل إلى عبء اجتماعي صار هذا خطأ في التقدير، ونحن في الشرق أكثر الأمم نمواً سكانياً مع ضعف في التربية والتعليم، فقد تجد عند الواحد مئاً عشرين ابنًا لكنه أهمل تأديبهم وتعليمهم فصار سهرهم في دبكة شعبية مع لعب البلوت وأكل الفصفص بلا إنتاج ولا عمل، بل صاروا حملاً ثقيلاً على الصرف الصحي والطرق والمطارات والمستشفيات، بينما الخواجة ينجب طفلين فيعتني بهما فيخرج أحدهما طبيباً والأخر يهبط بمركبته على المريخ . . .

أنا ضد جلد الذات لكن ما دام أن الخطأ يتكرر والعلاج يستعصي فالبيان واجب.

لا زال بعض العرب يرفع عقيرته عبر الشاشات ويقول: أنا ابن جلا وطلاع الثناء ، ثم تجده في عالم الشرع لا يحفظ آية الكرسي ،

وفي عالم الدنيا لم يسمع بابن خلدون وابن رشد، وتجد الغربي ساكتاً قابعاً في مصنته أو معمله يبحث ويترجع ويختبر ويبدع، أرجو من شبابنا أن يقرأوا قصة أستاذ ثورة اليابان الصناعية «تاكيو او ساهيرا» وهي موجودة في كتاب «كيف أصبحوا عظماء؟» كيف كان طالباً صغيراً ذهب للدراسة في ألمانيا، فكان ينسن إلى ورشة قريبة فيخدم فيها خمس عشرة ساعة على وجه واحدة، فلما اكتشف كيف يدار المحرك وأخبر الأمة اليابانية بذلك استقيله عند عودته إلى المطار إمبراطور اليابان، فلما أدار المحرك وسمع الإمبراطور هدير المحرك قال: هذه أحسن موسيقى سمعتها في حياتي!

وطالب عربي في المتوسطة سأله الأستاذ: الكتاب لسيبوه من أللّف؟ قال الطالب: الله ورسوله أعلم...

والتمدد في الأجسام على حساب العقول مأساة، والافتخار بالأباء مع العجز منقصة، لن يعترف بنا أحد حتى نعمل ونتنتج، فالمجده غالبة والسوق مناهبة، وإن النجاح قطرات من الآهات والزفرات والعرق والجهد، والفشل زخات من الإحباط والنوم والتسويف، كن ناجحاً ثم لا تبالي بمن نقد أو جرّح أو تهكم، إذا رأيت الناس يرمونك بأقواس النقد فاعلم أنك وصلت إلى بلاط المجد، وأن مدفعة الشرف تطلق لك واحداً وعشرين طلقة احتفاء بقدومك.

لقد هجر الكثير من الكتاب وأصبح يعيش الأمية فلا يحفظ آية ولا حدثياً ولا بيتاً ولم يقرأ كتاباً ولم يطالع قصة ولا رواية، ولكنه علق في مجلس بيته شجرة الأنساب؛ ليثبت لنا أنه من أسرة آل مفلس من قبيلة الجهلة، والوحى ينادي: «إن أكرمكم عند الله أتقاكم»، والتاريخ

يخبرك أن بلال مولى حبشي، وهو مؤذن الإسلام الأول، وأن جوهر الصقلي فاتح مصر وبياني الأزهر أمازيغي أمّهُ تبيع الجرجير في مدينة سبته، ولكن النفس الوثابة العظيمة لا تعتمد على عظام الموتى، لأن العاصمي يشرف قبيلته وأمته وشعبه ولا ينتظر أن يشرفه الناس، لقد كان نابليون شاباً فقيراً لكنه جدّ واجتهد حتى أخذ التاج من لويس الرابع عشر، وفتح المشرق وصار في التاريخ أسطورة، وهو القائل: «الحرب تحتاج إلى ثلاثة: المال ثم المال، والمجد يحتاج إلى ثلاثة: العمل ثم العمل ثم العمل».

لقد أرضينا غرورنا بمدح أنفسنا حتى سكر القلب بخمر المديح على مذهب جرير: أَسْتُمْ خَيْرَ مَنْ رَكِبَ الْمَطَابِيَا؟ وقد ركب الآخر بساط الريح راف 16 والكونكورد. ولو اجتمعنا ما أنتجنا سيارة «فولكس فاغن» فضلاً عن «كريسيدا». ورحم الله أمرؤاً عرف تقصيره فأصلاح من نفسه ولا بد أن تقنع المريض بمرضه حتى يستطيع أن يعالج نفسه على أني اعترف بأن عندنا عباقة ونوابغ يحتاجون لمراكيز بحوث ومؤسسات لرعايتهم ومعامل ومصانع لاستقبال نتاجهم.

لقد تركت اليابان الحرب وتابت إلى الله من القتال وتوجهت للعمل والإنتاج، فصارت آيةً للسائلين، وكدرس العراق قبل الغزو السلاحي واشتغل بحروب مع الجيران، فانتهى قادته إلى المشنقة، وجُوعَ الشعب ثم قُتِلَ وسُحقَ.

سوف نفتخر إذا نظر الواحد منا إلى سيارته وثلاجته وتلفازه وجواله فوجدها صناعةً محلية. وأرجو أن نقتصر في الأمسيات الشعرية فإن عشرة دواوين من الشعر لا تتبع صاعاً من شعير . . .

يقول نزار قباني :

طالعوا كتب التاريخ واقتنعوا متى البنادق كانت تسكن الكتبا؟
 علينا أن نعيد ترميم أنفسنا بالإيمان والعمل وتهذيب عقولنا بالعلم
 والتفكير، وهذا جوهر رسالتنا الربانية الخالدة وطريق ذلك المسجد
 والمكتبة والمصنوع، والخطوة الأولى مكتبة منزلية على مذهب الخليفة
 الناصر الأندلسي يوم ألزم الناس بإنشاء مكتبة في كل منزل وقراءة يومية
 مركزة، وهذا خير من مجالس الغيبة والقيل والقال وقتل الزمان
 بالهذيان !

﴿وَقُلْ أَعْمَلُوا فَسِيرُى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ (١).

(1) سورة التوبة، الآية: 105.

خاتمة لا تغلق النص

أما بعد..... هل من نتيجة نخلص إليها؟.....

نعم.....

كلُّ أتباع الديانات مسلمون لله.. كلُّ منهم على كتابه... وكلُّهم
إخوتنا في الإسلام الشامل .. .

كان ثمة مؤامرة كبرى جرت بحق الإسلام.....

لم يكن كلَّ الصحابة عدوًّا، ثقاتًا، منزهين عن الأهواء
والصالح.....

كان معظم رواة الأحاديث عن النبي كاذبين ..

وكان جلَّ كتبة وموثقى أحاديث النبي جهله عصاة لأمر النبي، أو
مغرضين مسيئين إلى الدين، ثبتوها أكاذيب السابقين ..

أما الأئمة الكبار، من كلِّ المذاهب، فجزاهم الله عاقبة اجتهاداتهم
التي فرقتنا ويعثرتنا، وأساءت إلى ديننا.....

وما وصلنا تحت مسمى «سنة رسول الله» لم يكن سنته الصحيحة...
بل هو ما سوقوه لنا، وما وجدنا عليه آباءنا ..

وما توارثناه على أنه فقه إسلامي، هو ببساطة بدائل مميتة عن الفقه الإسلامي الصحيح

وما نعيشه هو كذبة كبيرة، أو مجموعة أكاذيب فضلت على مقاس جهلنا، وقتلت نقاء الإسلام الذي عاشه محمد وأتباعه خلال حياته

وما اتهمنا به الآخرين من تحريف لكتبهم، مارسناه بأبشع صوره بتحريف شرعنا، حين اعتبرنا الأحاديث المنسوبة إلى النبي أساساً لعقيدتنا

وإذ سلمنا أنَّ الكتابيين أشركوا بالله إذ اعتبروا عزيزاً والسيد المسيح ابنين له، فقد تجاوزناهم في الإشراك بالله حين منحنا نبياناً الكريم دوراً لم يرده لنفسه، ولا أراده له الله، فجعلنا مما تُسبِّب إليه من أحاديث كاذبة ناسخاً مقصياً لكلام الله

وقد فاتنا قول السيد المسيح: مَنْ كَانَ مِنْكُمْ بِلَا خَطِيئَةٍ فَلَا يُرِجِّعُونَ

وإذا كنَّا قد أقمنا دولة في الماضي الغابر، مثل كلَّ الآخرين، فقد خسرنا ديناً ومستقبلاً

وقد كانت مساهمة الموالي من غير العرب، كبيرة في هذا المجال، سنيةً وشيعياً

فما الذي بقي لنا؟

كتاب الله، وحده لا رفيق له، كما الله وحده لا شريك له

﴿وَقَالَ الرَّسُولُ يَرَبِّ إِنَّ قَوْمِي أَتَخَذُونَهُنَّا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا﴾⁽¹⁾.

شريطة القراءة الوعية التي تسقط الكثير مما حمله إياه الموروث
الذي ابتلينا به قرونًا

والعقل، المنفتح على الكون الواسع

﴿أَفَعَلَ قُلُوبٍ أَفَقَالُهَا﴾⁽²⁾.

وصدق الله العظيم

للبحث صلة

(1) سورة الفرقان، الآية: 30.

(2) سورة محمد، الآية: 24.

المراجع

- 1 - القرآن الكريم .
- 2 - الكتاب المقدس .

- أ - مراجع من التراث
- 3 - الصحاح والسنن .
- 4 - تفسير الطبرى ، جامع البيان فى تأويل آى القرآن .
- 5 - تفسير ابن كثير .
- 6 - تفسير الجلالين .
- 7 - ابن منظور - لسان العرب .
- 8 - الشوكانى - إرشاد الفحول فى علم الأصول .
- 9 - ابن حجر العسقلانى - الإصابة فى تمييز الصحابة .
- 10 - تاريخ اليعقوبى .
- 11 - الغزالى - المستصفى فى علم الأصول .
- 12 - ابن قتيبة - تأويل مختلف الأحاديث .
- 13 - السيوطي - الإنقان فى علوم القرآن .
- 14 - ابن الجوزى - نواخى القرآن .
- 15 - أبو جعفر النحاس - الناسخ والمنسوخ فى القرآن .
- 16 - الواحدى النيسابورى - أسباب النزول .

- 17 - السيوطي - لباب النقول في أسباب النزول.
- 18 - ابن كثير - البداية والنهاية.
- 19 - ابن هشام - السيرة النبوية.
- 20 - الطبرى - محمد خاتم الأنبياء.
- 21 - ابن الأثير - أسد الغابة في معرفة الصحابة.
- 22 - ابن عبد البر - الاستيعاب في معرفة الأصحاب.
- 23 - ابن سعد - الطبقات الكبرى.
- 24 - ابن تيمية - منهاج السنة التبوية.
- 25 - ابن الجوزي - مناقب الإمام أحمد بن حنبل.
- 26 - الطبراني - المعجم الصغير.
- 27 - ابن عساكر - مختصر تاريخ دمشق.
- 28 - الحافظ الذهبي - سير الأعلام والبلاد.
- 29 - الطبرى - ذخائر العقبى في مناقب ذوى القرى.
- 30 - الجزائري - الأنوار النعمانية.
- 31 - التويختى - فرق الشيعة.
- 32 - الناشئ الأكبر - مسائل الإمامة.

ب - مراجع معاصرة

- 33 - ديتر تسمرلنغ - النهايات - ترجمة ميشيل كيلو.
- 34 - محمد سعيد العشماوى - الإسلام والسياسة.
- 35 - محمد سعيد العشماوى - الخلافة الإسلامية.
- 36 - محمد سعيد العشماوى - جوهر الإسلام.
- 37 - هشام جعيط - الوحي والقرآن والنبوة.
- 38 - إبراهيم فوزي - تدوين السنة - دار الرئيس.
- 39 - د. عماد الدين خليل - مدخل إلى التاريخ الإسلامي.

40 - حسن العلوى - عمر والتشييع .

41 - د. ماهر الشريف - تطور مفهوم الجهاد في الفكر الإسلامي .

42 - الصادق النيهوم - إسلام ضد الإسلام - شريعة من ورق .

43 - نصر حامد أبو زيد - مفهوم التنص .

44 - معروف الرصافي - الشخصية المحمدية .

45 - عبد الإله بلقزيز - النبوة والسياسة .

46 - د. بكر شيخ أمين - أدب الحديث التبوى .

47 - حمادي ذوب - السنة بين الأصول والتاريخ .

48 - طيب تيزيني - من اللاهوت إلى الفلسفة العربية الوسيطة .

49 - مالك مسلماني - عمر بن الخطاب ، السيرة المعاوية .

50 - خليل عبد الكريم - مجتمع يثرب .

51 - حسين علي اللوباني - ملف الهبل العربي .

52 - هشام جعيط - الفتنة .

53 - طه حسين - الفتنة الكبرى .

54 - هادي العلوى - فصول من الإسلام السياسي .

55 - خليل عبد الكريم - الصحابة والصحابة .

56 - د. مصطفى بو هندي - التأثير المسيحي في تفسير القرآن .

57 - يوسف حسني الأطير - البدايات الأولى للإسرائييليات في تفسير القرآن .

58 - الصادق النيهوم - الإسلام في الأسر .

59 - نيازي عز الدين - من حقائق القرآن المسكوت عنها .

60 - يحيى محمد - مشكلة الحديث .

61 - فرهاد دفتری - المناهج والأعراف العقلانية في الإسلام .

62 - السيد سابق - فقه السنة .

63 - أبو نواس - النصوص المحرّمة - تحقيق جمال جمعة - دار رياض الرّيس .

64 - جرجي زيدان - المسيح هو المشكلة .

65 - إبراهيم محمود - الفتنة المقدسة - دار رياض الريّس .

66 - حسن مشيمش - حوارات ساخنة .

67 - د. صالح عصيّمة - ذلك فضل الله .

68 - مجلة الوعي الإسلامي .

لا تهدف هذه الإضاءات إلى زلزلة أركان وجوانب «الموروث» الذي ساد طويلاً تحت مسمى «التراث»، بقدر ما تسعى لإخضاع هذه الأركان والجوانب إلى نقاش عقلاني واعي، يستهدي بكتاب الله، ليتحرّى صحتها ومدى صدقيتها وشرعيتها، مشرّعاً الأبواب لإعادة النظر فيما اعتبره السلف مسلمات وبدائيات، وما هو كذلك...

وهي تطرح للبحث والمناقشة مفاهيم أساسية قام عليها هذا الموروث، بدءاً من تحديد مفهوم الإسلام كما أراده الله، فمفهوم عدالة الصحابة ومدى موثوقيتهم، والجنایات التي ارتكبها رواة الحديث الكاذبون، وكتب الأحاديث المغضون أصحاب الصلاح والمساند والسنن، ثم الاجتهادات المتناقضة واللاعقلانية والمخجلة لأئمة الفقه، وأخيراً جنائية المسلمين، سنة وشيعة، على أهل بيته، وانقسام الأمة الكارثي، وتشويه الدين الذي جاء به محمد بن عبد الله (ص) ..

هي حجر يُلقى في بركة الموروث التي أستنـت، وحان أوان شطـفها...